خطب الجمعة والعيدين

وفضائل الجمعة وأحكامها في القرآن والسنة

للقرطبي وابن القيم

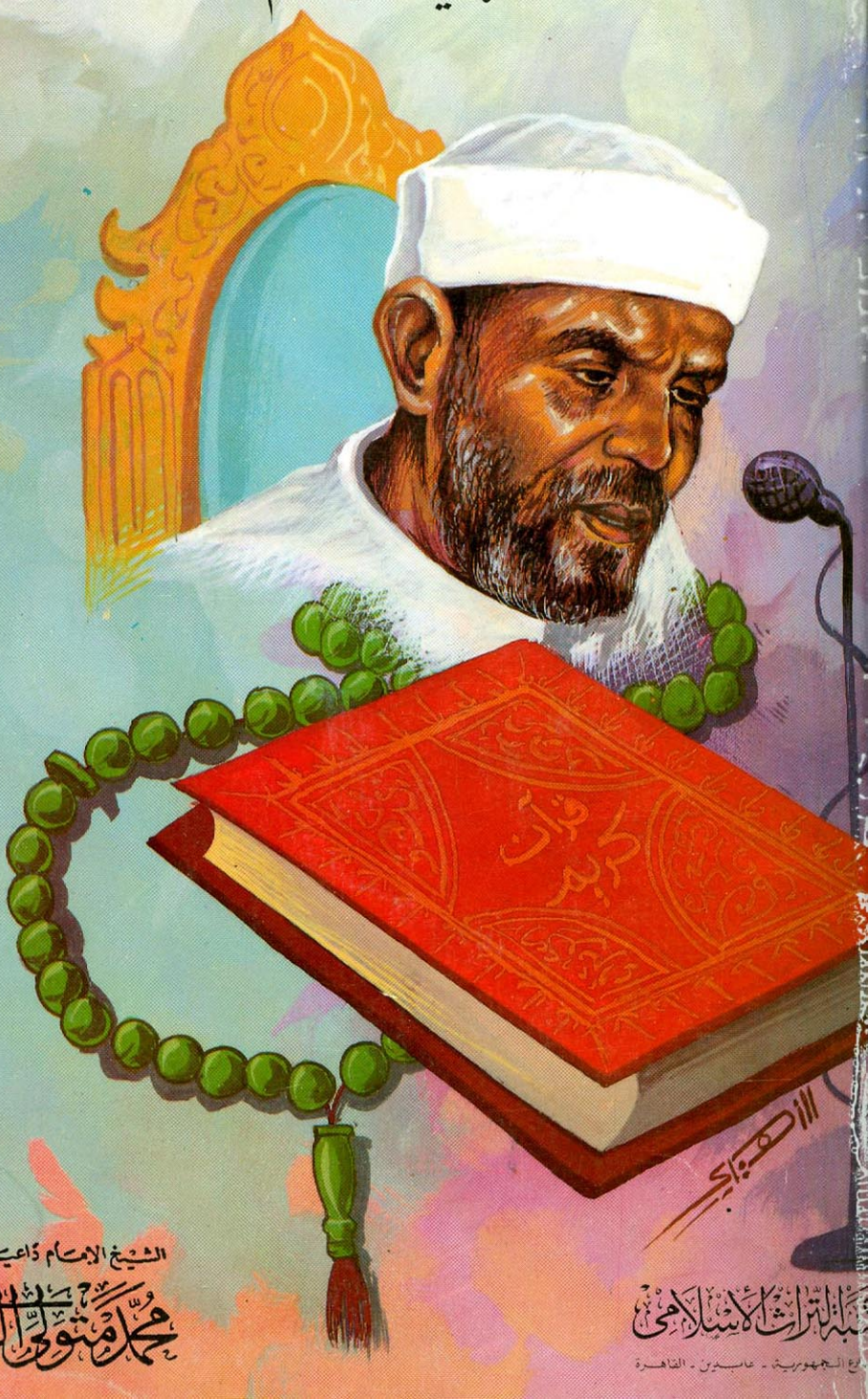

الشيخ الإمام داعية الإسلام

محمد متولي الشعراوي

مكتبة التراث الإسلامي

شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة

مقدمة الناشر :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

أمـا بعـــــد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

لقد سبق لى أن نشرت كتاب خطب الجمعة والعيدين لفضيلة الداعية الإسلامى الشيخ « محمد متولى الشعراوى » . والذى بذل فيه أستاذنا الفاضل الشيخ عبد القادر أحمد عطا رحمه الله جهداً كبيراً حيث قام بربط كلام الشيخ

قال الامام القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٩) فيه ثلاث عشرة مسألة :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُوذِىَ لِلصلاَةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ﴾ قرأ عبد الله بن الزبير والأعمش وغيرهما « الجُمْعة » بإسكان الميم على التخفيف ، وهما لغتان . وجمعهما جُمَع وجُمُعات ، قال الفراء : يقال الْجُمْعة (بسكون الميم)والجُمُعةِ (بضم الميم) والجُمَعة (بفتح الميم) فيكون صفة اليوم ؛ أى تجمع الناس ، كما يقال : ضُحَكة للذى يضحك ، وقال ابن عباس : نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم فاقرءوها جُمُعة ؛ يعنى بضم الميم . وقال الفراء وأبو عبيد : والتخفيف أقْيَس وأحسن ؛ نحو غُرْفة وغُرَف ، وطُرفَة وطُرَف ، وحُجرة وحُجَر . وفَتحُ الميم لغة بنى عقيل . وقيل : إنها لغة ﷺ . وعن سَلْمان أن النبى ﷺ قال : « إنما سُميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم » ، وقيل : لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها المخلوقات . وقيل : لتجتمع الجماعات فيها . وقيل : لاجتماع الناس فيها للصلاة . و « من » بمعنى « فى » ؛ أى فى يوم ؛ كقوله تعالى : « أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ » أى فى الأرض .

الثانية ــ قال أبو سلمة : أول من قال : « أما بعد » كعب بن لؤىّ ، وكان أوّل من سَمَّى الجمعة جمعة . وكان يقال ليوم الجمعة : العَرُوبة . وقيل : أول من سماها جمعة الأنصارُ . قال ابن سيرين : جَمّع أهل المدينة مِن قبل أن يَقْدُم النبىّ ﷺ المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ؛ وهم الذين سموها الجمعة ؛ وذلك أنهم قالوا : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه ، فى كل سبعة أيام يوم وهو السبت . وللنصارى يوم مثل ذلك وهو

الأحد فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوْماً لنا نذكر الله ونصلّى فيه ونستذكر ــ أو كما قالوا ــ فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ؛ فاجعلوه يوم العَرُوبة . فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرَارة (أبو أمامة رضى الله عنه) فصلّى لهم يومئذ ركعتين وذكرهم ، فسمّوْهُ يوم الجمعة حين اجتمعوا . فذبح لهم أسعد شاةً فتعشَّوْا وتغدّوْا منها لقلتهم . فهذه أوَل جمعة فى الإسلام .

قلت : وروى أنهم كانوا اثنى عشر رجلاً على ما يأتى . وجاء فى هذه الرواية : أن الذى جَمّع بهم وصلّى أسعد بن زُرارة ، وكذا فى حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب على ما يأتى . وقال البَيْهقِى : وروينا عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزُّهْرِىّ أن مُصْعَب بن عمير كان أولَ من جَمّع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل أن يقدُمها رسول ﷺ . قال البيهقى : يحتمل أن يكون مصعب جَمّع بهم بمعونة أسعد ابنَ زرَارة فأضافه كعب إليه . والله أعلم .

وأما أوَ ، جمعة جمَّعها ﷺ بأصحابه ؛ فقال أهل السير والتواريخ : قَدِم رسول الله ﷺ مهاجراً حتى نزل بقُبَاء ، على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى ، ومن تلك السنة يُعَدّ التاريخ ، فأقام بقباء إلى يوم الخميس وأسَّس مسجدهم ، ثم يوم الجمعة إلى المدينة ؛ فأدركته الجمعة فى بنى سـ م بن عَوْف فى بطن وادٍ لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجداً ؛ فَجمّع بهم وخطَب . وهى أوَل خطبة خطبها بالمدينة ، وقال فيها : « الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادى من يكفر به ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى ودين الحق ، والنور والموعظة والحكمة على فَتْرة من الرُّسل ، وقلة من العلم ، وضلالةِ من الناس ، وانقطاعٍ من الزمان ، وَدُنُوٍّ من الساعة ، وقُرْب من الأجل ، من يُطعِ الله ورسوله فقد رَشَد . ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد غَوَى وفرّط وضلّ ضلالاً بعيداً . أوصِيكم بتَقْوَى الله ، فإنه خير ما أوصَى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله . واحذَروا ماحذّركم الله من نفسه ؛ فإنّ تقوى الله لمن عَمِل به على وَجَلٍ ومخافةٍ من ربه عَوْنٌ صدق على ما تبغُون من [أمر] الآخرة . ومن يُصْلِحِ الذى بينه وبين ربّه من أمره فى السر والعَلَانِية ، لا ينوِى به إلا وَجْهَ الله يكن له ذكراً فى عاجل أمره ، وذُخْراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قَدّم . وما كان مما سوى ذلك يَوَدّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً . « وَيُحَذّرُكُمُ الله نَفْسَهُ والله رَءوُفٌ

بِالْعِبادِ » . هو الذى صدَق قولَه ، وأنجز وعده ، لا خُلْف لذلك ؛ فإنه يقول تعالى : « مَايُبَدلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أنَا بِظَلَّامٍ لِلعَبِيد » . فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السرّ والعلانية ؛ فإنه « مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّر عَنْهُ سيِّئاتِه وَيُعْظِمْ لَهُ أجْراً » . ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما . وإن تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجوه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة . فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله ، فقد علمكم كتابه ، ونهج لكم سبيله ؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين . فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ؛ هو آجتباكم وسمَّاكم المسلمين . لِيَهْلِك من هَلَك عن بَيِّنَةٍ ، ويحيا من حىّ عن بيِّنة . ولا حول ولا قوة إلا بالله . فأكثروا ذكر الله تعالى ، واعملوا لما بعد الموت ؛ فإنه من يُصلح ما بينه وبين الله يَكْفِه الله ما بينه وبين الناس . ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يَقْضُون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه . الله أكبر ، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأوّل جمعة جُمِّعت بعدها جمعة بقرية يقال لها : « جُوَاثَى » من قُرَى الْبَحْرَين . وقيل : إن أوّل من سماها الجمعة كعب بن لؤىّ بن غالب لاجتماع قريش فيه إلى كعب ؛ كما تقدّم . والله أعلم .

... الثالثة ــ خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفاً لهم وتكريماً فقال : « يَاأيُّهَا الَّذِين آمنوُا » ثم خصه بالنداء ، وإن كان قد دخل فى عموم قوله تعالى : « وَإذَا نَادَيْتُمْ إلَى الصَّلَاةِ »[1] ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه . وقال بعض العلماء : كون الصلاة الجمعة ها هنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ . قال ابن العربىّ : وعندى أنه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهى قوله : « مِنْ يَومِ الْجُمُعَةِ » وذلك يفيده ؛ لأن النداء الذى يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة . فأما غيرها فهو عام فى سائر الأيام . ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها وإضافته إليها معنى ولا فائدة .

الرابعة ــ فقد تقدّم حكم الأذان فى سورة « المائدة » مستوفى . وقد كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ كما فى سائر الصلوات ؛ يؤذن واحد إذا جلس النبى ﷺ على

---

(١) آية ٥٨ سورة المائدة .

المنبر . وكذلك كان يفعل أبو بكر وعمر وعليّ بالكوفة ، ثم زاد عثمان على المنبر أذاناً[1] ثالثاً على داره التى تسمى « الزوراء »[2] حين كثر الناس بالمدينة . فإذا سمعوا أقبلوا ؛ حتى إذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذن النبى ﷺ ، ثم يخطب عثمان . خرّجه ابن ماجه فى سنَنه من حديث محمد بن إسحاق عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال : ما كان لرسول الله ﷺ إلا مؤذن واحد ؛ إذا خرج أذّن وإذا نزل أقام ، وأبو بكر وعمر كذلك ، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على دارٍ فى السوق يقال لها « الزوراء » ؛ فإذا خرج أذّن وإذا نزل أقام . خرجّه البخارى من طرق بمعناه . وفى بعضها : أن الأذان الثانى يوم الجمعة أمر به عثمان بن عَفّان حين كثر أهل المسجد ، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام . وقال الماوَرْدىّ : فأما الأذان الأول فمحدَث ، فعله عثمان بن عفّان ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها . وقد كان عمر رضى الله عنه أمر أن يؤذّن فى السوق قِبَلَ المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم ، فإذا اجتمعوا أذّن فى المسجد ، فجعله عثمان رضى الله عنه أذانين فى المسجد . قال ابن العربى . وفى الحديث الصحيح : أن الأذان كان على عهد رسول الله ﷺ واحداً ، فلما كان زمن عثمان زاد الأذان الثالث على الزوراء ، وسمّاه فى الحديث ثالثاً لأنه أضافه إلى الإقامة ، كما قال ﷺ : « بين كل أذانى صلاة لمن شاء » يعنى الأذان والإقامة . ويتوهم الناس أنه أذان أصْلِىّ فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وَهَماً ، ثم جمعوهم فى وقت واحد فكان وهَمَاً على وَهَم . ورأيتهم يؤذنون بمدينة السلام بعد أذان المنار بين يدى الإمام تحت المنبر فى جماعة ، كما كانوا يفعلون عندنا فى الدُّول الماضية . وكل ذلك مُحْدَث .

الخامسة ــ قوله تعالى ﴿ فَاسْعَوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ آختلف فى معنى السَّعْى هاهنا على ثلاثة أقوال : أولها ــ القَصد . قال الحسن : والله ما هو بِسعْيٍ على الأقدام ولكنه سَعْىٌ بالقلوب والنّية . الثانى ــ أنه العمل ، كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخرةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَاسَعَى ﴾

---

(١) أى أول الوقت عند الزوال .

وسماه ثالثا باعتبار كونة مزيدا على الأذان بين يدى الإمام والإقامة للصلاة . فهو أول باعتبار الوجود ، ثالث باعتبار مشروعية عثمان له باجتهاده وموافقة سائر الصحابة له بالسكوت والإنكار .

(٢) الزوراء : موضع بالسوق بالمدينة ، قيل إنه مرتفع كالمنارة . وقيل : حجر كبير عند باب المسجد .

وهذا قول الجمهور . وقال زهير :

* سَعَى بعدهم قوم لِكَىْ يدركوهم *[1]

وقال أيضا :

سَعَى ساعِياً غيظ بن مُرّة بعدما * تَبَزَّلَ ما بين العَشِيرة بِالدّمِ[2]

أى فاعملوا على المضى إلى ذكر الله ، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهير والتوجه إليه . الثالث ــ أن المراد به السَّعْى على الأقدام . وذلك فضل وليس بشرط ، ففى البخارِىّ : أن أبا عَبْس بن جَبْر ــ واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة ــ مشى إلى الجمعة راجلاً وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغْبَرَّتْ قدماه فى سبيل الله حرّمه الله على النار » . ويحتمل ظاهره رابعاً ــ وهو الجرى والاشتداد . قال ابن العربى : وهو الذى أنكره الصحابة الأعلمون والفقهاء الأقدمون . وقرأها عمر « فامضوا إلى ذِكرِ الله » فراراً عن طريق الَجرْى والاشتداد الذى يدلّ على الظاهر . وقرأ ابن مسعود كذلك وقال : لو قرأت « فاسْعَوْا » لسعيتُ حتى يسقط ردائى ، قرأ ابن شهاب : « فامضوُا إلى ذكر الله سالكاً تلك السبيل » . وهو كله تفسير منهم ؛ لا قراءة قرآن منزل . وجائز قراءة القرآن بالتفسير فى معرض التفسير . قال أبو بكر الأنبارى : وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود ، وأن خَرَشة بن الحُرّ قال : رآنى عمر رضى الله عنه ومعى قطعة فيها « فاسْعَوْا إلَى ذِكْرِ الله » فقال لى عمر : من أقراك هذا ؟ قلت أُبَى . فقال : إن أُبَيًّا أقرؤنا للمنسوخ . ثم قرأ عمر « فامضوا إلى ذِكرِ الله » . حدثنا إدريس قال حدّثنا خَلَف قال حدّثنا هُشيم عن المُغيرة عن إبراهيم عن خَرشَة ؛ فذكره . وحدثنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد وهو ابن سَعدان قال حدثنا سفيان بن عُيَيْنة عن الزَّهْرِى عن سالم عن أبيه قال : ما سمعت عمر يقرأ قطُّ إلا « فامضُوا إلى ذكر الله » . وأخبرنا إدريس قال حدثنا خلف قال حدّينا هشيم عن المغُيرة عن إبراهيم أن عبد الله بن مسعود قرأ « فامضُوا إلى ذكر الله » وقال : لو كانت « فاسْعَوْا » لسعيت حتى يسقط ردائى . قال أبو بكر : فاحتج عليه بأن الأمة أجمعت على « فاسْعَوْا » برواية ذلك عن الله ربّ العالمين ورسوله ﷺ . فأما عبد الله بن

---

(١)وعجزه : * فلم يفعلوا ولم يلاءموا ولم يألوا *

(٢) فى شرح ديوان زهير : «الساعيان» : الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان ، سعيا فى الديات . وقيل : خارجة بن سنان والحارث بن عوف ، «سعيا » أى عملا حسنا ، و «غيظ بن مرة» : حى من غطفان بن سعد . و « تبزل بالدم » : أى تشقق . يقول : كان بينهم صلح فتشقق بالدم . يقول : سعيا بعد ما تشقق فأصلحا .

مسعود فما صحّ عنه « فَامْضُوا » لأن السَّند غير متصل ؛ إذ إبراهيم النَّخَعِيّ لم يسمع عن عبد الله بن مسعود شيئاً ، وإنما ورد « فامضوا » عن عمر رضى الله عنه . فإذا انفرد أحد بما يخالف الآية والجماعة كان ذلك نسياناً منه . والعرب مُجْمِعة على أن السعى يأتى بمعنى المُضِيّ ؛ غير أنه لا يخلو من الجِدّ والانكماش . قال زهير :

سَعَى ساعيا غيْظ بن مُرَة بعدَما * تَنَزّل ما بين العَشِيرةِ بالدم

أراد بالسّعْى المضى بِجِدٍّ وانكماش ، ولم يقصد للعَدْوِ والإسراع فى الخَطْو . وقال الفرّاء وأبو عبيدة : معنى السعى فى الآية المضىّ . واحتج الفرّاء بقولهم : وهو يسعى فى البلاد يطلب فضل الله ؛ معناه هو يمضى بجد واجتهاد . واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

أسْعَى على جُل بنِي مالِكٍ * كلّ امرِىءٍ فى شأنه ساعِي

فهل يحتمل السعى فى هذا البيت إلا مذهب المضى بالانكماش ؛ ومحال ان يخفى هذا المعنى على ابن مسعود على فصاحته وإتقان عربيته .

قلت : ومما يدل على أنه ليس المراد هاهنا العَدو قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعَون ولكن ائتوها وعليكم السكينة » . قال الحسن : أمَا والله بالسّعى على الأقدام ، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ؛ ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة : السعى أن تسعى بقلبك وعملك . وهذا حسن ، فإنه جمع الأقوال الثلاثة . وقد جاء فى الاغتسال للجمعة والتطيب والتزيّن باللباس أحاديث مذكورة فى كتب الحديث

السادسة ــ قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خطاب للمكلفين بإجماع . ويخرج منه الَمرْضَى والزَّمْنَى والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل ، والعميان والشيخ الذى لا يمشى إلا بقائد عند أبى حنيفة . روى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبى أو مملوك .فمن استغنى بلَهْوٍ أو تجارةٍ استغنى الله عنه والله غنيٌّ حميد » خرّجه الدّار قُطْنى .وقال علماؤنا رحمهم الله : ولا يتخلف أحد عن الجمعة ممن عليه إتيانها إلا بعذر لا يمكنه منه الإتيان إليها ؛ مثل المرض الحابس ، أو خوف الزيادة فى المرض ، أو خوف جور السلطان عليه فى مال أو بدون القضاء عليه بحق . والمطر الوابل مع الوَحَل عذر إن لم ينقطع . ولم يره مالك عذراً له ؛ حكاه المهدوىّ . ولو تخلّف عنها متخلّف على وَلِىّ حَميم له قد حضرته الوفاة ، ولم يكن عنده من يقوم بأمره

رَجَا أن يكون فى سَعَة . وقد فعل ذلك ابن عمر . ومن تخلف عنها لغير عذر فصلّى قبل الإمام أعاد ، ولا يجزيه أن يصلّى قبله ، وهو فى تخلفه عنها مع إمكانه لذلك عاصٍ لله بفعله

السابعة ــ قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاة ﴾ يختص بوجوب الجمعة [على][1] القريب الذى يسمع النداء ، فأما البعيد الدار الذى لا يسمع النداء فلا يدخل تحت الخطاب . واختلف فيمن يأتى الجمعة من الدّانى والقاصى ، فقال ابن عمر وأبو هريرة وأنس : تجب الجمعة على من فى المِصْر على ستّة أميال . وقال ربيعة : أربعة أميال . وقال مالك والليث : ثلاثة أميال . وقال الشافعى : اعتبار سماع الأذان أن يكون المؤذن صيتاً[2] ، والأصوات هادئة ، والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سُور البلد . وفى الصحيح عن عائشة : أن الناس كانوا ينتابون[3] الجمعة من منازلهم ومن العَوَالِي فيأتون فى الغُبَار ويصيبهم الغُبار فتخرج منهم الريح ، فقال رسول الله ﷺ : « لو اغتسلتم ليومكم هذا » قال علماؤنا : والصوت إذا كان منيعاً والناس فى هدوء وسكون فأقصى سماع الصوت ثلاثة أميال . والعَوَالى من المدينة أقربها على ثلاثة أميال . وقال أحمد بن حنبل وإسحاق : تجب الجمعة على من سمع النداء . وروى الدَّارقُطْنِىّ من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال : « إنما الجمعة على من سمع النداء » . وقال أبو حنيفة وأصحابه : تجب على مَن فى المصْر ، سَمِع النداء أو لم يسمعه ، ولا تجب على من هو خارج المصر وإن سمع النداء . حتى سئل : وهل تجب الجمعة على أهل زيارة ــ بينها وبين الكوفة مجرى نهر ــ ؟ فقال لا . وروى عن ربيعة أيضا : أنها تجب على من إذا سمع النداء وخرج من بيته ماشياً أدرك الصلاة . وقد روى عن الزهرى : أنها تجب عليه إذا سمع الأذان .

الثامنة ــ قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ الله ﴾ دليل على أن الجمعة لا تجب إلا بالنداء ، والنداء لا يكون إلا بدخول الوقت ، بدليل قوله ﷺ : « إذا حضرت الصلاة فأذّنا ثم أقيما ولْيَؤُمّكما أكبركما » فاله لمالكٍ ابن الحُوَيْرِث وصاحبه . وفى البخارى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس ، وقد روى عن أبى الصِّدّيق وأحمد بن حنبل أنها تُصَلّى قبل الزوال .

---

(١) التكملة عن ابن العربى .

(٢) رجل صيت : شديد الصوت عاليه . وفى رواية « يتناوبون » .

(٣) أى يحضرونها نوبا .

وتمسك أحمد فى ذلك بحديث سَلَمة بن الأكوع : كنا نصلى مع النبى ﷺ ثم ننصرف وليس للحيطان ظلٌّ . وبحديث أن عمر : ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة . ومثله عن سَهْل . خرّجه مسلم . وحديث سَلَمة محمول على التبكير . رواه هشام بن عبد الملك عن يَعْلَى بن الحارث عن إياس بن سلمة بن الأكْوَع عن أبيه . وروى وَكِيع عن يَعْلَى عن أياس عن أبيه قال : كنا نُجَمِّع مع رسول الله ﷺ إذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفَيْء . وهذا مذهب الجمهور من الخلَف والسَّلَف ، وقياساً على صلاة الظهر . وحديث ابن عمر وسَهْل ، دليلٌ على أنهم يبكّرون إلى الجمعة تبكيراً كثيراً عند الغداة أو قبلها ، فلا يتناولون ذلك إلا بعد انقضاء الصلاة . وقد رأى مالك أن التبكير بالجمعة إنما يكون قرب الزوال بيسير . وتأوّل قولَ النبىّ ﷺ : « من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرّب بَدَنَة .. » الحديث بكماله . إنه كان فى ساعة واحدة . وحَمَله سائر العلماء على ساعات النهار الزمانية الاثنتى عشرة ساعة المستوية أو المختلفة بحسب زيادة النهار ونقصانه . ابن العربىّ : وهو أصحّ ؛ لحديث ابن عمر رضى الله عنهما : ما كانوا يُقيلون ولا يتغدّون إلا بعد الجمعة لكثرة البكور إليها .

التاسعة ــ فرض الله تعالى الجمعة على كل مسلم ؛ رداً على من يقول : إنها فرض على الكفاية ؛ ونقل عن بعض الشافعية . ونقل عن مالك من لم يُحَقّق : أنها سنة . وجمهور الأمة والأئمة أنها فرض على الأعيان ؛ لقول الله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وثبت عن النبّى ﷺ أنه قال : « لَيَنْتَهِيَنّ أقوام عن وَدْعِهم الجُمعات أو لَيَخْتِمَنَّ الله على قلوبهم ثم ليكُونُنَّ من الغافلين » . وهذا حجة واضحة فى وجوب الجمعة وفرضيتها . وفى سنُن ابن ماجه عن أبى الجَعْد الضَّمْرِىّ ــ وكانت له صحبة ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه » . إسناده صحيح . وحديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة طَبَع الله على قلبه » . ابن العربى : وثبت عن النبىّ ﷺ أنه قال : « الرَّواح إلى الجمعة واجب على كل مسلم » .

العاشرة ــ أوجب الله السَّعْى إلى الجمعة مطلقاً من غير شَرْط . وثبت شرط الوضوء بالقرآن والسنة فى جميع الصلوات ؛ لقوله عز وجل : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الآية[1] . وقال النبىّ ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور »

---

(١) مابين المربعين لم يرد فى صحيح مسلم .

وأغْرَبت طائفة فقالت : إن غسل الجمعة فرض . ابن العربيّ : وهذا باطل ؛ لما روى النسائى وأبو داود فى سننهما أن النبىّ ﷺ قال : « من توضأ يوم الجمعة فبِها ونِعْمَتْ . ومن اغتسل فالغسل أفضل » . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ [يوم الجمعة(١)] فأحسن الوضوء ثم راح إلى الجمعة فاستمع وأنصت غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام . ومن مَسّ الحَصَى(٢) فقد لَغَا(٣) » وهذا نَصٌّ . وفى الموطأ : أن رجلاً دخل يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب ... ـــ الحديث(٤) إلى أن قال : ـــ مازدتُ على أن توضأت ، فقال عمر : والوضوء أيضا ؟ وقد علمت أن رَسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل . فأمر عمر بالغسل ولم يأمره بالرجوع ، فدلّ على أنه محمول على الاستحباب . فلم يكن وقد تلبّس بالفرض ـــ وهو الحضور والإنصات للخطبة ـــ أن يرجع عنه إلى السُّنة ، وذلك بمحضر فحول الصحابة وكبار المهاجرين حوالى عمر ، وفى مسجد النبىّ ﷺ .

الحادية عشرة ـــ لا تسقط الجمعة لكونها فى يوم عيد ، خلافاً لأحمد بن حَنْبل فإنه قال : إذا اجتمع عِيد وجمعة سقط فرض الجمعة ؛ لتقدّم العيد عليها واشتغال الناس به عنها . وتعلّق فى ذلك بما روى أن عثمان أذِن فى يوم عيد لأهل العَوَالى(٥) أن يتخلّفوا عن الجمعة . وقول الواحد من الصحابة ليس بحجة إذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه . والأمر بالسَّعْى متوجّه يوم العيد كتوجهه فى سائر الأيام . وفى صحيح مسلم عن النُّعمان بن بَشير قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة : بـ « سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأعلَى » و « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ » قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضا فى الصلاتين . أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(١) ما بين المربعين لم يرد فى صحيح مسلم .

(٢) أى سواء للسجود غير مرة فى الصلاة .

(٣) اللغو : الكلام المطرح الساقط .

(٤) الحديث كما ورد فى الموطأ وشرحه : « دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ المسجد يوم الجمعة وعمر يخطب . فقال عمر : أية ساعة هذه ؟ (إشارة إلى أن هذه الساعة ليست من ساعات الرواح إلى الجمعة لأنه وقت طويت فيه الصحف) ـــ فقال : يا أمير المؤمنين : انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت ـــ (اعتذار منه على أنه لم يشتغل بغير الفرض مبادرة إلى سماع الخطبة والذكر) ـــ فقال عمر : الوضوء أيضا ! وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل . (معناه أنك مع ما فاتك من التهجير فاتتك فضيلة الغسل الذى قد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر به) .

(٥) العوالى : أما كن بأعلى أراضى المدينة وأدناها من المدينة على أربعة أميال ، وأبعدها من جهة نجد ثمانية .

الثانية عشرة ــ قوله تعالى : ﴿ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ أى الصلاة . وقيل الخطبة والمواعظ ؛ قاله سعيد بن جبير . ابن العربىّ : والصحيح أنه واجب فى الجميع ؛ وأوله الخطبة . وبه قال علماؤنا ؛ إلا عبد الملك بن الماجِشُون فإنه رآها سُنّة . والدليل على وجوبها أنها تُحَرِّم البيع ولولا وجوبها ما حَرّمته ؛ لأن المستحبّ لا يُحَرِّم المباح . وإذا قلنا : إن المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة . والعبد يكون ذاكراً لله بفعله كما يكون مسبِّحاً لله بفعله . الزمخشرى : فإن قلت : كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك ! قلت : ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله . فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم ، وهم أحقاء بعكس ذلك ؛ فهو من ذكر الشيطان ، وهو من ذكر الله على مراحل .

الثالثة عشرة ــ قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ منع الله عز وجل منه عند صلاة الجمعة ء وحرّمه فى وقتها على من كان مخاطَباً بفرضها . والْبَيْعَ لا يخلو عن شراء فاكتفى بذكر أحدهما ، كقوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ وخصّ البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق . ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينُهى عن البيع والشّراء .

وفى وقت التحريم قولان : إنه من بعد الزوال إلى الفراغ منها ، قاله الضحاك والحسن وعطاء . الثانى ــ من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة ، قاله الشافعى ، ومذهب مالك أن يترك البيع إذا نُودِىَ للصّلاة ، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع فى ذلك الوقت ، ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره ، إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع . قالوا : وكذلك الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ . ابن العربىّ : والصحيح فسخ الجميع ، لأن البيع إنما مُنع منه للاشتغال به . فكل أمرٍ يَشْغَل عن الجمعة من العقود كلّها فهو حرام شرعاً مفسوخ رَدْعاً . المهدوِىّ : ورأى بعض العلماء البيعَ فى الوقت المذكور جائزا ، وتأوَّل النَهْى عنه ندباً ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

قلت : ــ وهذا مذهب الشافعى ؛ فإن البيع ينعقد عنده ولا يفسخ . وقال الزَّمَخْشَرِىّ فى تفسيره : إن عامة العلماء على أن ذلك لا يؤدّى فساد البيع . قالوا : لأن البيع لم يَحْرُمْ لعينه ، ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب ؛ فهو كالصلاة فى الأرض المغصوبة والثوب المغصوب ، والوضوء بماء مغصوب . وعن بعض الناس أنه فاسد

قلت : والصحيح فساده وفسخه ؛ لقوله ﷺ : « كلُّ عملٍ ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ » . أى مردود . الله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْض ﴾ هذا أمر إباحةٍ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ . يقول : إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا فى الأرض للتجارة والتصرف فى حوائجكم . ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله ﴾ أى من رزقه . وكان عراك بن مالك إذا صلّى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللَّهُمّ إنى أجبت دعوتك ، وصلّيت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين . وقال جعفر ابن محمد فى قوله تعالى : ﴿ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله ﴾ إنه العمل فى يوم السبت . وعن الحسن ابن سعيد بن المسَيِّب : طلب العلم . وقيل : صلاة التطوّع . وعن ابن عباس : لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا ؛ إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الأخ فى الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ واذْكُرُوا الله كَثِيراً ﴾ أى بالطاعة واللسان ، وبالشكر على ما به أنعم عليكم من التوفيق لأداء الفرائض . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ كى تفلحوا . قال سعيد ابن جبير : الذكر طاعة الله تعالى ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح . وقد مضى هذا مرفوعاً فى « البقرة » .

الجمعة في الحديث النبوي

نقلاً عن كتاب جمع الفوائد
من جامع الأصول ومجمع الزوائد
للإمام محمد بن محمد بن سليمان

فضل صلاة الجمعة ووجوبها

١ ــ أبو هريرة ، رفعه : من اغْتَسل يَوْم الجمعَةِ غُسلَ الجنابَة ثمَّ راحَ فكأنَّما قرَّب بدنةً ومنْ رَاحَ فى السَّاعةِ الثانيةِ فكأنمَّا قَرَّب بقرة ومنْ راحَ فى السَّاعةِ الثالثة فكأنمَّا قَرَّب كَبْشاً أقْرنَ ومنْ راحَ فى السَّاعة الرَّابعةِ فكأنمَّا قَرَّب دَجاجةً ومنْ راحَ فى السَّاعة الخامِسةَ فكأنَّما قَرَّبَ بيْضةً فإذا خَرَج الإمامُ حَضرت الملائكةُ يسْتَمِعون الذِّكْر .

[للستة]

٢ ــ وفى روايةٍ : إذا كانَ يومُ الجُمعةِ كانَ علَى كلِّ بابٍ من أبْوابِ المسْجِد ملائكةٌ يكْتُبون الأوَّل فالأوَّل ، فإذا جاءَ الإمامُ طَووا الصُّحفَ وجاءُوا يسْتمِعونَ الذِّكْرَ .

٣ ــ وفى أخْرَى : مَثلَ المهَجِّر إلَى الجُمعةِ كالمهْدِى بَدنةً ثمَّ كالمهْدِى بقَرةً ثم كالمهْدِى شاة ثمَّ كالمهْدِى بطَّةً ثمَّ كالمهْدِى دجَاجةً ثمَّ كالمهْدِى بَيْضةً .

٤ ــ وفى أخْرَى نَحْوه بإسْقاطِ البطَّة وذكَرَ عُصفوراً بعد الدَّجاجَة .

٥ ــ ولمسْلِمٍ وأبى دواد والترمذى : منْ توضَّأ فأحْسنَ الوُضوءَ ثمَّ أتَى الجُمعَة فاسْتمعَ وأنْصتَ غُفِر له ما بيْنهُ وبين الجمُعةِ وزِيادَة ثلاثةِ أيَّامٍ ، ومن مسَّ الحصَا فقَدْ لَغا .

٦ ــ سلمان ، رفعه : لا يغْتسلُ رجلٌ يَوْم الجمُعةِ ويتَطهَّر ما استْطاعَ منَ الطَّهورِ ويدَّهِن مِنْ دُهنهِ ويمسُّ مِن طِيب بيته ثمَّ يخْرجُ فَلا يُفرقُ بيْن اثنيْن ثمَّ يُصلِّى ما كتَبَ الله لهُ ثمَّ ينْصتُ إذا تكلَّم الإمامُ إلَّا غُفِر لَه ما بيْنهُ وبيْنَ الجمعَةِ الأخْرَى .
[للبخارى والنَّسائى]

٧ ــ أوس بن أوس الثقفي ، رفعه : مَنْ غَسَّلَ واغتسل وبكَّر وابْتكر ومَشَى ولَم يرْكَب ودَنا مِنَ الإمام ولَم يلْغُ واستَمَع كانَ لهُ بكلِّ خُطوةٍ عَملُ سنَةٍ صِيامِها وقِيامِها .
[لأصحاب السنن]

٨ ــ أَبُو بكر وعِمران بن حُصين رفعاه : مَنِ اغْتَسل يَوْم الجُمعَةِ كُفِّرت عنْهُ ذُنوبُه وخَطاياهُ. فإذا أَخَذَ فى المشْيِ كُتِبَ لهُ بِكلِّ خطوةٍ عشْرونَ حَسنَة فإذا انْصرفَ مِنَ الصَّلاة أجيزَ بعَملِ مائتَى سنَةٍ .

[للكبير والأوسط بلين]

٩ ــ ابن عمرو بن العاص ، رفعه : يحْضرُ الجمعَةَ ثَلاثُ نَفرٍ ، فرجلٌ حَضرَها يلْغُو فذلكَ حظُّه مِنْها ورَجلٌ حَضرَها يدْعُو فهُو رجلٌ دَعا إنْ شاءَ الله أعْطاهُ وإنْ شاءَ منَعهُ ورجلٌ حَضرَها بإنْصاتٍ وسُكوتٍ ولم يَخْط رقبةَ مُسلمٍ ولَم يؤْذِ أَحَداً فهِىَ كفارةٌ إلَى الجُمعَةِ التَّى تَليها وزيادَة ثلاثَة أيَّامٍ ، وذلك أنَّ الله تعالى يقُولُ مَنْ جاءَ بالحسَنةِ فلهُ عَشْر أمْثالِها .

١٠ ــ علِىٌّ ، قالَ وهُو علَى المنْبَر فى الكُوفة : إذا كانَ يوْمُ الجمعَة غَدتِ الشَّياطينُ برايَاتِهاإلَى الأسْواقِ فيرْمُون الناسَ بالترابيث والرَّبائثِ ويُبطِّئونهم عَن الجُمعَةِ وتغْدُو الملائِكةُ فيَجْلِسونَ علَى أبْوابِ المسْجِد ويكْتبُون الرَّجلَ مِنْ ساعةٍ والرَّجُل مِنْ ساعَتيْنِ حتَّى يخْرجَ الإمامُ فإذا جَلَس الرجلُ مَجلساً يستمكِنُ فيه منَ الاسْتماعِ والنَّظرِ فأنْصتَ ولَم يلْغُ كانَ لهُ كِفْلان مِن الأجْرِ ، فإنْ نأى حيثُ لا يَسمعُ فأنْصتَ ولَم يَلغُ كانَ لهُ كِفلٌ مِنَ الأجْرِ فإنْ جَلسَ مَجلساً يَستْمكنُ مِنَ الاسْتماعِ والنَّظرِ فَلغا ولَم يُنصت كانَ لهُ كِفْلان مِنْ وزرٍ فإنْ جَلسَ مَجلساً لا يَستْمكِنُ فيهِ مِنَ الاسْتماعِ والنَّظر ولغَا فليْسَ لهُ فى جُمعتِه تلْكَ شيءٌ سمعتُ النبىَّ ﷺ يقُولُ ذلك .

١١ ــ عمرو بن العاص ، رفعه مَنِ اغْتسلَ يَوْم الجُمعَة ومَسَّ طِيبَ امْرأتِه إنْ كان لَها ولَبسَ مِنْ صالِح ثِيابه لم يتَخطَّ رِقابَ النَّاسِ ولم يلْغُ عِند المَوْعِظة كانَتْ كفَّارةً لما بيْنَهما ، ومَنْ لَغا وتخطَّى رِقابَ النَّاس كانَتْ لَهُ ظُهْراً .

١٢ ــ ابن عمرو بنِ العاص ، رفعه : الجُمعةُ علَى مَنْ سَمعَ النِّداء .

---

١٠ ــ فيه مجهول .
١٢ ــ فيه مجهولان .

١٣ ــ طارق بن شهاب ، رفعه : الجُمعةُ حقٌّ واجبٌ علَى مُسلمٍ فى جَماعةٍ إلَّا علَى أرْبعةٍ : عبدٍ مملُوكٍ ، أو امرأةٍ أوْ صبَى أوْ مريضٍ .

[خمستها لأبى داود]

١٤ ــ رجلٌ مِنْ أهْلِ قُباءَ ؛ عنْ أبيهِ وكانَ من الصَّحابةِ : قالَ أمرَنا النبىُّ ﷺ أنْ نَشهْد الجُمعَة مِنْ قُباء .

١٥ ــ أبو هريرة ، رفعه : الجُمعةُ علَى مَنْ آواهُ اللَّيلُ إلَى أهْلِه .

١٦ ــ أبو سعيد : خَطبَنا النبىُّ ﷺ فقالَ : إنَّ الله كتَبَ عَليْكُم الجُمعَة فى مَقامِى هٰذا فى ساعَتِى هٰذِه فى شَهْرِى هٰذا فى عامِى هذا إلَى يوْم القِيامَة مَنْ تَركَها مِنْ غيْر عُذْر مَع إمامٍ عادلٍ أوْ جائرٍ فَلا جُمِع لَه شَمْلُهُ ولا بُورِك لهفىأمْرِه، ألَا ولَا صلَاة له ، ألَا ولا حَجَّله، ألَا ولابِرَّ لهُ، ألا ولا صَدَقَة له .

[للأوسط وفيه موسى بن عطية الباهلى]

١٧ ــ أبو الجعد الضمرى ، وكانَتْ لهُ صُحبةٌ رفعه : مَنْ تَركَ ثلاثَ جُمعٍ تَهاوناً بها طَبعَ الله علَى قَلْبه .

[لأصحاب السنن]

١٨ ــ أبو هريرة ، رفعه : ألَا هلْ عَسَى أحدُكم أنْ يتَّخذَ الصبُّة منَ الغَنم علَى رأْسِ مِيل أو مِيلَيْنِ فيتَعذَّر عليْهِ الكلامُ فيرْتَفع ثمَّ تجىءُ الجُمعةُ فلَا يجىءُ ولا يشهدُها وتجىءُ الجمعةُ فَلا يشْهدُها وتجىءُ الجمعَةُ فلا يَشْهدها حتى يُطبَع علَى قَلْبه .

[للقزوينى بضعف]

١٩ ــ وعنه ، رفعه : لَينتهينَّ أقوامٌ عَنْ وَدْعِهم الجُمعاتِ أوْ ليخْتمنَ الله علَى قلُوبِهمْ ثمَّ ليكونُنَّ مِنَ الغافِلينَ .

[لمسلم والنَّسائى]

٢٠ ــ علقمة : خَرجْتُ مَع عَبْد الله إلَى الجُمعةِ فوجَدَ ثلاثةً قدْ سَبقوهُ فقالَ : رابعُ أرْبعةٍ وما رابعٌ بَعيدٍ ، إنَّى سَمعتُ رَسُول الله ﷺ يقُولُ : إنَّ الناسَ يجْلسُون مِن الله

---

١٥ ــ اسناده ضعيف .

١٨ ــ فيه معدى بن سليمان وهو ضعيف .

يوْم القِيامةِ علَى قدْرِ رَواحِهِم إلى الجُمعاتِ الأوَّل والثَّانى والثَّالث ثُّم قالَ : رابعُ أرْبعةٍ وَما رابعُ أرْبعةٍ بيَعيدٍ .

[للقزوينى]

٢١ ــ ابن مسعود ، رفعه : لَقد هَممْتُ أنْ آمرُ رَجلاً يصلِّى بالناسِ ثُمّ أحرِّقَ علَى رجالٍ يتخَلَّفونَ عَنِ الجُمعةِ بُيوتَهم .

[لمسلم]

٢٢ ــ سمرة بن جندب ، رفعه : مَنْ تَركَ الجُمعةَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فليتصدَّقْ بِدينارٍ فإنْ لَم يَجِد فَبنصْفِ دِينارٍ .

[لأبى داود والنَّسائى]

٢٣ ــ وفى روايةٍ : فلْيَتصدَّق بِدرهمٍ أوْ نصفِ دِرْهمٍ أوْ صاع حِنْطةٍ أوْ نِصف صاعٍ .

٢٤ ــ ابن عباس ، قال لمؤذنه فى يوم مطير وكان يوم جمعة : إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حىّ على الصلاة ، قل صلوا فى بيوتكم ، فكأن الناس استنكروا فقال : فعله من هوخير منى إن الجمعة عزمة وإنى كرهت أن أخرجكم فتمشون فى الطين والدحض والزلل .

[للشيخين وأبى داود]

٢٥ ــ أبو سعيد ، رفعه : غسل الجمعة واجب على كل محتلم ، وأن يستن وأن يمس طيباً إن وجد . [للستة إلا الترمذى] قال عمرو : أما الغسل فأشهد أنه واجب وأما الاستنان والطيب فالله أعلم .

٢٦ ــ أبو هريرة ، أن عمر بينا هو يخطب يوم الجمعة إذ دخل عثمان فناداه عمر : أية ساعة هذه ؟ قال : إنى شغلت اليوم فلم أنقلب إلى أهلى حتى سمعت التأذين فلم أزد على أن توضأت ، فقال عمر : والوضوء أيضاً ؟ ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل .

[للستة إلا النَّسائى]

---

٢٢ ــ منقطع ، مضطرب .

٢٣ ــ ضعيف .

٢٧ ــ عائشة ، قالت : كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالى فيأتون فى العباء ويصيبهم الغبار والعرق فتخرج منهم الريح ، فأتى رسول الله ﷺ إنسان منهم وهو عندى فقال النبى ﷺ لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا .

[للشيخين وأبى داود والنَّسائى]

٢٨ ــ سمرة بن جندب ، رفعه : من توضأ يوم الجمعة فبهاونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل .

[لأصحاب السنن]

٢٩ ــ يحيى بن سعيد ، بلغه : أن النبى ﷺ قال ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته .

[لمالك]

٣٠ ــ كان لرسول الله ﷺ ثوبان يلبسهما فى جمعته فإذا انصرف طويناهما إلى مثله .

[للأوسط والصغير بلين]

٣١ ــ أبو عبيدة ، رفعه : ما مِنَ الصَّلواتِ صلاةٌ أَفْضلُ مِنْ صَلاة الفَجْر يَوْم الجُمعَة فى الجَماعةِ ، ولا أَحْسبُ مَنْ شَهِدها مِنْكُم إلَّا مغْفُوراً لهُ .

[للبزار والكبير والأوسط بضعف]

٣٢ ــ أبو هريرة : أنَّ النبىَّ ﷺ كانَ يُقلِّم أظفْارهُ ويقُصُّ شارِبَه يَوْم الجُمعة قبْلَ أنْ يَخرجَ إلَى الصَّلاةِ .

[للبزار والأوسط بلين]

٣٣ ــ عائشة ، رفعته : من قلَّم أظفْارهُ يوْم الجُمعةِ وُقىَ مِنَ السُّوء إلَى مِثْلها .

٣٤ ــ أبو هريرة ، رفعه : أَكْثِروُا مِنَ الصَّلاةِ عَلَىَّ فى اللَّيلة الزَّهْراءِ واليَوْم الأَزْهَر فإنَّ صَلاتكُم تُعرضُ علىَّ .

[هما للأوسط بضعفَ]

---

٣١ ــ فيه ضعيفان .

٣٢ ــ ضعيف .

٣٣ ــ فيه أحمد بن ثابت ويلقب فرجونة وهو ضعيف

٣٤ ــ ضعيف .

٣٥ ــ أبو سعيد ، رفعه : خَمسٌ مَنْ عَملهنَّ فى يَومٍ كَتبهُ الله مِنْ أهْلِ الجنَّةِ : مَنْ صامَ يَوْم الجُمعَة ، وراحَ الَى الجُمعَةِ ، وشَهِدَ جَنازةً ، وأعْتقَ رقبةً وسَقَط وعادَ مَريضاً ، والله أعْلم .

[للموصلى]

٣٦ ــ وللأوسط بلين عن أبى أمامةَ ، رفعه : مَنْ صلَّى الجُمعةَ وصامَ يوْمه وعادَ مَريضاً وشَهدَ جنازةً وشَهِدَ نِكاحاً وجَبَت لَهُ الجنَّة .

---

٣٦ ــ ضعيف

وقت الجمعة ونداؤها وخطبتها وما يتعلق بذلك

١ / أنس : كانَ النبىُّ ﷺ يُصلِّى الجمُعَة حينَ تَميلُ الشَّمسُ .
[للبخارى وأبى داود والترمذى]

٢ / وللبخارى فى أخْرَى : كانَ ﷺ إذا اشْتَد البردُ بكَّر بالصَّلاةِ وإذا اشْتدَّ الحرُّ أبْرَدَ بالصَّلاةِ ، يعْنِى الجُمُعة .

٣ / سهل بن سعد : ما كنَّا نُقيلُ ولا نَتغدَّى إلَّا بعْدَ الجمُعةِ .
[للشيخين وأبى داود والترمذى]

٤ / سلمة بن الأكوع : كنَّا نُصلِّى مع النَّبى ﷺ الجُمُعة ثمَّ نَنْصرفُ ولَيس للحِيطان فَيْءٌ .
[للشيخين وأبى داود والنَّسائى]

٥ / السائب بن يزيد : كانَ النِّداءُ يَوْم الجُمعَة أوَّلهُ إذا جَلسِ الإمامُ عَلَى المِنْبر فى عَهْد النَّبى ﷺ وأبى بَكْر وعُمرَ فلمَّا كانَ عُثمانُ وكَثُر الناسُ زادَ النِّداءَ الثَّالثَ علَى الزوارء فَثبت الأمْرُ علَى ذلَكَ .
[للبخارى وأصحاب السنن]

٦ / جابر بن سَمُرة : كانَ النَّبى ﷺ يخْطبُ قائماً ثمَّ يجْلسُ ثمَّ يقُومُ فيخْطُب قائماً فمنْ نَبَّأك أنهُ كانَ جالِساً فَقَد كذَبَ. فَقَد والله صَلَّيتُ معهُ أكْثر مِنْ ألْفى صلاةٍ .
[لمسلم وأبى داود والنَّسائى]

٧ / ابن عمر : كانَ رسُولُ الله ﷺ يخْطُب خُطبتَين كانَ يجْلسُ إذا صَعَد المنْبرَ حتَّى يفرُغَ المَؤذِّن ثمَّ يقُومُ فيخْطُب ثمَّ يجْلسُ فَلا يَتكلَّم ثمَّ يقُومُ فيخْطُب .
[للستة إلا مالكاً]

٨ / كعب بن عجرة : دَخلَ المسْجدَ وعبْدُ الرحمٰن بنُ أمِّ الحَكَم يخْطُب قاعِداً فَقالَ : انظُروا إلَى هٰذا الخَبيثِ يخْطبُ قاعِداً وقالَ الله تَعالَى : ﴿ وإذَا رَأوْا تِجارةً أوْ لَهواً انْفضُّوا إلَيها وتَرَكُوكَ قائما ﴾

[لمسلم والنَّسائى]

٩ / عمارة بن رويبة : أنّه رأى بُشْرى بنَ مَرْوانَ علَى المنْبرَ رافعاً يَديهِ فَقالَ : قَبح الله تَيْنكَ اليَديْنَ لَقدْ رأيتُ رسول الله ﷺ ما كانَ يَزيدُ علَى أنْ يقُول بِيدهِ هٰكذا وأشارَ باصبعِه المسبِّحة .

[لمسلم وأصحاب السنن]

١٠ / الحكم بن الحزن الكلفى : شَهدَ الجُمعةَ معَ النَّبى ﷺ فَقام مُتوكئاً علَى عَصَا أوْ قوسٍ فَحمِد الله وأثْنَى عليْهِ بكلِمات خَفيفاتٍ طَيِّباتٍ مُباركاتٍ ثمَّ قال أيُّها الناسُ إنّكُم لَن تُطيقُوا أوْ لَن تَفْعلوا كلَ ماأمَرْتم بِهِ ولٰكن سدِّدوا وأبْشِروُا .

[لأبى داود]

١١ / جابر : كانَ النبىُّ ﷺ إذا خَطَب احمَرتْ عَيناهُ وعلَا صَوتُه واشْتدَّ غضبهُ حتَّى كأنهُ منْذِر جَيشٍ يقُولُ : صبَّحكُم ومسَّاكُم ، ويقُول : بُعثتُ أنا والسَّاعَة كَهاتَين — ويقْرِنُ بين إصبعيهِ السبَّابة والوُسْطى ، ويقُولُ : أمَّا بعدُ فإنَّ خَير الحديثِ كِتاب الله وخَيْر الهَدْى هَدْى محمَّدٍ وشرَّ الأمور مُحدَثاتُها وكلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ ثمَّ يقُولُ أنا أوْلَى بكلِّ مؤمنٍ مِنْ نَفْسه مَنْ تَركَ مالاً فَلأهلِه ومَنْ تَركَ دَيْناً أوْ ضياعاً فإلَىَّ وعلىَّ .

[لمسلم والنَّسائى]

١٢ / ابن مسعود : أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا تَشهَّد قَال : الحمدُ لله نستعِينهُ ونستَغفِرهُ ونَعوذُ بالله مِنْ شُرورِ أنْفسنِا مَنْ يهْدِ الله فِلا مُضلَّ له ومن يُضلِل فَلا هادِى له وأشْهدُ أنْ لَا إلٰه إلَّا الله وأشْهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورَسُوله أرْسلَه بالحقِّ بَشيراً ونَذيراً بْينَ يَدى السَّاعةِ مَن يُطعِ الله ورَسُوله فَقد رَشدَ ومَنْ يَعْصهما فإنَّه لا يضُرّ إلَّا نفْسهُ ولا يضرُّ الله شيئاً .

١٣ / وفى روايةٍ : أنَّ يونسَ سألَ ابَن شهابٍ عَن تَشهُّدهِ ﷺ يَوْم الجُمعة فذكَرَ نحْوهُ قال : ومَنْ يَعصهِما فِقَد غَوَى ، ونسْأَلُ الله ربَّنا أنْ يَجْعلنَا مِمن يُطيعهُ ويُطيعُ رسُولَه ويتَّبعُ رضوانه ويتجنَّب سُخْطهُ إنمَّا نَحنُ به ولهُ .

[لأبى داود]

١٤ / جابر بن سمرة : كانَتْ صلاةُ النَّبى ﷺ قَصْداً وخُطْبَتُه قَصْداً يقْرأ بآيات مِن القُرآن ويذكِّر النَّاس .

١٥ / وفى روايةٍ : كانَ ﷺ لايُطيلُ المَوْعِظة يَوْم الجُمعَة إنَّما هُنَّ كلماتٌ يَسيراتٌ .
[لمسلم وأصحاب السنن]

١٦ / عمَّار ، رفعه : إنَّ طُولَ صَلاة الرَّجلِ وقِصرَ خُطبتِه مئِنةٌ مِنْ فِقْهه فأقْصِروا الخُطبةَ وأطِيلُوا الصَّلاةَ وإنَّ مِنَ البَيانِ سِحْراً .
[لمسلم وأبى داود]

١٧ / ابن مسعود : كانَ رسولُ الله ﷺ إذا استَوى علَى المِنْبر استْقبلناهُ بوُجُوهِنا .
[للترمذى]

١٨ / أبو هريرة ــ رفعه : كلُّ خُطبةٍ لَيسَ فِيها تشهُّدٌ فَهَى كاليدِ الجَذْماء .
[لأبى داود والترمذى]

١٩ / زيد بن أرقم : أنَّ النبىَّ ﷺ خَطبهُم فقالَ : أمَّا بَعدُ .

٢٠ / أبو هريرة ، رفعه : كلُّ كلامٍ لا يُبدأ فيهِ بالحمْدِ لله فَهُو أجْذَمَ .
[هما لأبى داود]

٢١ / كعب بن مالك ، رفعه : كلُّ أمرٍ ذِى بالٍ لا يُبْدأ فيه بالحمدِ لله أجْذَمَ أوْ أقْطَع .
[للكبير بلين]

٢٢ / سَمُرة بن جندب ، رفعه : احْضرُوا الذكر وادنُوا مِن الإمامِ فإنَّ الرَّجُل لا يزالُ يتباعَدُ حتَّى يؤخَّر فى الجنة وإنْ دَخَلها .
[لأبى داود]

٢٣ / أبو رفاعة العدوى : أتيتُ النَّبىَّ ﷺ فقلْتُ : يا رَسُول الله رجلٌ غريبٌ جاءكَ عنْ دِينهِ لا يدْرِى ما دينهُ فأقْبلَ عَلىَّ وتَركَ خُطبتَه حتَّى انْتَهى إلَىَّ فأتَى بكُرسىٍّ حَسبتُ قوائمه حَدِيداً فَقَعد عليْه وجَعَل يُعلِّمنى ثمَّ أتَى الخُطَبة فأتمَّ آخرَها .
[لمسلم والنَّسائى]

---

١٧ ــ فيه محمد بن الفضل بن عطية وهو ضعيف .

٢٤ ــ عثمان ، كان يقُول فى خُطبتِه قلَّما يدعُ ذلكَ : إذا قامَ الإمامُ يخْطُب يَوم الجُمعةِ فاستمعُوا وأنْصِتُوا فإنَّ للمنْصتِ الَّذى لا يَسْمعُ منَ الحظِّ مِثْل ما للمنْصِت السَّامِع فإذا قامَتِ الصَّلاةُ فاعْدلُوا الصُّفوفَ وحاذُوا بالمناكِبِ فإنَّ اعْتدالَ الصُّفوفِ مِنْ تمامِ الصَّلاةِ . ثمَّ لا يُكبر حتَّى يأتيهِ رجالٌ قد وكَّلَهم بتَسْوية الصُّفوف فيخْبرُونه أنْ اسْتَوت فَيكبِّر .

[لمالك]

٢٥ ــ أبو هريرة ، رفعه : إذا قُلتَ لِصاحبكَ يَوْم الجُمعَة أنْصتِ والإمامُ يخْطُب فَقَد لَغْوت .

[للستة]

٢٦ ــ أنس : كانَ النبىُّ ﷺ يُكلِّم بالحاجةِ إذا نَزلَ مِنَ المِنْبر .

[لأصحاب السنن]

٢٧ ــ عبد الله بن أبى رافع : اسْتخلَف مَروانُ أبا هريرةَ فصلَّى الجُمعةَ بسُورتى الجُمعَة والمنافِقُون فقلْتُ له : قرأتَ بسُورتَيْن كانَ علىٌّ يقْرأُ بِهِما فى الكوفةِ ، قالَ : إنِّى سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقْرأ بِهِما .

[لمسلم وأبى داود والترمذى]

٢٨ ــ زاد فى الأوسط : أنهُ ﷺ يقرأ بالجمعَةِ فيُحرِّض بها المؤْمنينَ ، وبالمنافِقين فيقْرعُ بها المنافِقِين .

٢٩ ــ سمرة بن جندب : أنَّ النبىَّ ﷺ كانَ يقْرأ فى الجُمُعة ﴿ سبِّح اسْم رَبكَ الأعْلَى ﴾ و ﴿ هلْ أتاكَ حِديثُ الغَاشِية ﴾ .

[لأبى داود والنَّسائى]

٣٠ ــ النعمان بن بشير : سُئِل أىُّ شَىءٍ قَرأ النَّبىُّ ﷺ يوْم الجُمُعةِ سِوَى الجمُعةِ فقالَ : كانَ يقْرأُ هلْ أتاكَ .

[للستة إلا البخارى]

٣١ ــ ابن عباس : أنَّ النبىَّ ﷺ كانَ يقْرأُ فى الفَجْر يَوْم الجُمعَة [ألم تَنزِيل] فى الأولى ، وفى الثَّانية : ﴿ هلْ أتَى عَلَى الإنْسانِ] وفى صلاة الجمعة بسُورة الجُمعةِ والمنافقُون .

[لمسلم وأصحاب السنن]

٣٢ ــ أم هشام بنت حارثة : لقدْ كانَ تنُّورنا وتنوَّر رَسُول الله ﷺ واحداً سنَتين أوْ سنةً وبعْضَ سنة وما أخَذتُ ﴿ قٓ والقُرآنِ المجيدِ ﴾ إلَّا منْ لِسانهِ يقرؤُها كلَّ يوْمِ جُمعةٍ علَى المنْبر إذا خطَب الناسَ .

[لمسلم وأبى داود والنَّسائى]

٣٣ ــ أبىُّ بن كعب : أنَّ النبىَّ ﷺ قرأ يَوم الجمُعةِ تَبارَك وهُو قائمٌ

[للقزوينى مطولاً]

٣٤ ــ يعلى بن أمية : سَمعتُ النبىَّ ﷺ يقرأ علَى المنْبر : ﴿ ونَادَوْا يَا مالِكُ ﴾ .

[للشيخين وأبى داود النَّسائى]

٣٥ ــ أبو هريرة ، رفعه : من أدْرَك مِنْ صلاةِ الجُمعةِ ركعةً فقدْ أدْرَك .

[للنَّسائى]

٣٦ ــ معاذ بن أنس الجهنى ، رفعه : من تخَطَّى رِقابَ النَّاس يَوْم الجُمعَة اتَّخذ جِسراً إلى جهنَّمَ .

[للترمذى]

٣٧ ــ جابر : لا يُقيمنَّ أحدُكم أخاهُ يوْمَ الجمُعةَ ثمَّ ليُخالِف إلَى مَقعِده فيقْعُد فيهِ ولٰكن يقُول : إفْسحُوا .

[لمسلم]

٣٨ ــ معاذ بن أنس : أنَّ النبىَّ ﷺ نَهى عَنِ الحبْوةِ يَوْم الجمُعةِ والإمامُ يخْطُب .

[للترمذى وأبى داود]

٣٩ ــ شداد بن أوس : شهدتُ مَعَ مُعاويةَ بِبيتِ المقْدِس فجمَعَ بِنا فَنظرتُ فإذَا جُلُّ مَن فى المسْجِد أصْحابُ النَّبى ﷺ وهُم مُحتبونَ والإمامُ يخْطُب .

[لأبى داود]

وقالَ : كانَ يحتَبِى والإمامُ يخْطبُ ابنُ عُمرَ وأنَسُ وصَعْصَعة بن صَوْحان وابْنُ المسيب والنَّخَعىّ ومكْحُول وإسماعيلُ بنْ مُحمد بن سَعُد ونُعيم بن سَلامةَ ولا بأسَ بِها ولم يْبلغنِى أنَّ أحداً كرهه إلا عبَّاد بنُ نَسىّ .

---

٣٦ ــ فيه رشدين بن سعد ــ ضعيف .

٣٨ ــ ضعيف .

٣٩ ــ ضعيف .

٤٠ ــ عمرو بن شعيب ، عن أبيهِ عَن جَدهِ : أنَّ النبىَّ ﷺ نَهَى عن التَّحلقِ الجُمُعةِ قبْل الصَّلاةِ .

[لرزين]

٤١ ــ جابر : لما اسْتَوى النبىُّ ﷺ يَوْم الجمُعةِ على المِنْبر قالَ : اجْلسُوا ، فسمعهُ ابنُ مسعُودٍ فجلسَ علَى بابِ المسْجِد ، فرآهُ فقالَ : تعالَ يا عَبْد الله ابنَ مَسعُودٍ .
[لأبى دواد]

٤٢ ــ ابن عباس : أولُ جُمعةٍ جُمِّعت بَعْد فى مسْجد النبِّى ﷺ فى مسْجِد عَبْد القَيْس بجُواثَى مِنَ البحْرَين .

[للبخارى وأبى داود]

٤٣ ــ كعب بن مالك : كان إذا سَمعَ النِّداءَ يوْمَ الجمُعةِ ترحَّم لأسْعَدَ بْنِ زُرارَةَ : قالَ عبْدُ الرَّحْمٰن ابنُه : إذا سَمِعْتَ النِّداء ترحَّمتَ لأسْعَد بن زُرارَة فقالَ : لأنَّه أوَّلُ مَنْ جَمَّع بِنا فى هَزْم النَّبيتِ مِنْ حَرَّة بنى بَياضَةَ فى نقيعٍ يُقالُ لهُ نِقيعُ الخَضَمات ، قلْتُ : كَمْ كُنتُم يومئذٍ ؟ قال : أرْبعُونَ .

[لأبى داود]

٤٤ ــ معَاذ ، رفعه : أن أتَّخذ المنبر فَقَدِ اتَّخذه أبِى إبْراهِيم وأن أتَّخد العَصَا فَقَداتَّخذها أبِى إبْراهيم .

[للبزار والكبير بضعف]

٤٥ ــ سعد بن إبراهيم عنْ أبِيهِ ، قالَ : أوَّل مَنْ خطَب علَى المنْبَر إبْراهيمُ ﷺ .
[للبزار بانقطاع]

٤٦ ــ ابن عباس : أنَّ النَّبى ﷺ خطَب وظَهْرهُ إلَى الملْتَزم .
[لأحمد بلين]

٤٧ ــ ابن عمر : كانَ رسُولُ الله ﷺ إذَا دَخَل المسْجدَ يَوْم الجُمُعةِ سلَّم علَى مَن عِندَ مِنْبرهِ منَ الجُلوسِ ، فإذا صَعِد المنْبَر توجَّه إلَى النَّاس فسلَّم عَليْهم .
[للأوسط بلين]

---

٤٤ ــ فيه موسى بن محمد بن ابراهيم التيمى وهو ضعيف جداً .

٤٥ ــ منقطع الاسناد .

٤٧ ــ فيه عيسى بن عبد الله الأنصارى وقد ضعفوه .

٤٨ ــ وعنه ، رفعه : إذا دَخَل أحدُكُم المسْجِدَ والإمامُ علَى المنْبَر فلا صَلاةَ ولا كلامَ حتَّى يفْرُغ الإمامُ .

[للكبير بضعف]

٤٩ ــ جابر : دخَلَ النُّعمانُ بنْ قَوقلٍ ورَسولُ الله ﷺ يخْطبُ يَومَ الجمُعة فقالَ لهُ : صلِّ رَكعتين تجوز فيهِما فإذا جاءَ أحدُكم يَوم الجمُعةِ والإمامُ يخْطُب فَلْيصلِّ رَكعتَين ولْيُخفِّف فِيهِما .

[للكبير]

٥٠ ــ معاوية قالَ : لَعنَ رسولُ الله ﷺ الَّذينَ يشقِّقُون الخطَبَ شَقِيق الشِّعْر .

٥١ ــ عبد الله بن يسر : كانَ إذا صَلَّى يَوْم الجُمعَة خَرجَ فدارَ فى السُّوقِ ثمَّ رجَع إلَى المسْجِد فَقِيلَ لهُ : لِمَ تَفْعلُ هٰذا ؟ قالَ : رأيْتُ سيِّد المرْسَلين يفْعلُه .

[هما للكبير بلين]

٥٢ ــ عصمة ، رفعه : إذا صلَّى أحدُكم الجُمعةَ فَلا يُصلِّ بعْدَها شَيْئاً حتَّى يتَكلَّم أو يخْرجَ .

[للكبير بضعف]

٥٣ ــ ابن عباس ، كانَ رسُولُ الله ﷺ يرْكعُ قبْلَ الجمعَةِ أرْبعاً وبعْدَها أرْبعاً .

[للكبير بلين]

٥٤ ــ أوس بن أوس ، رفعه : إنَّ مِنَّ أفْضَل أيَّامِكُم يَوْم الجمُعَة فِيه خُلقَ آدمُ وَفيه قُبضَ وفيهِ النَّفخةُ وفيه الصَّعْقَة فأكْثِرُوا علَىَّ مِنَ الصَّلاةِ فيهِ فإنَّ صَلاتَكُم معْروضةٌ علىَّ ، قالُوا : يارَسُولَ الله وكيفَ تُعرضُ صَلاتُنا عَليكَ وقَدْ أرِمْتَ ؟ يقُولُون : بَليتَ قال : إنَّ الله حرَّم علَى الأرْضِ أنْ تأكُلَ أجْسَاد الأنْبياء .

[لأبى دواد والنَّسائى]

٥٥ ــ كُثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه ، عن جده ، رفعه : إنَّ فى

---

٤٨ ــ فيه أيوب بن نهيك ــ منكر الحديث .

٥٠ ــ فيه جابر الجعفى .

٥١ ــ فيه عبد الله الحيرانى ضعفه يحيى القطان وجماعة .

٥٢ ــ فيه الفضل بن المختار ضعيف جداً .

٥٣ ــ فيه مبشر بن عبد ــ كان يضع الحديث ــ والحجاج بن أرطاة وعطية العوفى ، وهما ضعيفان .

الجُمعَة ساعةً لا يَسأَلُ الله العبْدُ فِيها شيْئاً إلَّا آتاهُ إيَّاه ، قالُوا : يا رسول الله أية ساعةٍ هِيَ ؟ قال حِينَ تُقامُ الصَّلاة إلَى انْصرافٍ منْها .

[للترمذى]

٥٦ ــ أبو بردة ، قال لى ابن عمر : أسَمِعتَ أباكَ يُحدِّثُ عَنْ رسُول الله ﷺ فى شأنِ ساعةِ الجُمعَةِ ؟ قلْتُ : نَعَم سَمعْته يقُول : سَمعْتُ النبىَّ ﷺ يقُول : هِيَ ما بَيْن أنْ يجْلسَ الإمامُ إلَى أنْ تَنْقضِي الصَّلاةُ .

[لمسلم وأبى داود]

٥٧ ــ جابر ، رفعه : يَوْم الجُمُعةِ اثْنتا عَشْرة ساعةً لا يُوجدُ مُسلمٌ يسْأَلُ الله تَعَالَى شَيئاً إلَّا آتاهُ فالتَمسُوها آخَر السَّاعة بَعدَ العَصر .

[لأبى داود والنَّسائى]

٥٨ ــ أنس ، رفعه : التَمسُوا السَّاعةَ التى ترْجَى يَوْم الجمُعةِ بعْدَ صلاةِ العَصْر إلَى غَيْبُوبَة الشَّمسِ .

[للترمذى]

٥٩ ــ أبو هريرة : لقيتُ كَعْب الأحْبار فحدَّثتهُ أنَّ النبىَّ ﷺ قالَ : خَيرُ يومٍ طلَعت عليهِ الشَّمسُ يَوْم الجُمُعَة ، فيهِ خُلقَ آدمُ وفيهِ أهبطَ وفيهِ تيبَ عليهِ وفيهِ ماتَ وفيهِ تقُومُ السَّاعةُ ومَا مِنْ دابَّةٍ إلَّا وهِيَ مُصيخةٌ يَومَ الجُمُعة حينَ تُصبح حتَّى تطلُع الشَّمسُ شفَقاً مِن السَّاعة إلَّا الجِنَّ والإنْسَ ، وفيها ساعةٌ لا يُوافِقها عبدٌ مسْلمٌ وهُو يُصلِّى يسْأَلُ الله شَيْئاً إلَّا أعطاهُ إيَّاهُ ، قالَ كعبٌ : ذٰلكَ فى كلِّ سنةٍ يَوْم قُلْت بَل فى كلِّ جُمُعةٍ فَقرأَ التوراةَ فَقالَ : صدَقَ رسُولُ الله ﷺ ثمَّ لَقيتُ عَبْد الله بنَ سلامٍ فحدَّثتهُ بمجْلِسى مَعَ كعْب وقَوْله ذٰلكَ فى كلِّ سنة يوم ، فقال كذَبَ كعبٌ فقُلْت ثمَّ قرأ التوراةَ فقالَ : بَل هِيَ فى كلِّ جُمُعةٍ ، قالَ صدَق كعبٌ ثم قال ابن سَلامٍ : أيةُ ساعةٍ هِيَ ؟ فقلت : أخْبِرْنى بها ولا تَكن عنِّى فقالَ : هِيَ آخرُ ساعةٍ فى يَوم الجُمُعةِ فقلْتُ : وكيفُ تكونُ آخِرَ ساعةٍ وقَدْ قالَ ﷺ : لا يُصادِفها عَبدٌ مُسلمٌ وهُو يُصلِّى ، وتلكَ السَّاعةُ لا يُصلِّى فِيها ، فقال : ألَم يقلْ ﷺ مَنْ جَلس مَجلِساً ينْتظُر الصَّلاةَ فهُو فى صلاةٍ حتَّى يُصلِّى ؟ قلتُ : بلَى قالَ : فَهُو ذٰلكَ .

[لمالك وأصحاب السنن]

٦٠ ــ وللقَزوينى عَن أبى لُبابةَ نَحْوه وفيه ، وهُو أىْ ــ يَوْم الجُمُعة ــ أعْظَم عِنْد الله مِنْ يَومِ الأضْحَى ويَوْم الفِطْر .

٦١ ــ أنس ، رفعه : مَنْ ماتَ يَوْم الجُمُعة وُقىَ عذابَ القَبْرِ .
[للموصلى بلين]

١ ــ أنس : كانَ رسولُ الله ﷺ إذا خَرجَ مسيرةَ ثَلاثةِ أميالٍ أوْ ثلاثةِ فَراسِخ ــ شكّ شُعبة ــ صلّى رَكْعَتين .

[لمسلم وأبى داود]

٢ ــ مالك ، بلغه : أنَّ ابنَ عبَّاسٍ كانَ يقْصُر الصَّلاةَ فى مثلِ ما بَيْنَ مكَّة .

١٤ ــ أبُو هريرةَ رفعه : مَنْ كانَ مُصلِّياً بعْدَ الجمعَةِ فليصلِّ أرْبعاً .

١٥ ــ وفى روايةٍ : فإنْ عَجلَ بكَ شيءٌ فَصلِّ ركْعَتين فى المسْجِد ورَكعَتْين إذا رَجَعت .

[لمسلم وأبى داود والترمذى]

١٦ ــ نافع ، أنَّ ابنَ عُمر رأى رجلاً يُصلِّى ركْعَتَين يَوْم الجمعَةِ فى مقامِه فدفَعهُ وقالَ : أتُصلِّى الجمعَةَ أرْبعاً ؟ وكانَ عبدُ الله يُصلِّى يَوْم الجمعَةِ ركْعَتين فى بَيتِهِ ويقُول : هكذا فَعَل رسولُ الله ﷺ .

١٧ ــ وفى رواية : أن ابن عمر كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فإذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين فى بيته ، ويحدث أنه ﷺ يفعله .

[للستة إلا مالكا]

١٨ ــ عطاء : أن ابن عمر كان إذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلى أربعا ، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فصلى ركعتين ولم يصل فى المسجد ، فقيل له فقال كان ﷺ يفعله .

[لأبى داود والترمذى]

هدي النبي ﷺ في يوم الجمعة

نقلاً عن كتاب زاد المعاد
للإمام ابن قيم الجوزيه

فصل في هديه ﷺ في الجمعة وذكر خصائص يومها

ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « نَحْنُ الآخِرُونَ الأوّلُونَ السَّابِقونَ يَوْمَ القِيامَة ، بَيْدَ أنَّهم أوتُوا الكتاب مِنْ قَبلنَا ، ثُمَّ هذا يَوْمُهُم الَّذِي فَرضَ الله عَلَيْهِم ، فاخْتَلفُوا فِيهِ ، فهَدانَا الله له والنَّاسُ لنا فيه تَبَعٌ ، اليَهُودُ غَدَاً ، والنَّصَارَىٰ بَعْدَ غَدٍ »(١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، وحُذَيفة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « أضَلَّ الله عَن الجُمُعة مَنْ كان قَبْلَنا ، فَكانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ ، وكان لِلنَّصارى يَوْمُ الأحَدِ ، فجاء الله بِنا ، فهَدانَا لِيَوْمِ الجُمُعَةِ ، فَجَعَلَ الجُمُعة والسَّبْتَ والأحَدَ ، وكَذٰلِكَ هُمْ تبع لَنا يَوْمَ القِيامَةِ ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أهْلِ الدنيا ، والأوّلُونَ يَوْمَ القِيامَةِ ، المَقْضيُّ لهم قَبْلَ الخلائِق »(٢) .

وفي « المسند » والسنن ، من حديث أوس بن أوس ، عن النبي ﷺ : « مِنْ أفْضَل أيَّامِكُم يَومُ الجُمُعةِ ، فيه خَلَقَ الله آدمَ وفيه قبض النَّفْخَة ، وفيه الصَّعْقَةُ ، فأكثِرُوا عليَّ مِنَ الصَّلاةِ فيه ، فإنَّ صَلاتَكُم مَعْروضَةٌ عليَّ » قالوا : يارسول الله وكيف تعْرضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أرَمْتَ ؟ (يعني : قدْ بَلِيتَ) قال : « إنَّ الله حَرَّمَ على الأرضِ أنْ

---

(١) رواه البخاري ٢ /٢٩٣ . ٢٩٤ في الجمعة : باب فرض الجمعة ، وباب هل على من يشهد الجمعة غسل ، وفي الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم (٨٥٥) في الجمعه : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، وأخرجه النسائي ٣ /٨٥ ، ٨٦ في الجمعة : باب إيجاب الجمعة ، وابن ماجه (١٠٨٣) .

(٢) رواه مسلم (٨٥٦) والنسائي ٣ /٨٧ ، وابن ماجه (١٠٨٣) .

تَأكُلَ أجْسادَ الأنبياء »[1]، ورواه الحاكم ، في « المستدرك » وابن حبان فى « صحيحه » .

وفي جامع الترمذي ، من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فيه الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعة ، فيه خَلَقَ الله آدَمَ ، وفيه أُدْخِل الجَنَّةَ ، وفيه أُخْرِجَ منها ، ولا تَقومُ السَّاعَةُ إلَّا في يَوْمِ الجُمُعةِ »[2] .
قال : حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم .

وفي « المستدرك » أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً « سَيِّدُ الأيَّام يَوْمُ الجُمُعةِ ، فيه خُلِقَ آدَمُ ، وفيه أُدْخِل الجَنَّة ، وفيه أُخْرِجَ مِنْهَا ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا يَوْمَ الجُمُعةِ »[3] .

وروى مالك في « الموطأ » ، عن أبي هريرة مرفوعاً « خيرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ يومُ الجُمُعةِ ، فيه خُلقَ آدمُ ، وفيه أُهْبِطَ ، وفيه تِيبَ عَليه ، وفيه مَاتَ ، وفيه تقومُ السَّاعةُ ، وما منْ دابَّةٍ إلا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الجُمُعةِ مِنْ حِينَ تُصبِحُ حتَّى تطلع الشَمْسُ شَفَقاً مِنَ السَّاعَةِ إلَّا الجِنَّ والإنسَ ، وفِيهِ سَاعَةٌ لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ الله شَيْئاً إلَّا أعْطَاهُ إيَّاه » . قال كعب : ذلك في كُلِّ سنَةٍ يَوْمٌ ، فقلتُ : بَلْ في كُلِّ جُمُعَةٍ ، فَقَرأ كَعْبٌ التَّوْراةَ ، فَقَال : صدَق رَسُولُ الله ﷺ ... قَالَ أبُو هُرَيْرَةَ ، ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ الله بْنَ سَلَامٍ ، فحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبٍ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أيَّة سَاعَةٍ هِيَ ، قُلتُ : فأخْبِرْني بهَا ، قال : هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ في يَوْمِ الجُمُعةِ ، فَقُلْتُ : كَيْفَ وَقدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لا يُصَادِفُهَا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤ /٨ ، وأبو داود (١٠٤٧) في الجمعة : باب تفريع أبواب الجمعة ، والنسائي ٣ /٩١ ، ٩٢ في الجمع : باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ، وابن ماجه (١٠٨٥) في إقامة الصلاة : باب فضل الجمعة ، وإسناده صحيح ، وصححه ابن خزيمة (١٧٣٣) وابن حبان (٥٥٠) والحاكم ١ / ١ / ٢٧٨ ، ووافقه الذهبي ، وحسنه المنذري وابن حجر ، وصححه النووي في « الأذكار » ، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند ابن ماجه (١٦٣٧) وآخر من حديث أبي أمامة عند البيهقي .

(٢) رواه الترمذي (٤٨٨) في الجمعة : باب ما جاء في فضل الجمعة ، وأخرجه النسائي ٣ /٨٩ ، ٩٠ في الجمعة : باب ذكر فضل يوم الجمعة ، والحاكم في « المستدرك » ١ /٢٧٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقد فات المؤلف أنه في صحيح مسلم (٨٥٤) في الجمعة : باب فضل يوم الجمعة .
(٣) رواه الحاكم ١ / ٢٧٧ وصححه ، ووافقه الذهبى .

عِبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُو يُصَلِّي » وَتلْكَ السَّاعَةُ لَا يُصَلَّى فيها ؟ فَقَالَ ابْنُ سَلامٍ : أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ جَلَسَ مَجْلِساً يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ ، فَهُوَ في صَلاةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ » ؟(١) .

وفي صحيح ابن حبان مرفوعاً ، « لا تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعة(٢) .

وفى مسند الشافعي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : أتى جبريلُ عليه السلام رسول الله ﷺ بمرْآة بَيْضَاءَ ، فِيها نُكتةٌ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : ما هذِهِ ؟ فقال : « هٰذِهِ يَوْمُ الجُمعةِ ، فُضِّلْتَ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ ، والنَّاسُ لَكُمْ فيها تَبَعٌ ، اليهودُ والنَّصارى ، ولكم فيها خَيْرٌ ، وفيها سَاعَةٌ لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يدعو الله بِخَيْرٍ إلا استُجِيبَ لَهُ وهُوَ عِنْدَنَا يَوْمُ المزيد ، فقال النبى ﷺ : يا جِبْريلُ ! ما يومُ المزيدِ ؟ قال : إنَّ رَبَّكَ اتَّخَذ في الفِردَوْس وَادياً أفيحَ فِيهِ كُثُبٌ مِنْ مِسْكٍ ، فإذا كَانَ يَوْمُ الجُمُعةِ أنزلَ الله سُبْحَانَهُ ما شَاءَ مِنْ مَلائِكتِهِ ، وَحَوْلَهُ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ عَليها مَقاعِدُ النَّبيِّينَ ، وحَفَّ تِلكَ المنابِر بِمنَابَر مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلةٍ بالياقوت وَالزَّبَرْجَدِ ، عليها الشُّهداءُ والصِّدِّيقُونَ ، فجلسوا مِنْ وَرَائهم على تِلْكَ الكُثُبِ ، فيقول الله عزّ وجَلَّ : ﴿ أنا رَبُّكم قَدْ صَدَقْتُكم وعدي ، فسَلُوني أُعْطِكُم . فيقولون : ربَّنا نسألُك رضوانَك ، فيقول : قَدْ رَضيتُ عنْكُم وَلكُم ما تَمنَّيْتُم وَلَدَىَّ مَزيد ، فهم يُحِبُّونَ يَوْمَ الجُمُعةِ لِما يُعطيهم فيه ربُّهم مِنَ الخَيْرِ ، وهُوَ اليومُ الَّذي استوىٰ فيه ربُّك تبَارَكَ وتعالىٰ على العرش ، وفيه خَلَقَ آدم ، وفيه تقوم السَّاعة ﴾(٣)

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » ١ / ١٠٨ ، ١١٠ ، فى الجمعة : باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ، والترمذي (٤٩١) في الصلاة : باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ، وأبو داود (١٠٤٦) في الصلاة : باب فضل يوم الجمعة ، والنسائي ٣ /١١٣ ، ١١٥ في الجمعة : باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ، وأحمد ٢ / ٤٨٦ ، وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم ١ /٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) رواه ابن حبان (٥٥١) في الصلاة : باب ما جاء في يوم الجمعة والصلاة على النبي ولفظه أن رسول الله ﷺ قال « لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا هي تفزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين : الجن والإنس » وسنده قوي .

(٣) رواه الشافعي ١ /١٤٨ في الجمعة : باب فضل يوم الجمعة وفيه ساعة الإجابة ، وفي سنده إبراهيم بن محمد شيخ الشافعي وهو متروك كما قال الحافظ بن حجر في « التقريب » ، وموسى بن عبيدة وهو ضعيف .

رواه الشافعي عن إبراهيم بن محمد ، حدثني موسى بن عُبيده ، قال : حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة ، عن عبد الله بن عبيد ، عن عمير بن أنس .

ثم قال : وأخبرنا إبراهيم قال : حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد ، عن أنس شبيهاً به[1]

وكان الشافعي حسنَ الرأي في شيخه إبراهيم هذا ، لكن قال فيه الإمام أحمد رحمة الله : معتزليّ جهمي قدري كُلُّ بلاء فيه .

ورواه أبو اليمان الحكم بن نافع ، حدثنا صفوان : قال : قال أنس : قال النبيُّ ﷺ : « أتاني جِبْريلُ فذكره » ورواه محمد بن شعيب ، عن عمر مولى غُفرة ، عن أنس . ورواه أبو ظبية ، عن عثمان بن عُمير ، عن أنس . وجمع أبو بكر بن أبي داود طرقه .

وفي مسند أحمد من حديث علي بن أبي طلحة ، عن أبي هريرة ، قال : قيل للنبي ﷺ : لأي شيء سُمِّيَ يَوْم الجمعة ؟ قال : « لأنَّ فيه طُبِعَتْ طِينَةُ أبيكَ آدَمَ ، وفيه الصَّعْقَةُ ، والبَعْثَةُ ، وفيه البَطْشَةُ ، وفي آخِرِه ثَلاثُ سَاعاتٍ ، منها سَاعَةٌ مَنْ دعا الله فيها اسْتُجيبَ له »[2] .

وقال الحسن بن سفيان النَّسوي[3] في « مسنده » حدثنا أبو مروان هشام ابن خالد الأزرق ، حدثنا الحسن بن يحي الخُشني ، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غُفرة ، حدثني أنس بن مالك ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

« أتاني جِبْريلُ وفي يَده كَهيئة المِرْآة البيْضاء ، فيها نُكْتَةٌ سَوْداءُ ، فقلت : ما هٰذه يا جبْريلُ ؟ فقال : هٰذه الجُمُعَةُ بُعِثْتُ بها إلَيْكَ تكُونُ عيداً لكَ وَلِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِك . فقلت : وما لَنا فيها يا جِبْريل ؟ قال : لَكُمْ فيها خَيْرٌ كَثير ، أنْتُمُ الآخِرُون السَّابقونَ يَوْمَ القِيامَة ، وفيها سَاعَةٌ لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصلّي يَسْأَلُ الله شيئاً إلَّا أعْطاه . قلتُ : فما هذه النُّكْتَةُ السَّوْداء يا جبْرِيلُ ؟ قال : هذه السَّاعة تكون في

---

(١) ١ /١٤٨ وإبراهيم بن محمد متروك كما تقدم ، وإبراهيم بن الجعد ضعيف .

(٢) رواه احمد في « المسند » ٢ /٣١١ وفي سنده الفرج بن فضاله وهو ضعيف ، وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وأبي هريرة ، فإنه لم يسمع منه .

(٣) هو الحافظ الإمام شيخ خراسان أبو العباس الشيباني النسوي صاحب « المسند الكبير » والأربعين توفي سنة (٣٠٣) « تذكرة الحفاظ » ص ٧٠٣ .

يوم الجُمُعة وهو سَيِّدُ الأيَّام ، ونحنُ نُسميه عندنا يومَ المَزيد . قلتُ : وما يومُ المَزيد يا جِبْرِيل ؟ قال : ذلك بِأنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ في الجَنَّة وادياً أفيحَ مِنْ مِسْكٍ أبْيض ، فإذا كان يَوْمُ الجُمُعة مِنْ أيَّام الآخرة ، هَبَطَ الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ مِنْ عَرْشِهِ إلى كُرْسِيِّه ، ويُحَفُّ الكُرْسيُّ بِمنابَر مِنَ النُّورِ فيجلسُ عليها النَّبِيُّونَ وَتُحَفُّ المنابِرُ بِكَراسِي مِنْ ذَهَب ، فيجلِسُ عليها الصِّدِّيقون والشُّهداء ، ويَهْبِطُ أهلُ الغُرَفِ من غُرَفِهم ، فيجلسون على كُثْبانِ المِسْكِ لا يرون لأهلِ المنابِرُ والكراسي فَضْلاً في المَجْلِس ، ثُمَّ يَتبدَّى لهم ذو الجَلال والإكرام تبارك وَتعالى ، فيقول : سلوني ، فيقولون بِأجْمَعِهم : نَسْأَلُك الرِّضىٰ يا ربُّ ، فَيشْهَدُ لَهم عَلى الرِّضى ، ثم يقول : سَلوني ، فيسألونَه حَتَّى تَنْتَهِيَ نَهْمَةُ كُلِّ عَبْدٍ مِنْهُم ، قال ثُمَّ يُسْعى عَلَيْهِم بِما لا عَيْنٌ رَأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ علىٰ قَلبِ بَشَر ، ثُمَّ يَرْتَفِعِ الجَبَّارُ مِنْ كُرْسيِّه إلى عَرْشِهِ ، وَيَرْتَفِعُ أهْلُ الغُرَف إلى غُرفِهم ، وهي غُرْفَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ بَيْضاء ، أو ياقُوتَةٍ حَمْراء ، أو زُمُرُّدةٍ خضراء ، ليس فيها فَصْمٌ ولا وَصْمٌ مُنَوَّرة ، فيها أنهارُها ، أو قال : مُطَّرِدَةٌ مُتَدَلِيَةٌ فيها ثِمارُهَا ، فيها أزْواجُها وَخَدَمُها وَمَساكِنُها قال : فأهلُ الجَنَّة يَتَباشَرون في الجنَّة بِيَومِ الجُمُعة ، كما يَتَباشَرُ أهلُ الدُّنيا في الدُّنيا بالمطر »[1] .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب « صفة الجنة » : حدثني أزهر بن مروان الرقاشي ، حدثني عبد الله بن عَرَادة الشيباني ، حدثنا القاسم بن مُطيِّب ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حُذيفة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أتاني جِبْرِيل وفي كَفِّه مِرْآةٌ كأحْسَنِ المَرائي وأضْوَئِها ، وإذا في وسَطها لَمْعَةٌ سوداءُ ، فقلت : ما هٰذه اللَّمْعَةُ التي أرى فيها ؟ قال : هذه الجُمُعَةُ ، قلت : وما الجُمُعَةُ ؟ قال : يَوْمٌ مِنْ أيَّام رَبِّكَ عظيم ، وسَأُخْبِرُكَ بِشَرَفِهِ وفضْلِهِ في الدُّنيا ، وما يُرْجى فيه لأهله ، وأُخْبِرُك باسْمه في الآخِرة ، فأما شَرَفُه وَفَضْلُهُ في الدنيا ، فإن الله عزَّ وجَلَّ جَمَع فيه أمر الخلق ، وأمَّا ما يُرجَى فيه لأهله ، فإنَّ فيه سَاعَةً لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ أوْ أمَةٌ مُسْلِمَةٌ يَسْأَلانِ الله تعالى فيها خَيْراً إلا أعطاهما إيّاه ، وأمَّا شَرَفُهُ وَفضْلُهُ في الآخِرَة واسْمُه ، فإنَّ الله تبارَك وَتَعالى إذا صَيَّر أهْلَ الجنَّة إلى الجَنَّة ، وأهْلَ النَّار إلى النَّار ، جَرَتْ عليهم هٰذه الأيَّام وهٰذه اللَّيالي ، ليس

---

(١) في سنده عمر بن عبد الله مولى غفرة ، وهو ضعيف ، والحسن بن يحيى الخشني كثير الغلط ، وقال الدار قطني : متروك .

فيها لَيْلٌ وَلا نَهارٌ إلَّا قَدْ علم الله عزَّ وَجَلَّ مِقْدارَ ذَلِكَ وَسَاعاتِه ، فإذا كان يَوْمُ الجُمعَة يخرج أهل الجُمُعةِ إلى جُمُعَتِهم ، نادى أهْلَ الجنَّة مُنَادٍ ، يا أهْل الجَنَّة ! اخرجوا إلى وادي المَزيد ، وَوادي المزيد لا يعلم سَعَة طوله وعرضه إلَّا الله ، فيه كُثْبَانُ المِسْك ، رؤوسها في السَّمَاء قال : فَيخْرج غِلْمَانُ الأنْبياء بمنابرَ مِنْ نُور ، ويخرج غِلْمَانُ المؤمنين بِكَراسي مِنْ يَاقوت ، فإذا وُضِعَتْ لَهم ، وَأَخَذَ القَوْمُ مَجَالِسَهم ، بَعَثَ الله عليهم ريحاً تدعى المُثيرة ، تُثيرُ ذلك المِسْكَ ، وتُدْخلُه مِن تَحتِ ثِيابِهِم ، وتُخْرِجُهُ في وجوهِهِم وأشْعارِهم ، تِلْك الرِّيحُ أعْلَمُ كَيْفَ تَصْنَعُ بِذَلِكَ المِسْكِ مِن امْرأةِ أحَدِكُم ، لو دُفِعَ إليها كلُّ طِيبٍ على وَجْه الأرض . قال : ثُمَّ يُوحي الله تبارك وتعالى إلى حَمَلة عَرْشِهِ : ضَعُوه بَيْن أظْهُرِهِم ، فيكون أوّلَ ما يَسْمَعُونَهُ منه : إليَّ يا عبادي الذين أطاعُوني بالغَيْب وَلم يَروني ، وصَدَّقوا رُسُلِي ، واتَّبعوا أمْري ، سَلُوني فهذا يَوْمُ المَزيد ، فَيَجْتَمِعُونَ على كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ : رضِينا عَنْك فَارْضَ عَنَّا ، فيرْجِعُ الله إلَيهم : أنْ يَا أهْلَ الجَنَّة إنِّي لَوْ لم أرْضَ عَنْكُم لَمْ أُسْكِنْكُم داري ، فَسَلُوني فهذا يوْمُ المَزيد ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلىٰ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ : يارَبَّنا وَجْهَكَ نَنْظُرْ إليه ، فَيكْشِفُ تلْكَ الحُجُبَ ، فَيَتَجَلَّى لهم عَزّ وَجَلَّ ، فَيغْشَاهُم مِنْ نُوره شَيءٌ لَوْلا أنَّه قَضَىٰ ألا يَحْترِقوا ، لاحْتَرَقوا لِما يَغْشَاهُم مِنْ نُوره ، ثُمَّ يُقالُ لَهُم : ارْجعوا إلى مَنازِلِكُم ، فيرْجِعُون إلى مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ أعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُم الضِّعْفَ عَلىٰ مَا كانوا فيه ، فَيرجِعُون إلى أزْوَاجِهِم وقد خَفُوا عَلَيْهِنَّ وَخَفِينَ عَلَيْهِم ممَّا غَشيهمْ مِنْ نُورِهِ ، فإذا رَجعُوا تَرادَّ النُّورُ حَتَّى يَرْجِعُوا إلى صُوَرِهم الّتي كانوا عَلَيْها ، فَتَقولُ أزْوَاجُهُم : لَقَدْ خَرَجْتُم مِنْ عِنْدِنَا على صورة ورَجَعْتُم عَلىٰ غَيْرِها ، فيقولون : ذلك لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ تَجَلَّى لنا ، فَنَظَرْنا مِنْه قال : وإنَّهُ وَالله ما أحاطَ به خَلْقٌ ، وَلكنَّهُ قد أراهم مِنْ عظَمَتِهِ وَجَلالِهِ ما شَاءَ أنْ يُرِيَهُم قال : فَذلِك قولهم فَنَظَرنا مِنْه ، قال : فَهُم يَتَقَلَّبون في مِسْكِ الجَنَّة وَنَعيمها في كُلِّ سَبْعَةِ أيَّام الضِّعْفَ عَلىٰ مَا كَانوا فيه . قال رسول الله ﷺ : « فذَلِكَ قَوْلُه تَعالى ﴿ فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزاءً بِما كَانوا يَعْمَلون ﴾[1] [السجدة : ١٧] .

ورواه أبو نُعيم في « صفة الجنة » من حديث عِصمة بن محمد ، حديثا موسى بن عقبة ، عن أبي صالح ، عن أنس شبيهاً به[2] .

---

(١) عبد الله بن عرادة الشيباني ضعيف ، قال البخاري : منكر الحديث ، وضعفه غير واحد ، والقاسم بن مطيب ، قال ابن حبان : يخطىء عمن يروى على قلة روايته ، فاستحق الترك كما كثر ذلك منه .

(٢) عصمة بن محمد قال أبو حاتم : ليس بقوي ، وقال يحيى : كذاب يضع الحديث وقال العقيلي : حدَّث بالبواطيل على الثقات ، وقال الدار قطني وغيره : متروك ، فالسند باطل .

وذكر أبو نعيم في « صفة الجنة » من حديث المسعودي ، عن المِنهال ، عن أبي عبيدة ، عن عبدالله قال : سارعوا إلى الجُمُعة في الدنيا ، فإن الله تبارَك وتعالى يَبْرُزُ لأهل الجنة في كل على كثيب من كافور أبيض ، فيكونون منه سبحانه بالقرب على قدر سُرعتهم إلى الجمعة ، ويُحْدِثُ لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، فيرجِعون إلى أهليهم وقد أحدث لهم[1] .

(١) المسعودي ــ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المسعودي ــ قد اختلط قبل موته ، وأبو عبيدة بن عبد الله يروي عن أبيه ولم يسمع منه . فالإسناد ضعيف ومنقطع .

فصل فى مبدأ الجمعة

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف عن أبيه قال : حدثني عبد الرحمن بن مالك ابن كعب ، قال : كنت قائدَ أبي حين كُفَّ بصرهُ ، فإذا خرجتُ به إلى الجمعة ، فسمع الأذانَ بها ، استغفر لأبي أمامة أسعد بنِ زُرارة ، فمكث حيناً على ذلك فقلت : إن هذا لعجز ألا أسأله عَنْ هذا ، فخرجتُ به كما كنتُ أخرج ، فلما سمع الأذان للجمعة ، استغفَر له ، فقلتَ : يا أبتاه ! أرأيتَ استغفارَك لأسعد بنِ زُرارة كلما سَمعتَ الأذان يومَ الجمعة ؟ قال : أيْ بُنَيَّ كان أسعد أولَ من جمع بنا بالمدينة قبل مَقْدَمِ رسول الله ﷺ في هَزْم النَّبيتِ مِن حَرَّة بني بَياضة في نقيع يُقال له : نقيع الخَضَماتِ . قلتُ : فكم كُنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلًا[1] .

قال البيهقي ، ومحمد بن إسحاق إذا ذكر سماعه من الراوي ، وكان الراوي ثقة ، استقام الإسناد ، وهذا حديث حسن صحيح الإسناد انتهى .

قلت : وهذا كان مبدأ الجمعة . ثم قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فأقام بقُباء في بني عمرو بن عوف ، كما قاله ابنُ إسحاق يوم الاثنين ، ويومَ الثلاثاء ، ويومَ الاربعاء ، ويومَ الخميس ، وأسَّس مسجدَهم ، ثم خرج يومَ الجمعة ، فأدركته الجمعةُ في بني سالم ابن عوف ، فصلَّاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، وكانت أوَّل جمعة صلاها بالمدينة ، وذلك قبل تأسيسِ مسجده[2] .

---

(١) أخرجه ابن هشام في « السيرة النبوية » ٤٣٥/١ ، وأبو داود (١٠٦٩) في الصلاة : باب الجمعة في القرى ، وابن ماجه (١٠٨٢) في إقامة الصلاة : باب في فرض الجمعة ، والحاكم ٢٨١/١ ، والبيهقي ١٧٦/٣ وسنده قوي ، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند ابن هشام والحاكم والبيهقي ، فالتفت شبهة تدليسه ، لكن لا حجة فيه على اشتراط الأربعين كما لا يخفى . والنقيع : بطن من الأرض يستنقع فيه الماء مدة ، فإذا نضب الماء ، أنبت الكلأ ، ومرة بني بياضة : قرية على ميل من المدينة .

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٤٩٤/١ .

قال ابن اسحاق : وكانت أوَّل خطبة خطبها رسولُ الله ﷺ فيما يلغني عن أبي سَلَمة ابن عبد الرحمن ـــ ونعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ مالم يقُلْ ـــ أنه قام فِيهم خطيباً ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أمَّا بَعْدُ أيُّها النَّاسُ ، فَقَدِّموا لأَنْفُسِكم تَعْلَمُنَّ والله لَيَصْعَقَنَّ أَحَدُكم ، ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَه لَيْس لها رَاع ، ثُمَّ ليقولُنَّ لَهُ رَبُّه ولَيْس لَهُ تُرْجُمان ، ولا حاجبٌ يَحْجُبُه دُونه : أَلَمْ يَأْتِكَ رَسولي ، فَبَلَّغكَ ، وآتَيْتُكَ مَالاً ، وأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ ، فما قَدَّمتَ لِنَفْسِك ، فَلَيَنْظُرَنَّ يَميناً وشِمالاً ، فلا يَرى شَيئاً ، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَّامَه فَلا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّم ، فَمَنِ استَطَاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّار ولو بِشِقِّ مِنْ تَمْرَةٍ ، فَلْيَفْعَل ، ومن لَمْ يَجد ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبة ، فَإِنَّ بِهَا تُجْزى الحَسنةُ بِعَشْر أَمْثَالِها إلى سبعمائة ضِعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »(١) .

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسولُ الله ﷺ مرة أخرى ، فقال : « إن الحمد لله أَحْمَدُهُ وأَسْتَعِينُه ، نَعوذُ بالله مِنْ شُرور أَنْفُسِنا ، وسَيِّئاتِ أَعْمالِنا مَنْ يَهْدِه الله ، فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ ، فلا هادِيَ له ، وأَشْهدُ أن لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شَرِيكَ له ، إنَّ أَحْسَنَ الحَديث كِتابُ الله ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، فاخْتارَه على ما سواه مِنْ أحاديث النَّاس ، إنَّه أَحْسَنُ الحديثِ وأَبْلغُه ، أَحِبُّوا ما أَحَبَّ الله ، أَحِبُّوا الله مِنْ كُلِّ قلوبِكُم ، ولا تَمَلُّوا كَلامَ الله وذِكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قُلوبُكم ، فإنَّه مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ الله يَخْتَارُ ويَصْطَفِي ، قد سمَّاه الله خِيرَتَه مِنَ الأعمال ، ومُصطفَاهُ من العِبَادِ والصَّالِح مِنَ الحديث ، ومِنْ كُلِّ ما أُوتِيَ النَّاسُ من الحلالِ وَالحَرَامِ ، فاعْبُدوا الله ولاتُشْرِكوا به شَيْئاً ، واتَّقوه حَقَّ تُقاتِه ، واصْدُقُوا الله صَالِحَ ما تقولون بأفْوَاهِكم ، وَتَحابُّوا بِرُوح الله بَيْنكم ، إنَّ الله يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُه ، والسَّلامُ عَلَيْكم وَرَحْمة الله وبركاته»(٢) .

وقد تقدم طرف من خطبته عليه السَلام عند ذكر هديه في الخطب .

---

(١) ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية ١/٥٠٠ ، ٥٠١ وابن إسحاق رأى أبا سلمة بن عبد الرحمن ولم يرو عنه ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن يروي عن بعض الصحابة ولم يدرك رسول الله ﷺ فإنه قد توفي سنة ٩٤ هـ .

(٢) ذكره ابن هشام في « السيرة النبوية » عن ابن إسحاق ٢/٥٠٠ بغير إسناد .

فصل : خصائص يوم الجمعة

وكان من هديه ﷺ تعظيمُ هذا اليوم وتشريفُه ، وتخصيصهُ بعبادات يختص بها عن غيره . وقد اختلف العلماء هل هو أفضلُ ، أم يومُ عرفة ؟ على قولين : هما وجهان لأصحاب الشافعي .

وكان ﷺ يقرأ في فجره بسورتي ﴿ الٓمٓ تنزيل ﴾ و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾(١) . ويظن كثير ممن لا علم عنده أن المراد تخصيصُ هٰذه الصلاة بسجدة زائدة ، ويسمونها سجدة الجمعة ، وإذا لم يقرأ أحدُهم هٰذه السورة ، استحبَّ قراءة سورة أخرى فيها سجدة ، ولهذا كره من كره من الأئمة المداومة على قراءة هذه السورة في فجر الجمعة ، دفعاً لتوهم الجاهلين ، وسمعت شيخَ الإسلام ابن تيمية يقول : إنما كان النبيُّ ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة ، لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يَومِها ، فإنهما اشتملتا على خلق آدم ، وعلى ذِكر المعاد ، وحشر العباد ، وذلك يكون يومَ الجمعة ، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكيرٌ للأمة بما كان فيه ويكون ، والسجدة جاءت تبعاً ليست مقصودة حتى يقصِدَ المصلي قراءتها حيثُ اتفقت . فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة .

---

(١) رواه مسلم (٨٧٩) في الجمعة : باب ما يقرأ في يوم الجمعة من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة : الم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر وأن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعة سورتى الجمعة والمنافقين ، ورواه الترمذى أيضا (٥٢٠) في الصلاة : باب ما جاء في ما يقرأ به في صلاة الصبح يوم الجمعة ، وأبو داود (١٠٧٤) في الصلاة : باب ما يقرأ به في صلاة الصبح يوم الجمعة ، والنسائى ١٥٩/٢ في الافتتاح : باب القراءة في الصبح يوم الجمعة ، وأحمد في « المسند » ٢٢٦/١ و ٣٣٤ و ٣٤٠ ، ورواه مسلم أيضا (٨٨٠) في الجمعة : باب ما يقرأ يوم الجمعة ، والنسائى ١٥٩/٢ في الافتتاح : باب القراءة فى الصبح يوم الجمعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

الخاصة الثانية : استحبابُ كثرة الصلاة على النبي ﷺ فيه وفي ليلته ، لقوله ﷺ : « أكثِروا مِنَ الصلاة عَليَّ يوم الجُمُعة وَلَيْلَة الجُمُعة »(١) .

ورسول الله ﷺ سيدُ الأنام ، ويوم الجمعة سيدُ الأيام ، فللصلاةِ عليه في هذا اليوم مزيةٌ ليست لغيره مع حكمة أخرى ، وهي أن كل خير نالته أمتُه في الدنيا والآخرة ، فإنما نالته على يده ، فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة ، فأعظمُ كرامة تحصل لهم ، فإنما تحصل يوم الجمعة ، فإن فيه بعثَهم إلى منازلهم وقصورِهم في الجنَّة ، وهو يومُ المزيد لهم إذا دخلوا الجنَّة ، وهو يوم عيد لهم في الدنيا ، ويوم فيه يُسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ، ولا يَرُدُّ سائلهم ، وهذا كلُّه إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده ، فمِن شكرِه وحمده ، وأداءِ القليل من حقه ﷺ أن نُكثِرَ من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته .

الخاصة الثالثة : صلاةُ الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام ، ومِن أعظم مجامع المسلمين ، وهي أعظمُ مِن كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضُه سوى مجمع عرفة ، ومن تركها تهاوناً بها ، طبع الله على قلبه ، وقُربُ أهل الجنة يومَ القيامة ، وسبقُهم الى الزيارة يومَ المزيد بحسب قُربهِمْ من الإمام يومَ الجمعة وتبكيرهم .

الخاصة الرابعة : الأمر بالاغتسال في يومها ، وهو أمرٌ مؤكد جداً ، ووجوبه أقوى مِن وجوب الوتر ، وقراءة البسملة في الصلاة ، ووجوب الوضوءِ من مس النساء ، ووجوب الوضوءِ مِن مسِّ الذكر ، ووجوب الوضوءِ من القهقهة في الصلاة ، ووجوب الوضوءِ من الرُّعاف ، والحِجامة ، والقيء ، ووجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير ، ووجوب القراءة على المأموم .

وللناس في وجوبه ثلاثةُ أقوال : النفيُ والاثبات ، والتفصيلُ بين من به رائحة يحتاج إلى ازالتها ، فيجب عليه ، ومن هو مستغن عنه ، فيستحب له ، والثلاثة لأصحاب أحمد .

الخاصة الخامسة : التطيب فيه ، وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الأسبوع .

الخاصة السادسة : السِّواك فيه ، وله مزية على السواك في غيره .

الخاصة السابعة : التبكير للصلاة .

---

(١) أخرجه البيهقي من حديث أنس ، وهو حسن .

الخاصة الثامنة : أن يشتغل بالصلاة ، والذكر ، والقراءة حتى يخرج الإمام .

الخاصة التاسعة : الإنصات للخطبة إذا سمعها وجوباً فى أصح القولين ، فإن تركه ، كان لاغياً ، ومن لغا ، فلا جمعة له ، وفي « المسند » مرفوعاً « والذي يقول لِصاحِبِه : أنصِتْ ، فَلا جُمُعَةَ لَهُ »(١) .

الخاصة العاشرة : قراءة سورة الكهف في يومها ، فقد روي عن النبي ﷺ « مَنْ قَرأَ سُورَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، سَطَعَ لَهُ نُورٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إلى عَنَانِ السَّمَاء يُضِيء بِه يَوْمَ القِيامَةِ ، وغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ »(٢) .

وذكره سعيد بن منصور مِن قول أبي سعيد الخُدري وهو أشبه .

الحادية عشرة : أنه لا يُكره فعلُ الصلاة فيه وقتَ الزوال عند الشافعي رحمه الله ومن وافقه ، وهو اختيارُ شيخنا أبي العباس بن تيمية ، وَلم يكن اعتمادُه على حديث ليث ، عن مجاهد ، عن أبي الخليل ، عن أبي قتادة ، عن النبي ﷺ ، أنه كره الصلاة نِصف النهار إلا يومَ الجمعة . وقال : إنَّ جَهَنَّمَ تُسَجَّرُ إلاَّ يَوْمَ الجُمُعَة(٣) ـــ وإنما كان اعتمادُه على أن من جاء إلى الجمعة يُستحب له أن يُصلِّيَ حتى يخرج الإمام ، وفي الحديث الصحيح « لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِن دُهْنِهِ ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيب بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْن ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه مطولاً أحمد ٩٣/١ ، وأبو داود (١٠٥١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلفظ « ومن قال يوم الجمعة لصاحبه : صه ، فقد لغا ، ومن ، لغا فليس له في جمعته تلك شيء » وفى سنده مجهول . وأخرجه البخاري ٣٤٣/٢ ، ومسلم (٨٥١) و « الموطأ » ١٠٣/١ من حديث أبى هريرة دون قوله « ومن لغا فليس له في جمعته تلك شيء » ولفظه إذا قلت لصاحبك : أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت » وروى أبو داود (٣٤٧) من حديث عبد الله ابن عمرو مرفوعاً « من اغتسل يوم الجمعة ، ثم مس من طيب امرأته إن كان لها ، وليس من صالح ثيابه ، ثم لم يتخط رقاب الناس ، ولم يلغ عند الموعظة ، كانت كفارة لما بينهما ، ومن لغا أو تخطى ، كانت له ظهراً » وسنده حسن ، وصححه ابن خزيمة (١٨١٠) .

(٢) حديث صحيح أخرجه الحاكم ٣٦٨٢ ، والبيهقى من حديث نعيم بن حماد ، عن هاشم ، عن أبي مجلز ، = عن قيس بن عباد ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعا ، ونعيم بن حماد كثير الخطأ ، وباقي رجاله ثقات ، وأخرجه الدارمي في « مسنده » ٤٥٤/٢ موقوفاً على أبي سعيد ورجاله ثقات ، ومثله لا يقال بالرأي ، فله حكم الرفع ، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة ، سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة ، وغفر له ما بين الجمعتين » أخرجه أبو بكر بن مردودية في تفسيره ، فيما ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ٣٣/٢ ، وقال : باسناد لا بأس به . وفي الباب عن على رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة ، فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدّجّال ، عصم منه » أخرجه الضياء المقدسي في « الأحاديث المختارة » من طريق عبد الله بن مصعب عن منظور ابن زيد بن خالد الجهني ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي ، وعبد الله بن مصعب ضعفه ابن معين .

(٣) رواه أبو داود (١٠٨٣) في الصلاة : باب الصلاة يوم الجمعة قبل الزوال ، وليث أبن أبي سليم ضعيف ، وفيه انقطاع .

يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإمَامُ إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرى » . رواه البخارى(١) فندبه إلى الصلاة ما كُتِب له ، ولم يمنعه عنها إلا في وقت خروج الإمام ، ولهذا قال غيرُ واحد من السلف ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتبعه عليه الإمام أحمد بن حنبل : خروجُ الإمام يمنع الصلاة ، وخطبتهُ تمنع الكلام ، فجعلوا المانع من الصلاة خروجَ الإمام ، لا انتصافَ النهار .

وأيضاً ، فإن الناس يكونون في المسجد تحت السقوف ، ولا يشعُرون بوقت الزوال ، والرجلُ يكون متشاغِلاً بالصلاة لا يدري بوقت الزوال ، ولا يُمكنه أن يخرج ، ويتخطَّى رقاب الناس ، وينظُر إلى الشمس ويرجِعَ ، ولا يشرع له ذلك .

وحديث أبي قتادة هذا ، قال أبو داود : هو مرسل لأن أبا الخليل لم يسمع من أبي قتادة ، والمرسل إذا اتصل به عمل ، وَعَضَدَهُ قياسٌ ، أو قولُ صحابى ، أو كان مرسله معروفا باختيار الشيوخ ورغبتهِ عن الرواية عن الضعفاء والمتروكين ونحو ذلك مما يقتضي قوته ، عُمِلَ به .

وأيضا ، فقد عضده شواهد أخر ، منها ما ذكره الشافعي في كتابه فقال : روي عن إسحاق بن عبد الله ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ نَهى عَنِ الصَّلاةِ نِصفَ النهار حتى تزول الشمسُ إلا يومَ الجمعة .(٢) هكذا رواه رحمه الله في كتاب « اختلاف الحديث » ورواه في « كتاب الجمعة » : حدثنا إبراهيم بن محمد ، عن إسحاق ، ورواه أبو خالد الأحمر ، عن شيخ من أهل المدينة ، يقال له : عبد الله بن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ . وقد رواه البيهقي في « المعرفة » من حديث عطاء بن عجلان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : كان النبيُّ ﷺ ينهى عن الصلاة نِصفَ النهار ، إلا يومَ الجمعة . ولكن إسناده فيه من لا يحتج به . قاله البيهقي ، قال : ولكن إذا انضمت هٰذه الأحاديث إلى حديث أبي قتادة أحدثت بعضَ القوة .

قال الشافعي : من شأن الناس التهجيرُ إلى الجمعة ، والصلاةُ إلى خروج الإمام ، قال البيهقي : الذي أشار إليه الشافعي موجود في الأحاديث الصحيحة ، وهو أن النبي ﷺ رغَّب في التبكير إلى الجمعة ، وفي الصلاة إلى خروج الإمام من غير استثناء ، وذلك يُوافِق

---

(١) رواه البخاري ٣٠٨/٢ ، ٣٠٩ في الجمعة : باب الدهن للجمعة ، وباب لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة .

(٢) أخرجه الشافعي ٥٢/١ ، وإبراهيم بن محمد شيخ الشافعي ، وإسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة متروكان .

هذه الأحاديث التي أُبيحت فيها الصلاة نصف النهار يومَ الجمعة ، وروينا الرُّخصة في ذلك عن عطاء ، وطاووس ، والحسن ، ومكحول .

قلت : اختلف الناسُ في كراهة الصلاةِ نِصفَ النهار على ثلاثة أقوال أحدها : أنه ليس وقت كراهة بحال ، وهو مذهب مالك .

الثاني : أنه وقت كراهة في يوم الجمعة وغيرها ، وهو مذهب أبي حنيفة ، والمشهور من مذهب أحمد .

والثالث : أنه وقت كراهة إلا يومَ الجمعة ، فليس بوقت كراهة ، وهذا مذهب الشافعي .

الثانية عشرة : قراءة (سورة الجمعة) و (المنافقين) ، أو (سبح والغاشية) في صلاة الجمعة ، فقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن في الجمعة ، ذكره مسلم في « صحيحه »(١) .

وفيه أيضاً : أنه ﷺ ، كان يقرأ فيها ب (الجُمُعةِ) و ﴿ هَلْ أتاك حديثُ الغاشية﴾(٢) ثبت عنه ذلك كلُّه .

ولا يُستحب أن يقرأ مِن كل سورة بعضَها ، أو يقرأ إحداهما في الركعتين ، فإنه خلافُ السنة ، وجُهَّالُ الأئمة يُداومون على ذلك .

الثالثة عشرة : أنه يومُ عيد متكرِّر في الأسبوع ، وقد روى أبو عبد الله ابن ماجه في « سننه » من حديث أبي لُبابة بنِ عبدِ المُنذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن يَومَ الجُمُعةِ سَيِّدُ الايَّام ، وأَعْظَمُها عِنْدَ الله ، وهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ الله مِنْ يَوْمِ الأَضْحَىٰ ، وَيَوْمِ الفِطْر ، فيه خَمْسُ خِلالٍ : خَلَقَ الله فيه آدم ، وأَهْبَطَ فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفَّى الله آدم ، وفيه ساعَةٌ لا يَسْأَلُ الله العَبْدُ فيها شيئاً إلَّا أعطاه ، ما لم يسأَلْ حراماً ، وفيه تقومُ السَّاعَةُ ، ما مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، ولا سماءٍ ، ولا أَرْضٍ ، ولا رِيَاحٍ ، ولا جِبالٍ ، ولا شَجَرٍ إلا وهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الجمعة »(٣) .

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » (٨٧٧) في الجمعة : باب ما يقرأ في صلاة الجمعة من حديث أبي هريرة ، ورواه أيضاً أبو داود (١١٢٤) في الصلاة : باب ما يقرأ به في الجمعة ، والترمذي (٥١٩) في الصلاة : باب ما جاء في القرآن في صلاة الجمعة ، وابن ماجه (١١١٨) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في القراءة في الصلاة يوم الجمعة .

(٢) رواه مسلم (٨٧٨) من حديث النعمان بن بشير .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٠٨٤) في اقامة الصلاة : باب في فضل الجمعة ، وأحمد في « المسند » ٣/٤٣٠ وإسناده حسن كما قال البوصيري في « الزوائد » .

الرابعة عشرة : أنه يُستحب أن يلبَس فيه أحسَنَ الثياب التي يقدِرُ عليها ، فقد روى الإمام أحمد في « مسنده » من حديث أبي أيوب قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنِ اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعةِ وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إنْ كانَ له ، ولَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثيابِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ وعليه السَّكِينةُ حتَّى يَأْتيَ المسجدَ ، ثُمَّ يَرْكَعَ إنْ بَدا له ، ولَمْ يُؤْذِ أحداً ، ثُمَّ أَنْصَتَ إذا خَرَج إمامُه حتَّى يُصَلِّيَ ، كانت كَفَّارَةً لما بينهما(١) .

وفى سنن أبي داود ، عن عبد الله بن سلام ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المِنبَر في يَوْمِ الجُمُعة : « ما علىٰ أَحَدِكم لو اشْتَرىٰ ثَوْبين لِيَومِ الجُمُعة سِوى ثَوْبَيْ مِهْنَتِه(٢) .

وفي سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبى ﷺ خطب الناسَ يومَ الجمعة ، فرأى عليهم ثِيابَ النِّمار ، فقال : « ما علىٰ أَحَدِكُمْ إنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتخِّذَ ثَوبَيْن لِجُمُعَتِهِ سِوَي ثَوْبَي مِهْنَتِهِ »(٣) .

الخامسة عشرة : أنه يستحب فيه تجميرُ المسجد ، فقد ذكر سعيدُ ابن منصور ، عن نعيم بن عبد الله المُجْمِر ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن يُجمَّر مسجدُ المينة كُلَّ جُمعة حين ينتصِفُ النهار .

قلت : ولذلك سمي نعيم المُجْمِر .

السادسة عشرة : أنه لا يجوزُ السفرُ في يومها لمن تلزمه الجمعة قبل فعلها بعد دخول وقتها ، وأما قبله ، فللعلماء ثلاثةُ أقوال ، وهي روايات منصوصات عن أحمد ، أحدها : لا يجوز ، والثاني : يجوز ، والثالث : يجوز للجهاد خاصة .

وأما مذهب الشافعي رحمه الله ، فيحرم عنده إنشاء السفر يوم الجمعة بعد الزوال ، ولهم في سفر الطاعة وجهان ، أحدهما : تحريمه ، وهو اختيار النووي ، والثانى : جوازه وهو اختيار الرافعي .

وأما السفر قبل الزوال ، فللشافعي فيه قولان : القديم : جوازه ، والجديد : أنه كالسفر بعد الزوال .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/٤٢٠ وإسناده حسن ، وصححه ابن خزيمة (١٧٧٥) .

(٢) رواه أبو داود (١٠٧٨) في الصلاة : باب اللبس للجمعة ، وابن ماجه (١٠٩٥) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الزينة واللفظ له وإسناده صحيح ، كما قال البوصيرى في «الزوائد» .

(٣) رواه ابن ماجه (١٠٩٦) وابن خزيمة (١٧٦٥) وفي سنده زهير بن محمد التميمى ، ورواية أهل الشام عنه غير مستقيمة وضعف بسببها ، والراوى عنه هنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي أبو حفص الدمشقي ، لكن يشهد له الحديث الذي قبله ، فهو صحيح به .

وأما مذهب مالك ، فقال صاحب « التفريع » :(١) ولا يسافر أحدٌ يوم الجمعة بعد الزوال حتى يُصلِّى الجمعة ، ولا بأس أن يُسافر قبل الزوال ، والاختيارُ : أن لا يسافر إذا طلع الفجر وهو حاضر حتى يُصليَ الجمعة .

وذهب أبو حنيفة إلى جواز السفر مطلقاً ، وقد روى الدارقطني في « الأفراد » ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَافَرَ مِنْ دارِ إقامَتِه يومَ الجُمُعةِ ، دَعَتْ عَلَيهِ المَلائِكَةُ ألا يُصْحَب في سَفَرِه » .
وهو من حديث ابن لهيعة .

وفى مسند الإمام أحمد من حديث الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن رواحة في سرية ، فوافق ذلِكَ يَوْمَ الجمعة ، قال : فغدا أصحابُه ، وقال : أتخلَّفُ وأُصلي مع رسول الله ﷺ ، ثم ألحقهم ، فلما صلَّى النبي ﷺ ، رآه ، فقال : ما مَنَعَكَ أنْ تَغْدُوَ مَع أصْحَابِك ؟ فقال : أردتُ أن أصليَ معك ، ثم ألحقَهم ، فقال : « لَوْ أنْفَقْتَ مَا في الأرْضِ ما أدْرَكْتَ فَضْلَ غَدْوَتِهم »(٢)
وأُعِلَّ هذا الحديثُ ، بأن الحكم لم يسمع من مقسم(٣)

هذا إذا لم يَخَف المسافرُ فَوتَ رِفقته ، فإن خاف فوت رفقته وانقطاعَه بعدهم ، جاز له السفرُ مطلقاً ، لأن هذا عذر يُسقط الجمعة والجماعة .

ولعل ما روي عن الأوزاعي ـــ أنه سئل عن مسافر سمع أذان الجمعة وقد أسرج دابته ، فقال : لِيمض على سفرِه ـــ محمولٌ على هذا ، وكذلك قولُ ابن عمر رضي الله عنه : الجمعة لا تحبِسُ عن السفر . وإن كان مرادهم جوازَ السفر مطلقاً ، فهي مسألة نزاع . والدليل : هو الفاصل ، على أن عبد الرزاق قد روى في « مصنفه » عن معمر ، عن خالد الحذاء ، عن ابن سيرين أو غيره ، أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً عليه ثيابُ سَفَرٍ بعد ما قضى الجمعة ، فقال : ما شأنُك ؟ قال : أردتُ سفراً ، فكرِهْتُ أن أخرُجَ حتى أصلي ،

---

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الجلاب البصري أبو القاسم فقيه أصولي توفي عند منصرفة من الحج سنة ٣٧٨ هـ مترجم في « الديباج المذهب » ص ١٤٦ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ١/٢٢٤ ، والترمذى (٥٢٧) في الصلاة : باب ما جاء في السفر يوم الجمعة .

(٣) وفي سنده أيضاً الحجاج بن أرطاة ، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس وقد عنعن وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه : قال علي بن المديني : قال يحيى بن سعيد : قال شعبة : لم يسمع الحكم من مقسم إلا خمسة أحاديث وعدها شعبة ، وليس هذا الحديث فيما عد شعبة وكأن هذا الحديث لم يسمعه الحكم من مقسم .

فقال عمر : إن الجمعة لا تمنعُك السفرَ ما لم يحضُرْ وقْتُها.(١) فهذا قول من يمنع السفر بعد الزوال ، ولا يمنع منه قبله .

وذكره عبد الرزاق أيضاً عن الثوري ، عن الأسود بن قيس ، عن أبيه قال : أبصرَ عمرُ ابن الخطاب رجلاً عليه هَيْئَةُ السَّفرِ ، وقال الرجلُ : إن اليومَ يومُ جمعة ولولا ذلك ، لخرجتُ ، فقال عُمر : إن الجمعة لا تحبِسُ مسافراً ، فاخْرج ما لم يَحِنِ الرواح .(٢) .

وذكر أيضا عن الثوري ، عن ابن أبي ذئب ، عن صالح بن كثير ، عن الزهري قال : خرج رسول الله ﷺ مسافراً يومَ الجمعة ضُحى قبل الصلاة .(٣)

وذكر عن معمَر قال : سألت يحي بن أبي كثير : هل يخرج الرجل يومَ الجمعة ؟ فكرهه ، فجعلت أحدِّثه بالرخصة فيه ، فقال لي : قلما يخرج رجل في يوم الجمعة إلا رأى ما يكرهه ، لو نظرت في ذلك ، وجدتَه كذلك(٤) .

وذكر ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن أبي عطية ، قال : اذا سافر الرجُلُ يوم الجمعة ، دعا عليه النهارُ أن لا يُعَانَ على حاجته ، ولا يُصاحب في سفره(١) .

وذكر الأوزاعي ، عن ابن المسيِّب ، أنه قال : السفر يومَ الجمعة بعد الصلاة . قال ابن جُريج : قلت لعطاء : أبلغك أنه كان يُقال : إذا أمسى في قرية جامعة مِن ليلة الجمعة ، فلا يذهب حتى يُجمِّعَ ؟ قال : إن ذلك ليُكرَه . قلت : فمِن يوم الخميس ؟ قال :لا ، ذلك النهار فلا يضره(٢) .

السابعة عشرة : أن للماشي إلى الجمعة بكل خُطوة أجرَ سنة صيامَها وقيامَها ، قال عبد الرزاق : عن معمر ، عن يحي بن أبي كثير ، عن أبي قِلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس ، قال : قال رسول الله ﷺ : من غَسَّلَ واغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعةِ ، وبَكَّرَ وابْتَكَر ، ودَنا مِنَ الإمام ، فأنْصَتَ ، كانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها صِيامُ سَنَةٍ وقيامُها ، وذلِكَ على الله يسير»(٣) . ورواه الإمام أحمد في « مسنده » .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٥٥٣٦) ورجاله ثقات .

(٢) « المصنف » (٥٥٣٧) ورجاله ثقات .

(٣) « المصنف » (٥٥٤٠) وهو مرسل ، وصالح بن كثير مجهول .

(٤) « المصنف » (٥٥٤١) .

(١) « المصنف » (٥٥٤٢) (٢) « المصنف » (٥٥٤٣) .

(٣) « المصنف » (٥٥٧٠) وأحمد في « المسند » ٤/٨ . ورواه الترمذي (٤٩٦) في الصلاة باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة ، وأبو داود (٣٤٥) في الطهارة : باب الغسل للجمعة ، والنسائى ٣/٩٥ في الجمعة : باب فضل غسل يوم الجمعة ، وابن ماجه (١٠٨٧) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة ، وإسناده صحيح ، وصححه بن خزيمة (١٧٥٨) و (١٧٦٧) .

قال الإمام أحمد : غسَّل ، بالتشديد : جامع أهله ، وكذلك فسَّره وكيع .

الثامنة عشر : أنه يوم تكفير السيِّئات ، فقد روى الإمام أحمد في « مسنده » عن سلمان قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أتَدْري ما يَوْمُ الجُمعة ؟ » قلت : هُوَ اليومُ الذي جَمعَ الله فيه أباكُم آدم قال : « ولكنِّي أدْري ما يَومُ الجُمُعة ، لا يَتطَهَّرُ الرَّجُلُ فَيحْسِنُ طُهُورَهُ ، ثُمَّ يأتي الجُمُعة ، فَيَنْصِتُ حَتَّى يَقْضِيَ الإمام صَلاتَهُ ، إلا كانت كَفَّارَةً لما بَيْنَه وَبيْنَ الجُمُعةِ المُقْبِلَة ما اجْتُنِبَتِ المَقْتَلَةُ»(١) .

وفى « المسند » أيضاً من حديث عطاء الخراساني ، عن نُبيشة الهُذلي ، أنه كان يُحدِّث عن رسول الله ﷺ « إنَّ المُسْلِمَ إذا اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعةِ ، ثُمَّ أقْبَلَ إلَى المَسْجِدِ لا يُؤْذِي أحَداً ، فإن لَمْ يَجِدِ الإمَامَ خَرَجَ ، صلَّى مَا بدَا لَهُ ، وإنْ وَجَدَ الإمَامَ قد خَرجَ ، جَلَسَ ، فَاسْتَمَعَ وأنْصَتَ حَتَّى يَقْضِيَ الإمَامُ جُمُعَتَهُ وكَلامَهُ ، إن لَمْ يُغْفَرْ لَهُ في جُمُعَتِه تِلْك ذُنُوبُه كلُّها ، أن تَكُون كَفَّارَةً لِلْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا »(٢) .

وفى صحيح البخاري ، عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ « لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعةِ وَيتَطَهَّرُ ما اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِه أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيب بَيْته ، ثُمَّ يَخْرُجُ ، فلا يُفَرِّقُ بَينَ اثنين ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنْصِتُ اذَا تَكَلَّمَ الإمامُ ، إلا غُفِرَ لَهُ ما بيْنَهُ وبَينَ الجُمُعةِ الأُخْرَى»(٣) .

وفى مسند أحمد ، من حديث أبي الدرداء ، قال : قال رسولُ الله ﷺ « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعة ، ثُمَّ لَبسَ ثيابَه ، وَمَسَّ طيباً إن كان عِنْدَه ، ثُمَّ مَشى إلى الجُمُعة وعَلَيْه السَّكِينَةُ ، ولم يَتَخَطَّ أحَداً ، ولم يُؤْذِه ، وركَعَ ما قُضِي له ، ثُمَّ انتظَر حتَّى يَنْصَرِفَ الإمامُ ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ »(١)

التاسعة عشرة : أن جهنم تُسَجَّرُ كُلَّ يومٍ إلا يومَ الجمعة . وقد تقدم حديثُ أبي قتادة في ذلك ، وسر ذلك ـــ والله أعلم ـــ أنه أفضل الأيام عند الله ، ويقعُ فيه من الطاعات ،

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤٣٩/٥ ، ورجاله ثقات ، لكن فيه عنعنة هشيم ، والمغيرة بن مقسم ، وأورده الهيثمي في « المجمع » ١٧٤/٢ ، وقال : رواه الطبراني في « الكبير » : وإسناده حسن .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٧٥/٥ ، قال المنذري في «الترغيب والترهيب » ٦/٢ ، ٧ : رواه أحمد ، وعطاء لم يسمع من نبيشة فيما أعلم ، وقال الهيثمي في « المجمع » ١٧١/٢ : رواه أحمد ورجالة رجال الصحيح ، خلا شيخ أحمد ، وهو ثقة .

(٣) تقدم تخريجه .

رواه أحمد في « المسند » ١٩٨/٥ من حديث حرب بن قيس عن أبي الدرداء ، وحرب لم يسمع من أبى الدرداء لكن يشهد له حديث أبى سعيد وأبي هريرة عند أحمد ، وحديث أبي ذر عن أحمد أيضاً ، فهو صحيح بها .

والعبادات ، والدعوات ، والابتهال إلى الله سبحانه وتعالى ، ما يمنع من تسجير جهم فيه . ولذلك تكُون معاصي أهل الإيمان فيه أقلَّ مِن معاصيهم في غيره ، حتى إن اهلَ الفجور ليمتنِعون فيه مما لا يمتنِعون منه في يوم السبت وغيره .

وهذا الحديث الظاهر منه أن المراد سَجْرُ جهنم في الدنيا ، وأنها تُوقد كلَّ يوم إلا يومَ الجمعة ، وأما يوم القيامة ، فإنه لا يُفَتَّر عَذَابُها ، ولا يُخَفَّفُ عن أهلها الذين هم أهلُها يوماً من الأيام ، ولذلك يَدْعون الخزنَة أن يدعوا ربَّهم ليخفف عنهم يوماً من العذاب ، فلا يُجيبونهم إلى ذلك .

العشرون : أن فيه ساعةَ الإجابة ، وهي الساعة التي لا يسأل الله عبد مسلم فيها شيئاً إلا أعطاه ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجُمُعَةِ لَساعَةً لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ وهو قائِم يُصلِّي يسألُ الله شَيْئاً إلَّا أعْطَاهُ إيَّاهُ ، وقال : بيدِه يُقَلِّلها »(١) .

وفى المسند من حديث أبي لُبابة بن عبد المنذر ، عن النبي ﷺ قال : « سيِّدُ الأيَّام يومُ الجُمُعَة ، وأعْظَمُها عِنْدَ الله ، وأعظم عِنْدَ الله مِنْ يومِ الفِطْرِ ، وَيَوْمِ الأضْحَى ، وفِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ : خَلَقَ الله فِيهِ آدَمَ ، وأَهْبَطَ الله فِيهِ آدَمَ إلى الأرْضِ ، وفيه تَوَفَّى الله عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ ، وفيه ساعةٌ لا يَسْأَلُ الله العبدُ فِيهَا شَيْئاً إلَّا آتاهُ الله إيَّاهُ ما لم يَسْأَلْ حَرَاماً ، وفيهِ تَقُومُ السَّاعَة ، ما مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، ولا أرْضٍ ، ولا رِياحٍ ، ولا بَحْرٍ ، ولا جِبالٍ ، ولا شَجَرٍ ، إلا وهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَة »(٢) .

---

(١) رواه البخارى ٣٤٤/٢ في الجمعة : باب الساعة التي في يوم الجمعة ، وفي الطلاق باب الإشارة في الطلاق ، وفي الدعوات : باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة ، ومسلم (٨٥٢) في الجمعة : باب في الساعة التي في يوم الجمعة ، ورواه أيضاً النسائى ١١٥/٣ في الجمعة : باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ، ابن ماجه (١١٣٧) في إقامة الصلاة : باب ما جاء فى الساعة التي ترجى في الجمعة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٤٣٠/٣ . وابن ماجه (١٠٨٤) وقد تقدم وهو حسن .

فصل : ساعة الإجابة يوم الجمعة

وقد اختلف الناس في هذه الساعة : هل هي باقية أو قد رُفِعت ؟ على قولين ، حكاهما ابن عبد البَر وغيرُه ، والذين قالوا : هي باقية ولم تُرفع ، اختلفوا ، هل هي في وقت من اليوم بعينه ، أم هي غيرُ معينة ؟ على قولين . ثم اختلف من قال بعدم تعيينها : هل هي تنتقل في ساعات اليوم ، أو لا ؟ على قولين أيضاً ، والذين قالوا بتعيينها ، اختلفوا على أحد عشر قولاً .

قال ابن المنذر : روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : هي مِن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وبعدَ صلاة العصر إلى غروبِ الشمس .

الثاني : أنها عند الزوالِ ، ذكره ابن المنذر عن الحسن البَصري ، وأبي العالية .

الثالث : أنها إذا أذن المؤذِّن بصلاة الجمعة ، قال ابن المنذر : روينا ذلك عن عائشة رضي الله عنها .

الرابع : أنها إذا جلس الإمامُ على المنبر يخطب حتى يفرُغ ، قال ابن المنذر : رويناه عن الحسن البصرى .

الخامس : قاله أبو بردة : هي الساعة التي اختار الله وقتها للصلاة .

السادس : قاله أبو السوار العدوي ، وقال : كانوا يرون أن الدعاء مستجاب ما بين زوال الشمس إلى أن تدخل الصلاة.

السابع : قاله أبو ذر : إنها ما بين أن ترتفِع الشمس شبراً إلى ذراع .

الثامن : أنها ما بين العصر إلى غروب الشمس ، قاله أبو هريرة ، وعطاء ، وعبد الله بن سلام ، وطاووس ، حكى ذلك كله ابن المنذر .

التاسع : أنها آخرُ ساعة بعد العصر ، وهو قول أحمد ، وجمهور الصحابة ، والتابعين .

العاشر : أنها من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة ، حكاه النووي وغيره .

الحادي عشر : أنها الساعة الثالثةُ من النهار ، حكاه صاحب « المغني » فيه . وقال كعب : لو قسم الإنسان جمعة في جمع ، أتى على تلك الساعة . وقال عمر : إن طلبَ حاجة في يوم ليسير .

وأرجح هٰذه الأقوال : قولان تضمنتهما الأحاديثُ الثابتة ، وأحدهما أرجح من الآخر .

الأول : أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة ، وحجة هذا القول ما روى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي بُردة بن أبي موسى ، أن عبد الله بن عمر قال له : أسمعتَ أباك يُحدِّث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة شيئا ؟ قال : نعم سمعتُه يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « هِيَ ما بَيْنَ أنْ يَجلِسَ الإمَامُ إلى أن تُقْضَى الصَّلاةُ »(١) .

وروى ابن ماجه ، والترمذي ، من حديث عمرو بن عوف المزني ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ فِي الجُمُعة سَاعةً لا يسألُ الله العبدُ فيها شيئاً إلَّا آتاه الله إيَّاهُ » قالوا : يا رسول الله ! أيَّةُ سَاعَةٍ هِيَ ؟ قال : « حِينَ تُقامُ الصَّلاةُ إلى الانْصِراف مِنْها »(٢) .

والقول الثاني : أنها بعد العصر ، وهذا أرجحُ القولين ، وهو قول عبد الله ابن سلام ، وأبي هريرة ، والإمام أحمد ، وخلق . وحجة هذا القول ما رواه أحمد في « مسنده » من

---

(١) رواه مسلم (٨٥٣) في الجمعة : باب في الساعة التي في يوم الجمعة من حديث بن وهب ، عن مخرمة ، عن أبيه ، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال : لي عبد الله بن عمر أسمعت أباك يحدث عن رسول في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » وقد أعل بالانقطاع والاضطراب ، أما الانقطاع ، فلأن مخرمة بن بكير لم يسمع من أبيه ، قال أحمد عن حماد بن خالد عن مخرمة نفسه ، وكذا قال سعيد بن أبي مريم ، عن موسى بن سلمة ، عن مخرمة وزاد : إنما هي كتب كانت عندنا ، قال علي بن المديني : لم أسمع أحداً من أهل المدينة يقول : عن مخرمة : إنه قال في شيء من حديثه : سمعت أبي ، ولا يقال : مسلم يكتفي في المعنعن بامكان اللقاء مع المعاصرة وهو كذلك هنا ، لأنا نقول : وجود التصريح من مخرمة بأنه لم يسمع من أبيه كاف في دعوى الانقطاع ، وأما الاضطراب ، فقد رواه أبو إسحاق وواصل الأحدب ، ومعاوية بن قرة وغيرهم عن أبي بردة من قوله ، وهؤلاء من أهل الكوفة ، وأبو بردة كوفي ، فهو أعلم بحديثه من بكير المدني ، وهم عدد ، وهو واحد ، ولذا جزم الدارقطني بأن الموقوف هو الصواب .

(٢) رواه ابن ماجه (١١٣٨) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة ، والترمذى (٤٩٠) في الصلاة : باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ، وفي سنده كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، وهو ضعيف ، ومع ذلك فقد قال الترمذى حسن غريب ، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » : كثير بن عبد الله واه بمرة ، وقد حسن له الترمذي هذا وغيره ، وصحح له حديثاً في الصلح ، فانتقد الحفاظ تصحيحه له ، بل وتحسينه ، والله أعلم . وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح » : ورواه ابن أبي شيبة من طريق مغيرة عن واصل الأحدب ، عن أبي بردة قوله .

حديث أبي سعيد وأبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : « إنَّ في الجُمعة ساعةً لا يُوافِقُها عَبْدٌ مسلم يَسْأَلُ الله فِيهَا خَيْرَاً إلاَّ أعْطَاه إيَّاهُ وهيَ بَعْدَ العَصْرِ »(١) .

وروى أبو داود والنسائي ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، قال : « يومُ الجُمُعةِ اثْنَا عَشَرَ سَاعَةً ، فِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله فِيهَا شَيْئاً إلَّا أعْطَاهُ ، فالْتَمِسُوهَا آخِرَ ساعةٍ بَعْدَ العَصْرِ »(٢) .

وروى سعيد بن منصور في « سننه » عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا ، فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة ، فتفرَّقوا ولم يختلِفوا أنها آخرُ ساعة من يوم الجمعة .

وفي سنن ابن ماجه : عن عبد الله بن سلام ، قال : قُلْتُ ورسولُ الله ﷺ جالِس : إنَّا لَنَجِدُ في كِتابِ الله (يعني التوراة) في يَوْمِ الجُمُعة سَاعَة لا يُوافِقُها عَبْدٌ مؤمِنٌ يُصلي يسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ شَيْئاً إلَّا قَضَى الله لَهُ حَاجَتَهُ قَالَ عَبْدُ الله : فأشارَ إليَّ رسولُ الله ﷺ أو بَعْضَ سَاعَةٍ . قلت : صدقتَ يَارسُول الله ، أو بَعْضَ سَاعة . قلت : أيُّ ساعةٍ هي ؟ قال : « هي آخرُ ساعةٍ من سَاعات النَّهار » . قلتُ : إنها ليست ساعةَ صلاة ، قال : بلى إن العبدَ المؤمنَ إذا صلَّى ، ثم جَلَسَ لا يُجْلِسُهُ إلَّا الصَّلاة ، فهو في صَلاةٍ .(٣)

وفي مسند أحمد من حديث أبي هريرة ، قال : قيل للنبي ﷺ : لأي شيء سُمِّيَ يوم الجمعة ؟ قال : « لأنَّ فيها طُبِعَتْ طينَةُ أبيك آدَمَ ، وفيها الصَّعْقَةُ والبَعْثَةُ ، وفيها البَطْشَةُ ، وفي آخِرِ ثَلاثِ سَاعَاتٍ مِنْهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا الله فِيهَا استُجيب لَهُ »(٤) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/٢٧٢ من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وفي سنده محمد ابن سلمة الأنصاري وهو مجهول مترجم في « الميزان » و « اللسان » لكن يشهد له ما بعده .

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٨) في الصلاة : باب الإجابة أية ساعة هي في يوم الجمعة ، والنسائي ٣/٩٩ ، ١٠٠ في الجمعة : باب وقت الجمعة ، وإسناده جيد ، وصححه الحاكم ١/٢٧٩ ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً النووي ، وحسنه الحافظ بن حجر : قال الترمذي : وقال أحمد (يعني بن حنبل) أكثر الحديث في الساعة التي ترجى إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر ، وترجى بعد زوال الشمس وانظر الفتح ٢/٣٥١ .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١١٣٩) في اقامة الصلاة : باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة وإسناده حسن .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ٢/٣١١ ، وفي سنده الفرج بن فضالة ، وهو ضعيف ، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من أبي هريرة .

وفي سنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْم الجُمُعَة ، فيه خُلِقَ آدَمُ ، وفيه أُهْبِطَ ، وفيه تِيبَ عليه ، وفيه مات ، وفيه تقومُ السَّاعة ، وما مِنْ دابَّةٍ إلا وهي مُصيخَةٌ يَوْمَ الجُمعة ، من حين تُصبِحُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقاً من السَّاعَة ، إلا الجنَّ والإنسَ ، وفيه ساعةٌ لا يُصادفها عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهو يُصَلِّي يَسْأَلُ الله عَزَّ وَجَلَّ حاجاً إلاَّ أعطَاهُ إيَّاها » قال كعب : ذلك في كلِّ سنةٍ يوم ؟ فقلتُ : بل في كل جُمُعَةٍ قال : فقرأ كعبٌ التوراة ، فقال : صدق رسول الله ﷺ . قال أبو هريرة : ثُمَّ لَقِيتُ عبدَ الله بنَ سلام ، فحدثته بمجلسي مَعَ كَعْبٍ ، فَقالَ عَبْدُ الله بنُ سلام : وقد علمتُ أيَّة سَاعَةٍ هيَ : قال أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقُلْتُ : أَخْبِرني بِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الله بنُ سَلَام : هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، فقلت : كَيْفَ هيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي » وتِلْكَ السَّاعَةُ لا يُصَلَّى فِيهَا ؟ فقال عبدُ الله بن سلام : أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ الله ﷺ : « من جَلَسَ مَجْلِساً يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ ، فَهُوَ في صَلَاةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ » ؟ قال : فقلت : بلى . فقال : هُوَ ذَاكَ(١) .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي « الصحيحين » بعضه .

وأما من قال : إنَّها من حين يفتتح الإمامُ الخطبة إلى فراغه من الصلاة ، فاحتج بما رواه مسلم في « صحيحه » ، عن أبي برده بن أبي موسى الأشعري ، قال : قال عبد الله ابن عمر : أسمعتَ أباك يُحدِّث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قُلت : نعم سمعتُه يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجلِس الإمامُ إلى أن يقضِيَ الإمام الصلاة »(٢) .

وأما من قال : هي ساعة الصلاة ، فاحتج بما رواه الترمذي ، وابن ماجه ، من حديث عمرو بن عوف المزني ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ في الجُمُعَة لَسَاعَةً لا يَسْأَلُ الله العَبْدُ فِيهَا شَيْئاً إلَّا آتاهُ الله إيَّاهُ » . قالوا : يا رسول الله ! أيَّةُ ساعة هِيَ ؟ قال : « حِينَ تُقَامُ الصَّلاةُ إلَى الانْصِرَافِ مِنْهَا »(٣) . ولكن هذا الحديث ضعيف ، قال

---

(١) رواه أبو داود (١٠٤٦) في الصلاة : باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، والترمذي (٤٩١) في الصلاة : باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ، والنسائي ١١٤/٣ ، ١١٥ في الجمعة : باب ذكر الساعة = = التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ، ورواه أيضاً مالك في « الموطأ » ١٨٢/١ و ١٨٣ وإسناده صحيح . وقد تقدم .

(٢) تقدم تخريجه وهو معل .

(٣) تقدم تخريجه وهو ضعيف .

أبو عمر بن عبد البر : هو حديث لم يروه فيما علمتُ إلا كثيرُ بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه ، عن جده ، وليس هو ممن يُحتجُّ بحديثه ، وقد روى روحُ بن عبادة ، عن عوف ، عن معاوية بن قرة ، عن أبي بردة عن أبي موسى ، أنه قال لعبد الله بن عمر : هي الساعة التي يخرج فيها الإمامُ إلى أن تُقضَى الصلاةُ . فقال ابن عمر: أصابَ الله بك .

وروى عبد الرحمن بن حُجَيْرَةَ ، عن أبي ذر ، أن امرأته سألته عن الساعة التي يُستجابُ فيها يومَ الجمعة للعبد المؤمن ، فقال لها : هي مع رفع الشمس بيسير ، فإن سألتِني بعدها ، فأنت طالق .

واحتج هؤلاء أيضاً بقوله في حديث أبي هريرة « وهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي » وبعد العصر لا صلاة في ذلك الوقت ، والأخذ بظاهر الحديث أولى . قال أبو عمر : يحتج أيضاً من ذهب إلى هذا بحديث علي ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا زالت الشَّمْسُ ، وفاءت الأَفياءُ ، ورَاحَتِ الأَرْواحِ ، فاطلبوا الى الله حوائجكُم ، فإنَّها ساعةُ الأوابين ، ثم تلا ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾(١) (الإسراء : ٢٥) .

وروى سعيدُ بن جُبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : الساعةُ التى تُذكر يومَ الجمعة : ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . وكان سعيد بن جُبير ، إذا صلى العصر ، لم يُكلِّم أحداً حتى تغرب الشمس ، وهذا هو قول أكثر السلف ، وعليه أكثر الأحاديث . ويليه القول : بأنها ساعة الصلاة ، وبقية الأقوال لا دليل عليها .

وعندي أن ساعة الصلاة ساعةٌ تُرجى فيها الإجابةُ أيضاً ، فكلتاهما ساعةُ إجابة ، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخِرُ ساعة بعد العصر ، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر ، وأما ساعةُ الصلاة ، فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت ، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرُّعهم وابتهالِهم إلى الله تعالى تأثيراً في الإجابة ، فساعة اجتماعهم ساعةٌ تُرجى فيها الإجابةُ ، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها ، ويكون النبي ﷺ قد حضَّ أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين .

ونظير هذا قوله ﷺ وقد سُئل عن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال : « هُوَ

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » : ٣٤٧/٢ : حكاه ابن المنذر عن أبي العالية ، وروى نحوه في اثناء حديث عن علي ، قال : وروى بن عساكر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : كانوا يرون الساعة المستجاب فيها الدعاء اذا زالت الشمس ، وكأن مأخذهم في ذلك أنها وقت اجتماع الملائكة ، وابتداء دخول وقت الجمعة وابتداء الأذان ونحو ذلك .

مَسْجِدكُم هذا » وأشارَ إلى مَسْجِدِ المَدِينَةِ(١) . وهذا لا ينفى أن يكون مسجد قُباء الذي نزلت فيه الآية مؤسساً على التقوى ، بل كلٌّ منهما مؤسَّس على التقوى .

وكذلك قولُه في ساعة الجمعة « هي ما بَيْنَ أن يجلس الإمامُ إلى أن تنقضي الصلاة » لا يُنافي قوله في الحديث الآخر « فالتَمِسُوها آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ » .

ويشبه هذا في الأسماء قوله ﷺ : « ما تَعُدُّون الرَّقوبَ فيكم ؟ قالوا : مَنْ لَمْ يُولَد له ، قال : « الرَّقوبُ مَنْ لَمْ يُقَدِّم مِنْ وَلَدِه شَيْئاً »(٢) .

فأخبر أن هذا هو الرَّقوب ، إذ لم يحصل له من ولده من الأجر ما حصل لمن قَدَّم منهم فرطاً ، وهذا لا ينافي أن يُسمى من لم يولد له رقوباً .

ومثلُه قولُه ﷺ : « ليس المسكينُ بهذا الطَّوَّافِ الَّذي تَرُدُّه اللُّقمةُ واللُّقمتانِ ، والتَّمْرةُ والتَّمْرتَانِ ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِى لا يَسْأَلُ النَّاسَ ، ولا يُتَفَطَّنُ لَهُ ، فَيُتَصَدَّقُ عليه »(٤) . وضَرَبَ هذا ، وسَفَكَ دَمَ هذا ، فَيأْخُذ هذا مِنْ حَسَناتِه ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِه» الحديثَ(٣) .

ومثلُه قولُه ﷺ: «ليس المسكينُ بهذا الطَّوَّافِ الَّذي تَرُدُّه اللقمةُ واللقمتانِ والتمرةُ والتَّمْرتَانِ ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِى لا يَسْأَلُ النَّاسَ ، ولا يُتَفَطَّنُ لَهُ ، فَيُتَصَدَّقُ عليه »(٤) .

وهذه الساعة هي آخِر ساعة بعد العصر ، يُعظِّمها جميع أهل الملل . وعند أهل الكتاب هي ساعة الإجابة ، وهذا مما لاغرض لهم في تبديله وتحريفه ، وقد اعترف به مؤمنُهم .

---

(١) رواه مسلم (١٣٩٨) في الحج : باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبى ﷺ بالمدينة من حديث أبي سعيد الخدري ، وفي الباب عن أبي بن كعب عند أحمد ١١٦/٥ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣٨٢/١ و ٣٨٣ ، ومسلم (٢٦٠٨) في البر والصلة : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب من حديث عبد الله بن مسعود .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٣٠٣/٢ و ٣٣٤ و ٣٧٢ ، ومسلم (٢٥٨١) في البر والصلة : باب تحريم الظلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .. المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » .

(٤) رواه مالك في « الموطأ » ٩٢٣/٢ في صفة النبي ﷺ : باب ما جاء في المساكين والبخاري ٢٦٩/٣ ، ٢٧٠ في الزكاة : باب قول الله لا يسألون الناس إلحافاً ، وفي تفسير سورة البقرة : باب لا يسألون الناس إلحافاً ، ومسلم (١٠٣٩) في الزكاة : باب المسكين الذي لا يجد غنى والنسائي ٨٥/٥ في الزكاة : باب تفسير المسكين .

وأما من قال بتنقلها ، فرام الجمع بذلك بين الأحاديث ، كما قيل ذلك فى ليلة القدر ، وهذا ليس بقوي ، فإن ليلةَ القدر قد قال فيها النبي ﷺ « فالتَمِسُوها في خَامِسَةٍ تَبْقَى ، في سَابِعَةٍ تَبْقَى ، في تَاسِعَةٍ تَبْقَى »(١) . ولم يجيء مثلُ ذلك في ساعة الجمعة .

وأيضاً فالأحاديث التي في ليلة القدر ، ليس فيها حديثٌ صريح بأنها ليلة كذا وكذا ، بخلاف أحاديث ساعة الجمعة ، فظهر الفرق بينهما .

وأما قول من قال : إنَّها رُفعت ، فهو نظيرُ قول مَن قال : إن ليلة القدر رُفِعَت ، وهذا القائل ، إن أراد أنَّها كانت معلومة ، فرفع علمُها عن الأمة ، فيقال له : لم يُرفع علمها عن كُلِّ الأمة ، وإن رُفِعَ عن بعضهم ، وإن أراد أن حقيقتها وكونَها ساعة إجابة رُفِعَتْ ، فقولٌ باطل مخالف للأحاديث الصحيحة الصريحة ، فلا يعول عليه . والله أعلم .

الحادية والعشرون : أن فيه صلاةَ الجمعة التي خُصَّت من بين سائر الصلوات المفروضات بخصائص لا تُوجد في غيرها من الاجتماع ، والعدد المخصوص ، واشتراط الإقامة ، والاستيطان ، والجهر بالقراءة . وقد جاء من التشديد فيها ما لم يأتِ نظيرُه إلا في صلاة العصر ، ففي السنن الأربعة ، من حديث أبي الجَعْدِ الضَّمْرِي ــ وكانت له صحبة ــ أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمَع تَهاوُناً ، طَبَعَ الله عَلى قَلْبِهِ(٢) قال الترمذي : حديث حسن ، وسألت محمد بن إسماعيل عن اسم أبي الجعد الضمري ، فقال : لم يُعرف اسمه ، وقال : لا أعرِفُ له عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث .

وقد جاء في السنن عن النبي ﷺ الأمرُ لمن تركها أن يتصدَّق بدينار ، فإن لم يجد ، فنصف دينار . رواه أبو داود ، والنسائي من رواية قدامه بن وبرة ، عن سمرة بن

---

(١) رواه البخاري ١/١٠٤ ، ١٠٥ في الايمان : باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، وفي صلاة التراويح : باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ، وفي الأدب : باب ما ينهى من السباب واللعن ، وأخرجه أبو داود (١٣٨١) من حديث بن عباس .

(٢) الترمذي (٥٠٠) في الصلاة : باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر وأبو داود (١٠٥٢) في الصلاة : باب التشديد في ترك الجمعة ، والنسائى ٣/٨٨ في الجمعة : باب التشديد في التخلف عن الجمعة ، وبن ماجه (١١٢٥) في إقامة الصلاة : باب فيمن ترك الجمعة ، وأحمد في « المسند » ٣/٤٢٤ و ٤٢٥ ، وسنده حسن ، وصححه بن حبان (٥٥٤) ، والحاكم ١/٢٨٠ ، ووافقه الذهبي ، وله شاهد عند بن ماجه (١١٢٦) من حديث جابر ، وحسنه الحافظ ، وصححه البوصيري وآخر من حديث أبي قتادة عند أحمد ٥/٣٠٠ ، وسنده حسن ، وصححه الحاكم .

جندب(١) . ولكن قال أحمد : قدامة بن وبرة لا يعرف . وقال يحي بن معين : ثقة وحُكي عن البخاري ، أنه لا يصح سماعه من سمرة .

وأجمع المسلمون على أن الجمعة فرضُ عين ، إلا قولاً يُحكى عن الشافعي ، أنها فرض كفاية ، وهذا غلط عليه منشؤه أنه قال : وأما صلاة العيد ، فتجب على كل من تجب عليه صلاةُ الجمعة ، فظن هذا القائلُ أن العيد لما كانت فرضَ كفاية ، كانت الجمعة كذلك . وهذا فاسد ، بل هذا نص من الشافعي أن العيد واجب على الجميع ، وهذا يحتمل أمرين ، أحدهما : أن يكون فرضَ عين كالجُمُعَةِ ، وأن يكون فرضَ كفاية ، فإن فرض الكفاية يجبُ على الجميع ، كفرض الأعيان سواء ، وإنما يختلِفانِ بسقُوطه عن البعض بعد وجوبه بفعل الآخرين .

الثانية والعشرون : أن فيه الخطبةَ التي يُقصد بها الثناءُ على الله وتمجيدُه ، والشهادةُ له بالوحدانية ، ولرسولِه ﷺ بالرسالة ، وتذكيرُ العباد بأيامه ، وتحذيرُهُم من بأسه ونِقمته ، ووصيتهُم بما يُقَرِّبُهم إليه ، وإلى جِنَانه ، ونهيُهم عما يُقربهم من سخطه وناره ، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها .

الثالثة والعشرون : أنه اليوم الذي يُستحب أن يُتفرَّغ فيه للعبادة ، وله على سائر الأيام مزية بأنواع مِن العبادات واجبة ومستحبة ، فالله سبحانه جعل لأهل كل مِلَّةٍ يوماً يتفرغون فيه للعبادة ، ويتخلَّون فيه عن أشغال الدنيا ، فيومُ الجمعة يومُ عبادة ، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور ، وساعةُ الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان ، ولهذا من صح له يومُ جمعته وسلِم ، سلمت له سائرُ جمعته ، ومن صح له رمضان وسلم ، سَلِمت له سائر سنته ، ومن صحت له حَجتُه وسلِمت له ، صح له سائرُ عمره ، فيومُ الجمعة ميزانُ الأسبوع ، ورمضانُ ميزانُ العام ، والحجُّ ميزانُ العمر . وبالله التوفيق .

الرابعة والعشرون : أنه لما كان في الأسبوع كالعيد في العام ، وكان العيدُ مشتمِلاً على صلاة وقُربان ، وكان يومُ الجمعة يومَ صلاة ، جعل الله سبحانه التعجيلَ فيه إلى المسجد بدلاً من القربان ، وقائماً مقامه ، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاةُ ، والقربان ، كما في « الصحيحين » عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، أنه قال : « مَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ

---

(١) رواه أبو داود (١٠٥٣) في الصلاة : باب كفارة من ترك الجمعة ، والنسائى ٣/٨٩ في الجمعة : باب كفارة من ترك الجمعة من غير عذر ، وأحمد ٥/٨ و ١٤ وفي سنده قدامة بن وبرة وهو مجهول ، ومع ذلك ، فقد صححه بن حبان (٥٨٢) والحاكم ١/٢٨٠ ، ووافقه الذهبي ، ورواه بن ماجه (١١٢٨) من حديث الحسن ، عن سمرة .

الأُولَى ، فَكَأَنما قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعة الثَّالِثَةِ ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشَاً أَقْرَنَ »(١) .

وقد اختلف الفقهاء في هٰذه الساعة على قولين :

أحدهما : أنها من أول النهار ، وهذا هو المعروف في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما .

والثاني : أنها أجزاء من الساعة السادسة بعد الزوال ، وهذا هو المعروف في مذهب مالك ، واختاره بعضُ الشافعية ، واحتجوا عليه بحجتين .

إحداهما : أن الرواح لا يكون إلا بعد الزوال ، وهو مقابلُ الغُدُوِّ الذي لا يكون إلا قبل الزوال ، قال تعالى : ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ : ١٢) .
قال الجوهري : ولا يكون إلا بعد الزوال .

الحجة الثانية : أن السلف كانوا أحرصَ شيء على الخير ، ولم يكونوا يَغْدون إلى الجمعة من وقت طلوع الشمس ، وأنكر مالك التبكيرَ إليها في أول النهار ، وقال : لم نُدرك عليه أهل المدينة .

واحتج أصحابُ القول الأول ، بحديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ « يَوْمُ الجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَاعَةً »(٢) . قالوا : والساعات المعهودة ، هي الساعات التي هي ثنتا عشرة ساعة ، وهي نوعان : ساعات تعديلية ، وساعات زمانية ، قالوا : ويدل على هذا القول ، أن النبي ﷺ ، إنما بَلَغَ بالساعات إلى ست ، ولم يزد عليها ، ولو كانت الساعة أجزاء صغاراً من الساعة التي تُفعل فيها الجمعة ، لم تنحصر في ستة أجزاء ، بخلاف ما إذا كان المُرادُ بها الساعات المعهودة ، فإن الساعة السادسة متى خرجت ، ودخلت السابعة ، خرج الإمامُ ، وطُويتِ الصحفُ ، ولم يُكتب لأحد قربان بعد ذلك ، كما جاء مصرحاً به في سنن أبي داود من حديث علي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، غَدَتِ الشَّياطِينُ بِرَايَاتِهَا إِلَى الأَسْوَاق ، فَيَرْمُونَ النَّاسَ بالترابيثِ أَوِ

---

(١) رواه البخاري ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥ في الجمعة : باب فضل الجمعة ، ومسلم (٨٥٠) في الجمعة : باب الطيب والسواك يوم الجمعة ، ورواه أيضاً مالك في « الموطأ » ١٠١/١ في الجمعة : باب العمل في غسل يوم الجمعة ، والترمذى (٤٩٩) في الصلاة : باب ما جاء في التبكير إلى الجمعة ، وأبو داود (٣٥٠) في الطهارة : باب في الغسل يوم الجمعة ، والنسائى ٩٩/٣ في الجمعة : باب وقت الجمعة كلهم من حديث أبي هريرة .. وتمامه : « ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة ، فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٨) في الجمعة : باب الإجابة أية ساعة هي في يوم الجمعة ، والنسائى ٩٩/٣ في الجمعة : باب وقت الجمعة وسنده قوي .

الرَّبَائِثِ ، وَيُثَبِّطُونَهُم عَنِ الجُمُعَةِ ، وَتَغْدُو المَلَائِكَةُ ، فَتَجْلِسُ عَلَى أَبْوَابِ المَسَاجِدِ ، فَيَكْتُبُونَ الرَّجُلَ مِنْ سَاعَة ، والرَّجُلَ مِنْ سَاعَتَيْنِ حَتَّى يَخْرُجَ الإِمَام(١) .

قال أبو عمر بن عبد البر : اختلف أهلُ العلم في تلك الساعات ، فقالت طائفة منهم : أراد الساعاتِ مِن طلوع الشمس وصفائِها ، والأفضلُ عندهم التبيكرُ في ذلك الوقت إلى الجمعة ، وهو قولُ الثوري ، وأبي حنيفة والشافعي ، وأكثر العلماء ، بل كلهم يستحب البكور إليها .

قال الشافعي رحمه الله : ولو بكر إليها بعد الفجر ، وقبل طلوع الشمس ، كان حسناً . وذكر الأثرم ، قال : قيل لأحمد بن حنبل : كان مالك بن أنس يقول : لا ينبغي التهجيرُ يومَ الجمعة باكراً ، فقال : هذا خلافُ حديث النبي ﷺ . وقال : سبحان الله إلى أي شيء ذهب في هذا ، والنبي ﷺ يقول : كالمُهْدِي جَزُوراً » . قال : وأما مالك فذكر يحيى بن عمر ، عن حرملة ، أنه سأل ابن وهب عن تفسير هذه الساعات : أهو الغدُّو من أول ساعات النهار ، أو إنما أراد بهذا القولِ ساعاتِ الرواح ؟ فقال ابنُ وهب : سألتُ مالكاً عن هذا ، فقال : أما الذي يقع بقلبي ، فإنه إنما أراد ساعة واحدة تكونُ فيها هٰذه الساعاتُ ، من راح من أول تلك الساعة ، أو الثانية ، أو الثالثة ، أو الرابعة ، أو الخامسة ، أو السادسة . ولو لم يكن كذلك ، ما صُلِّيت الجُمُعَةُ حتَّى يكون النهارُ تسعَ ساعات في وقت العصر ، أو قريباً من ذلك . وكان ابنُ حبيب ، يُنكر قول مالك هذا ، ويميل إلى القول الأول ، وقال : قول مالك هذا تحريف في تأويل الحديث ، ومحال من وجوه . وقال : يدلُّك أنه لا يجوز ساعات في ساعة واحدة : أن الشمس إنما تزول في الساعة السادسة من النهار ، وهو وقت الأذان ، وخروج الإمام إلى الخطبة ، فدل ذلك على أن الساعات في هذا الحديث هي ساعات النهار المعروفات ، فبدأ بأول ساعات النهار ، فقال : من راح في الساعة الأولى ، فكأنَّما قرب بدنه ، ثم قال : في الساعة الخامسة بيضة ، ثم انقطع التهجير ، وحان وقت الأذان ، فشرحُ الحديث بيِّن في لفظه ، ولكنه حُرِّفَ عن موضعه ، وشُرِحَ بالخُلْفِ مِن القول ، وما لا يكون ، وزهَّد شارحُه الناسَ فيما رغبهم فيه رسولُ الله ﷺ من التهجير من أول النهار ، وزعم أن ذلك كلَّه إنما يجتمع في ساعة واحدة قربَ زوال الشمس ، قال : وقد جاءت الآثارُ بالتهجير إلى الجمعة في أول النهار ، وقد سُقنا ذلك في موضعه من كتاب واضح السنن بما فيه بيان وكفاية .

---

(١) تقدم تخريجه وهو ضعيف ، وقوله : بالربائث أي : يذكرونهم الحاجات ، ليثوهم بها عن الجمعة ، يقال : ربثته عن الأمر : إذا حبسته وثبطته ، والربائث : جمع ربيثة وهي الأمر الذي يحبس الإنسان عن مهامه ، ورواية « الترابيث » قال الخطابي : ليست بشيء .

هذا كله قول عبد الملك بن حبيب ، ثم رد عليه أبو عمر ، وقال : هذا تحامل منه على مالك رحمه الله تعالى ، فهو الذي قال القول الذي أنكره وجعله خُلفاً وتحريفاً من التأويل ، والذي قاله مالك تشهد له الآثار الصحاح من رواية الأئمة ، ويشهد له أيضاً العملُ بالمدينة عنده ، وهذا مما يصحُّ فيه الاحتجاجُ بالعمل ، لأنه أمر يتردد كل جمعة لا يخفى على عامةِ العلماء . فمن الآثار التي يحتج بها مالك ، ما رواه الزهري عن سعيد بن المسيِّب . عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : اذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، قَامَ عَلَى كُلِّ بابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ ، يَكْتُبُونَ النَّاسَ ، الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ ، فالمهجِّر إِلَى الجُمُعَةِ كَالمُهْدِي بَدَنَةً ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ كالمُهْدِي بَقَرَةً ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ كَالمُهْدِي كَبْشَاً ، حَتَّى ذَكَر الدَّجَاجَةَ وَالبَيْضَةَ ، فإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ ، طُوِيَت الصُّحُفُ ، واسْتَمَعُوا الخُطْبَةَ(١) . قال : ألا ترى إلى ما في هذا الحديث ، فإنه قال : يكتبونَ الناس الأول فالأول ، فالمهجِّرُ إلى الجمعة كالمهدي بدنة ، ثم الذي يليه فجعل الأول مهجراً ، وهذه اللفظة إنما هي مأخوذة من الهاجرة والتهجير ، وذلك وقت النهوض إلى الجمعة ، وليس ذلك وقتَ طلوع الشمس ، لأن ذلك الوقت ليس بهاجِرة ولا تهجير ، وفي الحديث : « ثمَّ الذي يليه ، ثمَّ الذي يليه » . ولم يذكر الساعة . قال : والطرق بهذا اللفظ كثيرة ، مذكورة في « التمهيد » ، وفي بعضها « المتعجِّلُ إلى الجُمُعَةِ كالمُهْدِي بَدَنَةً » . وفي أكثرها « المهجِّرُ كالمُهْدِي جَزُورَا » الحديث . وفي بعضها ، ما يدل على أنه جعل الرائح إلى الجمعة في أول الساعة كالمُهدي بدنة ، وفي آخرها كذلك ، وفي أول الساعة الثانية كالمهدي بقرة ، وفي آخرها كذلك . وقال بعض أصحاب الشافعي : لم يُرد ﷺ بقوله : « المهجِّرُ إلى الجُمُعَةِ كالمُهْدِي بَدَنَةً » ، الناهض إليها في الهجير والهاجرة ، وإنما أراد التاركَ لأشغاله وأعماله من أغراض أهل الدنيا للنهوض إلى الجمعة ، كالمُهدي بدنة ، وذلك مأخوذ من الهجرة وهو تركُ الوطن ، والنهوضُ إلى غيره ، ومنه سمِّي المهاجرون . وقال الشافعي رحمه الله : أحبُّ التبكير إلى الجمعة ، ولا تُوتى إلا مشياً . هذا كله كلامُ أبي عمر .

قلت : ومدار إنكار التبكير أول النهار على ثلاثة أمور ، أحدها : على لفظة الرواح ، وانها لا تكون إلا بعد الزوال ، والثاني : لفظة التهجير ، وهي إنما تكون بالهاجرة وقت شدة الحر ، والثالث : عمل أهل المدينة ، فإنهم لم يكونوا يأتون من أول النهار .

---

(١) رواه البخاري ٣٣٦/٢ في الجمعة : باب الاستماع إلى الخطبة يوم الجمعة ، ومسلم (٨٥٠) في الجمعة : باب فضل التهجير يوم الجمعة ، والنسائي ٩٨/٣ في الجمعة : باب التبكير إلى الجمعة ، وابن ماجه (١٠٩٢) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة .

فأما لفظه الرواح ، فلا ريب أنها تُطلق على المضي بعد الزوال ، وهذا إنما يكون في الأكثر إذا قُرنت بالغُدُوِّ ، كقوله تعالى : ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ : ١٢) ، وقوله ﷺ : « مَنْ غَدا إلى المَسْجِد وَرَاحَ ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلاً في الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ »(١) . وقول الشاعر .

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لا تَنْقَضِي(٢)

وقد يُطلق الرواحُ بمعنى الذهاب والمضي ، وهذا إنما يجيءُ ، إذا كانت مجردة عن الاقتران بالغدو .

وقال الأزهري في « التهذيب » : سمعت بعضَ العرب يستعمِلُ الرواح في السير في كل وقت ، يقال : راح القوم : إذا سارُوا ، وغدَوْا كذلك ، ويقول أحدهم لصاحبه : تروَّح ، ويخاطب أصحابه ، فيقول : رُوحوا ، أي : سيروا ، ويقول الآخر : ألا تروحُونَ ؟ ومِنْ ذلك ما جاء في الأخبار الصحيحة الثابتة ، وهو بمعنى المضي إلى الجمعة والخِفَّةِ إليها ، لا بمعنى الرواح بالعشي(٣) .

وأما لفظ التهجير والمهجِّر ، من الهجير ، والهاجرة ، قال الجوهري : هي نصف النهار عند اشتداد الحر ، تقول منه : هجَّر النهارُ ، قال امرؤ القيس :

فَدَعْها وَسَلِّ الهَمَّ عنها بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إذا صَامَ النَّهارُ وهَجَّرا(٤)

ويقال : أتينا أهلنا مهجِّرين ، أي : في وقت الهاجرة ، والتهجير والتهجُّر : السير في الهاجرة ، فهذا ما يقرر به قولُ أهل المدينة .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥٠٩/٢ ، والبخاري ١٢٤/٢ في الجماعة : باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، ومسلم (٦٦٩) في المساجد : باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) البيت للصلتان السعدي من قصيدة أوردها الجاحظ في الحيوان ٤٧٧/٣ ومطلعها .

أشابَ الصَّغير وأفنـــى الكبيـــ ـرَ كرُّ الغـــداة ومـــرُّ الـــعشي

إذا ليلـــة هرَّمت يومهـــا أتى بعـــد ذلك يومٌ فتـــي

نروح ..

تموت مع المرء حاجاتـــه وتبقـــى له حاجـــة ما بقـــي

وانظر تخريجها فيه .

(٣) « التهذيب » ٢٢١/٥ ، ٢٢٢ .

(٤) البيت في ديوانه ص ٦٣ من قصيدته التى مطلعها

سمالك شوقٌ بعـــد ما كان أقصرا وحـلَّت سليمـي بطـنَ قَوْنعرعـرا

والجسرة : الناقة النشيطة ، والذمول : التى تسير الذميل وهو سير سريع ، ومعنى صام النهار : قام واعتدل ، وهجر : من الهاجرة وشدة الحر .

قال الآخرون : الكلام في لفظ التهجير ، كالكلام في لفظ الرواح ، فإنه يطلق ويُراد به التبكير .

قال الأزهري في « التهذيب » : روى مالك ، عن سُمى ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو يَعْلَمُ النَّاسُ ما في التَّهجير ، لاسْتَبقوا إليه » (١) .

وفى حديث آخر مرفوع : « المهجِّر إلى الجُمُعة كالمُهْدِي بَدَنة »(٢) . قال : ويذهب كثيرٌ من الناس إلى أن التهجير في هذه الأحاديث تفعيل من الهاجرة وقتَ الزوال وهو غلط ، والصواب فيه ما روى أبو داود المصاحفي ، عن النَّضر بن شُميل ، أنه قال : التهجيرُ إلى الجمعة وغيرها : التبكير والمبادرة إلى كل شيء قال : سمعتُ الخليلَ يقول ذلك ، قاله في تفسير هذا الحديث .

قال الأزهري : وهذا صحيح ، وهي لغة أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس ، قال لبيد :

رَاحَ القَطينُ بِهَجْرٍ بَعْدَ ما ابْتكَرُوا فَمَا تُواصِلُهُ سَلْمَى ومَا تَذَرُ(٣) .

فقرن الهَجر بالابتكار ، والرواحُ عندهم : الذهاب والمضي ، يقال : راح القوم : إذا خفُّوا ومَرُّوا أيَّ وقت كان .

وقوله ﷺ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا في التَّهْجِيرِ ، لاسْتَبَقُوا إلَيْهِ » أراد به التبكيرَ إلى جميع الصَّلوات ، وهو المضي إليها في أول أوقاتها . قال الأزهري : وسائر العرب يقولون : هجَّر الرجل : إذا خرج وقت بالهاجرة . قال : وهي نصف النهار . ثم قال الأزهري : أنشدني المنذري(٤) فيما روى لثعلب ، عن ابن الأعرابي في « نوادره » ، قال : قال جِعْثِنَةُ بنُ جوَّاس الرَّبعي في ناقته :

هَلْ تَذْكُرِينَ قَسَمِي ونَذْرِي أَزْمَانَ أَنْتِ بعُرُوض الجَفْرِ
إذْ أَنْتِ مِضْرَارٌ جوادُ الحُضْرِ عَلَىَّ إنْ لَمْ تَنْهَضِي بِوقْرِي

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » ٦٨/١ في الصلاة : باب ما جاء في النداء للصلاة ، ورواه أيضاً البخاري ٧٨/٢ في الأذان : باب الاستهام وإقامتها .

تقدم تخريجه .

(٣) ديوانه ص ٤٥ .

هو محمد بن جعفر أبو الفضل المنذري الهروي اللغوي الأديب أخذ العربية عن ثعلب والمبرد ، وله عدة مصنفات روى عن الأزهري توفي ٣٢٩ هـ « معجم الأدباء » ٩٩/١ .

بِأَرْبَعِيـــنَ قُدِّرَتْ بِقَـــدْرِ بِالخَالِـدِيِّ لا بِصَاعِ حَجْـرِ
وَتَصْحَبِـي أَيَانِقـاً فِي سَفْـرِ يُهَجِّـرُونَ بِهَجِيـرِ الفَجْـرِ
ثَمَّتَ تَمْشِي لَيْلَهُـمْ فَتَسْرِي يَطْـوُونَ أَعْـرَاضَ الفِجَـاجِ الغُبْـرِ
طَيَّ أَخِي التَّجْرِ بُرُودَ التَّجْرِ(١)

قال الأزهري : يُهجِّرون بهجير الفجر ، أي : يبكرون بوقت السَّحَرِ .

وأما كون أهل المدينة لم يكونوا يَرُوحون إلى الجمعة أوَّل النَّهار ، فهذا غايةُ عملهم في زمان مالك رحمه الله ، وهذا ليس بحجة ، ولا عند مَن يقول : إجماعُ أهل المدينة حجة ، فإن هذا ليس فيه إلا تركُ الرواح إلى الجمعة من أول النهار ، وهذا جائز بالضرورة . وقد يكون اشتغالُ الرجل بمصالحه ومصالحِ أهله ومعاشِه وغيرِ ذلك من أمور دينه ودنياه أفضلَ مِن رَوَاحه إلى الجمعة من أول النهار ، ولا ريبَ أن انتظارَ الصلاة بعد الصلاة ، وجلوسَ الرجل في مصلاه حتى يُصلي الصلاة الأخرى ، أفضلُ من ذهابه وعوده في وقت آخر للثانية ، كما قال ﷺ : « والَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ ، ثُمَّ يُصَلِّيهَا مَعَ الإمام أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يُصَلِّي ، ثُمَّ يَرُوحُ إلى أَهْلِه »(٢) وأخبر « أن الملائِكَة لم تَزَلْ تُصلي عليه ما دامَ في مُصلاه »(٣) وأخبر « أن انتظار الصلاة بعد الصلاة ، مما يمحُو الله به الخَطايا وَيَرْفَعُ بِهِ الدرجات ، وأنه الرِّباطُ(٤) وأخبر « أن الله يُبَاهِي مَلَائِكَتَه بِمَن قَضَى فَرِيضَةً وجلَسَ يَنْتَظِرُ أُخْرَى»(٥) وهذا يدل على أن من صلَّى الصبح ، ثم جلس ينتظِر الجمعة ، فهو أفضلُ ممن يذهب ، ثم يجيء في وقتها ، وكون أهل المدينة وغيرهم لا يفعلون ذلك ، لا يدل على أنه مكروه ، فهكذا المجيء إليها والتبكيرُ في أول النهار . والله أعلم .

---

(١) التهذيب ٤٣/٦ ، ٤٥ ، والجفر : موضع بنجد : وناقة مضرار : اذا كانت تَئِدُّ وتركب شقها من النشاط ، والواقر : الثقل ، والخالدي : ضرب من المكاييل ، والأيانق جمع ناقة .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » ١١٦/٢ في الأذان : باب فضل صلاة الفجر في جماعة ، ومسلم (٦٦٢) في المساجد : باب فضل كثرة الخطا الى المساجد . من حديث أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه بلفظ « ان أعظم الناس أجراً إلى الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم ، والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام اعظم أجراً من الذي يصليها ثم ينام » .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » ١٦٠/١ في قصر الصلاة : باب انتظار الصلاة والمشى إليها والبخاري ١١٩/٢ في الأذان : باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، ومسلم (٦٤٩) في المساجد : باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة من حديث أبى هريرة .

(٤) رواه مالك في « الموطأ » ١٦١/١ في قصر الصلاة : باب انتظار الصلاة والمشى إليها ومسلم (٢٥١) في الطهارة : باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره من حديث أبي هريرة .

(٥) رواه ابن ماجه (٨٠١) في المساجد والجماعات : باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة من حديث عبد الله بن عمرو ، وإسناده صحيح ، وصححه البوصيري في « الزوائد » .

الخامسة والعشرون : أن للصدقة فيه مزيةً عليها في سائر الأيام ، والصدقةُ فيه بالنسبة إلى سائر أيام الأسبوع ، كالصدقةِ في شهر رمضان بالنسبة إلى سائر الشهور . وشاهدتُ شيخَ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، إذا خرج إلى الجمعة يأخذُ ما وجد في البيت من خبز أو غيره ، فيتصدق به في طريقه سراً ، وسمعتهُ يقول : إذا كان الله قد أمرنا بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ ، فالصدقة بين يدي مناجاته تعالى أفضلُ وأولى بالفضلية . وقال أحمد بن زهير بن حرب : حدثنا أبي ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : اجتمع أبو هريرة ، وكعب ، فقال أبو هريرة : إن في الجمعة لساعةً لا يُوافقها رجلٌ مسلم في صلاة يسألُ الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إيَّاه ، فقال كعب : أنا أحدِّثُكم عن يوم الجمعة ، إنه إذا كان يومُ الجمعة فَزِعت له السماواتُ والأرضُ ، والبرُّ ، والبحرُ ، والجبال ، والشجرُ ، والخلائقُ كلُّها ، إلا ابنَ آدم والشياطين ، وحفَّت الملائكة بأبواب المسجد ، فيكتبُون من جاء الأول فالأول حتى يخرج الإمام ، فإذا خرج الإمام ، طَوَوْا صُحُفَهم ، فمن جاء بعدُ ، جاء لحق الله ، لما كُتب عليه ، وحقٌّ على كُلِّ حالِم أن يغتسِل يومئذ كاغتساله من الجنابة ، والصدقةُ فيه أعظمُ من الصدقة في سائر الأيَّامِ ، ولم تطلُع الشمس ولم تغرُب على مثل يوم الجمعة . فقال ابن عباس : هذا حديث كعب وأبي هريرة ، وأنا أرى إن كان لأهله طيبٌ يمسُّ منه(١) .

السادسة والعشرون : أنه يوم يتجلَّى الله عزَّ وجلَّ فيه لأوليائه المؤمنين فى الجنة ، وزيارتهم له ، فيكون أقربُهم منه أقربَهم من الإمام ، وأسبقهم إلى الزيارة أسبقَهم إلى الجمعة . وروى يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن أبي اليقظان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، في قوله عز وجل : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (ق : ٣٥) قال : يتجلَّى لهم في كلِّ جمعة »(٢) .

وذكر الطبراني في « معجمه » ، من حديث أبي نعيم المسعودي ، عن المِنهال بن عمرو ، عن أبي عُبيدة قال : قال عبد الله : سارعوا إلى الجُمُعةِ ، فإن الله عز وجل يَبْرُز لأهلِ الجنة في كل جُمعَة في كَثِيبٍ مِنْ كافُور فيكونون منه في القُرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة ، فيُحدِثُ الله سبحانه لهم مِن الكرامة شيئاً لم يكُونوا قد رأَوْه قبل ذلك ، ثم يَرجِعُون إلى أهليهم ، فيُحدِّثونهم بما أحدث الله لهم . قال : ثم دخل عبدُ الله المسجد ، فإذا هو برجلين ، فقال عبدُ الله : رجلان وأنا الثالث ، إن يشأِ الله يُبارك في الثالث(٣) .

---

(١) رجاله ثقات ، واسناده صحيح ، وهو في « المصنف » (٥٥٥٨) .

(٢) يحيى بن اليمان ، وشُريك القاضي ، وشيخه ثلاثتهم ضعفاء ، وذكره بن كثير في التفسير ٢٢٨/٤ من رواية البزار وبن أبي حاتم .

(٣) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٧٨/٢ وقال : رواه الطبراني في « الكبير » وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه ، فهو منقطع .

وذكر البيهقي في « الشُّعَبِ » عن علقمة بن قيس قال : رُحت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى جمعة ، فوجد ثلاثة قد سبقوه ، فقال : رابعُ أربعة ، وما رابعُ أربعة ببعيد . ثم قال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « إنَّ النَّاسَ يَجْلِسُونَ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ الله عَلَى قَدْرِ رَوَاحِهِمْ إلى الجُمُعةِ ، الأوَّل ، ثُمَّ الثاني ، ثُمَّ الثالث ، ثُمَّ الرابع » . ثم قَالَ : وَمَا أَرْبَعُ أَرْبَعَةٍ بِبَعِيدٍ(١) .

قال الدارقطني في كتاب « الرؤية » : حدثنا أحمد بن سلمان بن الحسن ، حدثنا محمد ابن عثمان بن محمد ، حدثنا مروان بن جعفر ، حدثنا نافع أبو الحسن مولى بني هاشم ، حدثنا عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « اذَا كَانَ يَوْمُ القِيامَةِ ، رَأى المُؤْمِنُونَ رَبَّهم ، فأَحْدَثُهُمْ عَهْداً بِالنَّظَرِ إلَيهِ مَنْ بَكَّرَ في كُلِّ جُمُعَةٍ ، وَتَرَاهُ المُؤْمِنَاتُ يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ»(٢)

حدثنا محمد بن نوح ، حدثنا محمد بن موسى بن سفيان السكري ، حدثنا عبد الله بن الجهم الرازي ، حدثنا عمرو بن أبي قيس ، عن أبي طيبة ، عن عاصم ، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال : » أَتَانِي جِبْرِيلُ وَفِي يَدِهِ كَالمِرْآةِ البَيْضَاءِ فِيهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هٰذِهِ الجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا الله عَلَيْكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيداً ولِقَومِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، قُلْتُ : وَمَا لَنَا فيها ؟ قالَ : لَكُم فِيهَا خَيْرٌ ، أَنْتَ فِيهَا الأَوَّلُ ، واليَهُودُ والنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ ، وَلَكَ فِيهَا سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَبْدٌ فِيهَا شَيْئاً هُوَ لَهُ قَسْمٌ إلَّا أَعْطَاهُ ، أَوْ لَيْسَ لَهُ قَسْمٌ إلَّا أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَأَعَاذَه الله مِنْ شَرِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ ، وإلا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذلِك . قال : قُلْتُ : وَمَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ ؟ قَالَ : هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا سَيِّدُ الأَيَّامِ ، وَيَدْعُوهُ أَهْلُ الآخِرَةِ يَوْمَ المَزِيد . قَالَ : قُلْتُ : يا جِبْرِيلُ ! وَمَا يَوْمُ المَزِيدِ ؟ قال : ذَلِكَ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ في الجَنَّةِ وَادِياً أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، نَزَلَ عَلَى كُرْسِيِّه ، ثُمَّ حُفَّ الكُرْسِيُّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيجِيءُ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ حُفَّت المَنَابِرُ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، فَيجِيءُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا ، وَيَجِيءُ أَهْلُ الغُرَفِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الكُثُبِ ، قَالَ : ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، قال : فَيَنْظُرُونَ إلَيْهِ فَيَقُولُ : أَنَا

---

(١) ورواه أبن ماجه (١٠٩٤) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة ، وإسناده حسن ، حسنه المنذري في « الترغيب والترهيب » والبوصيري في « الزوائد » .

(٢) في سنده من لا يعرف .

الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي ، وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي ، وهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي فَسَلُونِي ، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَى . قال : رِضَايَ أَنْزَلَكُمْ دَارِي ، وأَنَا لَكُمْ كَرَامَتِي ، فَسَلُونِي فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَى قَالَ : فَيَشْهَدُ لَهُمْ بِالرِّضَى ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ما لَا عَينٌ رأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خطَر عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . قال : ثُمَّ يَرْتَفِعُ رَبُّ العِزَّةِ ، وَيَرْتَفِعُ مَعَهُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاء ، ويَجِيءُ أَهْلُ الغُرَفِ إلى غُرفِهِم . قال : كُلُّ غُرْفَةٍ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ لا وَصْلَ فِيهَا وَلا فَصْمَ ، يَاقُوتَة حَمْراءُ ، وَغُرْفَةٌ مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْراء ، أَبوابُها وعَلَالِيهَا وسقَائِفُهَا وأَغْلاقُها مِنها أنهارُها مُطَّرِدَة متدلِّية فِيهَا أَثْمَارُهَا ، فِيها أَزْواجُهَا وخَدَمُها . قال : فلْيَسُوا إلى شَيء أَحْوجَ مِنْهُم إلى يَوْمِ الجُمُعَةِ لِيزْدَادُوا مِنْ كَرامَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ والنَّظَرِ إلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ ، فَذٰلِكَ يَوْمُ المَزِيدِ »(١) .

ولهذا الحديثِ عدةُ طرق ، ذكرها أبو الحسن الدارقطني في كتاب « الرؤية » .

السابعة والعشرون : أنه قد فسر الشاهد الذي أقسم الله به في كتابه بيوم الجمعة ، قال حُميد بن زنجويه : حدثنا عبد الله بن موسى ، أنبأنا موسى بن عُبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اليَوْمُ المُوعُودُ : يَوْمُ القِيَامَةِ ، والْيَوْمُ المَشْهُودُ : هو يَوْمُ عَرَفَة ، والشَّاهِدُ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، ما طَلَعَتْ شَمْسٌ ، وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعوُ الله فِيهَا بِخَيْرٍ إلَّا اسْتَجَابَ لَهُ ، أَوْ يَسْتَعِيذُهُ مِنْ شرٍّ إلاَّ أَعَاذَهُ مِنْهُ »(٢) .

ورواه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » ، عن روح ، عن موسى بن عُبيدة .

وفي « معجم الطبراني » ، من حديث محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضَمضم بن زرعة ، عن شُريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسولُ الله ﷺ « اليَوْمُ المَوْعُودُ : يَوْمُ القِيامَةِ ، والشَاهِدُ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، والمَشْهُودُ : يَوْمُ

---

(١) إسناده ضعيف لضعف عثمان بن عمير وهو في « مسند الشافعي » بنحوه ١٤٨/١ في الجمعة : باب فضل يوم الجمعة وفي ساعة الإجابة . وأورده السيوطي في « الدر المنثور » ١٠٨/٦ وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، والبزار ، وأبي يعلى ، وبن أبى الدنيا في صفة الجنة ، وبن جرير ، وبن المنذر ، والطبراني في « الأوسط » ، وبن مردويه ، والآجرى في « الشريعة » ، والبيهقي في الرؤية ، وأبي نصر السجزي في « الإبانة » .

(٢) رواه الترمذى (٣٣٣٦) في التفسير : باب ومن سورة البروج ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه ، وذكره ابن كثير في التفسير ٤٩١/٤ وقال : وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عُبيدة الزبدي وهو ضعيف الحديث ، وقد روي موقوفاً عن أبي هريرة وهو أشبه . وأورده السيوطي في « الدر المنثور » ٣٣١/٦ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وبن أبي الدنيا في الأصول ، وبن جرير ١٢٩/٣٠ ، وبن المنذر ، وبن أبي حاتم ، وبن مردويه والبيهقي في « السنن » .

عَرَفَةَ ، وَيَوْمُ الجُمُعَةِ ذَخَرَهُ اللهُ لَنَا ، وَصَلَاةُ الوُسْطَى صَلَاةُ العَصْرِ »(١) وقد رُوي من حديث جُبير بن مطعم(٢) .

قلت : والظاهر ـــ والله أعلم ـــ : أنه من تفسير أبي هريرة ، فقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمارٍ مولى بني هاشم ، عن أبي هريرة ، أما علي بن زيد ، فرفعه إلى النبي ، وأما يونس ، فلم يَعْدُ أبا هريرة أنه قال : في هٰذه الآية : ﴿ وشَاهِدٍ وَمَشْهُود » قال : الشاهِدُ : يومُ الجمعة ، والمشهودُ يومُ عرفة ، والموعودُ : يوم القيامة(٣)

الثامنة والعشرون : أنه اليوم الذي تفزع منه السماواتُ والأرضُ ، والجبالُ ، والبحارُ ، والخلائقُ كلُّها إلا الإنسَ والجِنَّ ، فروى أبو الجوَّاب ، عن عمّار ابن رزيق ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : اجتمع كعب وأبو هريرة ، فقال أبو هريرة : قال رسولُ الله ﷺ « إنَّ في الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرَ الدُّنيَا والآخِرَة إلا أعطاه إياه » . فَقَالَ كَعْبٌ : ألا أُحَدِّثكم عَنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، إنَّه إذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، فَزِعَتْ لَهُ السَّمَاواتُ والأَرضُ ، والجبالُ ، والبحار ، والخلائق كلُّها إلا ابنَ آدم والشياطين ، وحفَّتِ الملائكةُ بأبواب المساجد ، فيكتُبُونَ الأَوَّلَ فالأَوَّل حتى يخرُجَ الإمام ، فَإذَا خَرَجَ الإمامُ ، طَوَوْا صُحُفَهُم ، ومَنْ جَاءَ بَعْدُ جَاءَ لِحَقِّ الله ، ولِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ ، ويَحِقُّ عَلَى كُلِّ حالِم أَنْ يَغْتَسِلَ فيه ، كاغتِسالِه مِنَ الجَنَابَة ، والصَّدَقَةُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فى سَائِرِ الأَيَّامِ ، وَلَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى يَوْمٍ كَيَوْمِ الجُمُعَةِ » . قال ابن عباس : هذا حديث كعب وأبي هريرة ، وأنا أرى ، من كان لأهله طِيب أن يمسَّ منه يومئذ(٤) .

وفى حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ « لا تطلُعُ الشمسُ ولا تغرُب على يوم أفضلَ مِن يوم الجمعة ، وما من دابة إلا وهي تفزَعُ ليوم الجمعة إلا هٰذين الثَّقلين مِن الجن

---

(١) محمد بن اسماعيل بن عياش عابوا عليه أنه لم يسمع من أبيه ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٥/٧ في تفسير سورة البروج وقال : وفيه محمد بن اسماعيل بن عياش وهو ضعيف . وأورده السيوطي في « الدر المنثور » ٣٣٢/٦ ، وزاد نسبته لابن جرير ١٢٩/٣٠ والطبراني .

(٢) ذكره السيوطى ٣٣٢/٦ ، ونسبه لابن مردويه وبن عساكر .

(٣) أخرجه أحمد في « المسند » ٢٩٨/٢ ، والحاكم ٥١٩/٢ مرفوعا وموقوفاً ، أما المرفوع ، فضعيف لضعف علي بن زيد ، وأما الموقوف ، فسنده قوي .

(٤) تقدم تخريجه قريباً وهو صحيح .

والإنس » ، وهذا حديث صحيح(١) . وذلك أنه اليوم الذي تقومُ فيه الساعة ، ويُطوى العالم ، وتَخْرَب فيه الدنيا ، ويُبعث فيه الناس إلى منازلهم من الجنة والنار .

التاسعة والعشرون : أنه اليومُ الذي ادَّخره الله لهذه الأمة ، وأضلَّ عنه أهلَ الكِتاب قبلهم ، كما في « الصحيح » ، من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ما طلعت الشَّمْسُ ، ولا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، هَدَانَا اللهُ لَهُ ، وضَلَّ النَّاسُ عَنْهُ ، فالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ ، هُوَ لَنَا ، وَلِليَهُودِ يَوْمُ السَّبْت ، ولِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ(١) . وفي حديث آخر « ذخره الله لَنَا » .

وقال الإمام أحمد : حدينا علي بن عاصم ، عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن عمر بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة قالت : بينا أنا عِند النبى ﷺ ، إذ استأذن رجلٌ من اليهود ، فأذِن له ، فقال : السَّامُ عَلَيْكَ ، قال النبي ﷺ : وعَلَيْكَ . قالت : فَهَمَمْتُ أن أتكلَّم ، قالت : ثم دخل الثانية ، فقال مِثلَ ذلك ، فقال النبي ﷺ : وعَلَيْكَ ، قالت : فَهَمَمْتُ أن أتكلَّم ، ثم دخل الثالثة ، فقال : السَّامُ عليكم ، قالت ، فقلتُ : بل السَّامُ عَلَيْكُم ، وَغَضَبُ الله ، إخوانَ القردة والخنازير ، أتُحَيُّون رسولَ الله بما لم يُحيِّه به الله عَزَّ وجَلَّ . قالت : فنظر إلَيَّ فقال : مَهْ إنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ ، قَالُوا قَوْلاً فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَضُرُّنا شَيْئاً ، وَلَزِمَهُم إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، إنَّهم لا يَحْسُدُونَنَا عَلَى شيء كَمَا يَحْسُدُونَنَا عَلَى الجُمُعَةِ الَّتي هَدَانَا اللهُ لَهَا ، وضَلُّوا عَنْهَا ، وعَلَى القِبْلَةِ الَّتى هَدَانَا اللهُ لهَا ، وَضَلُّوا عَنْهَا ، وعَلَى قَوْلِنَا خلف الإمام : آمين(٣) .

وفى « الصحيحين » من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وأوتيناهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَهَذا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، فاخْتَلَفُوا فِيه ، فَهَدَانَا اللهُ لَهُ ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ ، اليَهُودُ غَداً ، والنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ »(٤).

وفي « بيد » لغتان بالباء ، وهي المشهورة ، ومَيْدَ بالميم ، حكاها أبو عبيد . وفي هذه

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه أحمد ١٣٤/٦ ، ١٣٥ وسنده حسن ، وله شواهد في الصحيح وغيره .

(٤) تقدم تخريجه .

الكلمة قولان ، أحدهما : أنهما بمعنى « غير » وهو أشهر معنييها ، والثاني : بمعنى « على » وأنشد أبو عبيد شاهداً له :

عَمْداً فَعَلْتُ ذَاكَ بَيْدَ أَنِّي إِخَالُ لَوْ هَلَكْتُ لَمْ تَرِنِّي(١) .

ترِنِّي : تَفعلي مِن الرنين .

الثلاثون : أنه خِيرة الله من أيام الأسبوع ، كما أن شهرَ رمضان خيرتُه من شهور العام ، وليلة القدر خيرتُه من الليالي . ومكة خيرتُه مِن الأرض ، ومحمد ﷺ خِيرتُه مِن خلقه .

قال آدم بن أبي إياس : حدثنا شيبان أبو معاوية ، عن عاصم بن أبي النَّجود ، عن أبي صالح ، عن كعب الأحبار . قال : إن الله عزَّ وجَلَّ اختار الشهورَ ، واختار شهرَ رمضان ، واختار الأيامَ ، واختار يومَ الجمعة ، واختار الليالى ، واختار ليلةَ القدر ، واختار الساعاتِ ، واختار ساعةَ الصلاة ، والجمعةُ تُكفِّر ما بينها وبين الجمعة الأخرى ، وتزيد ثلاثاً ، ورمضان يُكفِّرُ ما بينه وبين رمضان ، والحجُّ يكفِّر ما بينه وبين الحج ، والعُمْرَةُ تكفِّر ما بينها وبين العمرة ، ويموتُ الرجل بين حسنتين : حسنةٍ قضاها ، وحسنةٍ ينتظرها يعني صلاتين ، وتُصفَّد الشياطين في رمضان ، وتُغْلَقُ أبواب النار ، وتُفتحُ فيه أبوابُ الجنة ، ويقال فيه : يا بَاغِيَ الخير : هلُم . رمضان أجمع ، وما مِن ليالٍ أحب إلى الله العملُ فيهنَّ من ليالي العشر .

الحادية والثلاثون : أن الموتى تدنو أرواحُهم مِن قبورهم ، وتُوافيها في يوم الجمعة ، فيعرفون زُوَّارهم ومَنْ يَمُرُّ بهم ، ويُسلم عليهم ، ويلقاهم في ذلك اليوم أكثر من معرفتهم بهم في غيره من الأيام ، فهو يوم تلتقي فيه الأحياء والأموات ، فإذا قامت فيه الساعةُ ، التقى الأولون والآخِرون ، وأهلُ الأرض وأهلُ السماء ، والربُّ والعبدُ ، والعاملُ وعمله ، والمظلومُ وظالمُه ، والشمسُ والقمرُ ، ولم تلتقيا قبل ذلك قطُّ ، وهو يومُ الجمع واللقاء ، ولهذا يلتقي الناسُ فيه في الدنيا أكثَر من التقائهم في غيره ، فهو يومُ التلاق . قال أبو التيّاح يزيد بن حميد : كان مطرِّف بن عبد الله يبادر فيدخل كل جمعة ، فأدلج حتى إذا كان عند المقابر يوم الجمعة ، قال : فرأيت صاحبَ كلِّ قبر جالساً على قبره ، فقالوا : هذا مطرِّف يأتي الجمعة ، قال : فقلت لهم : وتعلمون عندكم الجمعة ؟ قالوا : نعم ،

---

(١) البيت في اللسان : رنن ، وبيد ، وأنشده بن هشام في « المغني » ص ١٥٦ وانظر تخريجه وشرحه في « شرح شواهد المغني » ٢٣/٣ للبغدادي عبد العزيز رباح ، وأحمد الدقاق .

ونعلم ما تقولُ فيه الطير . قلت : وما تقول فيه الطير ؟ قالوا : تقول : ربٌّ سلِّم سلِّم يومٌ صالح(١) .

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب « المنامات » وغيره ، عن بعض أهل عاصم الجَحدري ، قال : رأيت عاصماً الجحدريَّ في منامي بعد موته لسنتين ، فقلتُ : أليس قد مِتَّ ؟ قال : بلى ، قلتُ : فأينَ أنت ؟ قال : أنا والله في روضة من رياض الجنة ، أنا ونفرٌ مِن أصحابي ، نجتمِعُ كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني ، فنتلقى أخباركم . قلت : أجسامُكم أم أرواحكم ؟ قال : هيهاتَ بَلِيَت الأجسامُ ، وإنما تتلاقى الأرواحُ ، قال : قلتُ : فهل تعلمون بزيارتنا لكم ؟ قال : نعلم بها عشيَّة الجمعة ، ويومَ الجمعة كله ، وليلةَ السبت إلى طُلوع الشمس . قال : قلتُ : فكيف ذلك دونَ الأيام كلِّها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمتِه .

وذكر ابن أبي الدنيا أيضاً ، عن محمد بن واسع ، أنه كان يذهب كل غَداةِ سبت حتى يأتي الجبَّانة ، فيقِف على القبور ، فيُسلم عليهم ، ويدعو لهم ، ثم ينصرف . فقيل له : لو صيَّرت هذا اليومَ يوم الاثنين . قال : بلغني أن الموتى يعلمون بزُوَّارِهم يومَ الجمعة ، ويوماً قبله ، ويوماً بعده .

وذكر عن سفيان الثوري ، قال : بلغني عن الضَّحاك ، أنه قال : من زار قبراً يومَ السبت قبل طلوع الشمس ، علم الميتُ بزيارته . فقيل له : كيف ذلك ؟ قال : لِمكان يوم الجمعة(٢) .

الثانية والثلاثون : أنه يكره إفرادُ يوم الجمعة بالصوم ، هذا منصوصُ أحمد ، قال الأثرم : قيل لأبي عبد الله : صيام يوم الجمعة ؟ فذكر حديثَ النهي عن أن يُفرد ، ثم قال : إلا أن يكون في صيام كان يصومه ، وأما أن يُفردَ ، فلا : قلتُ : رجل كان يصوم يوماً ، ويُفطر يوماً ، فوقع فطرُه يومَ الخميس ، وصومُه يوم الجمعة ، وفِطرُه يومَ السبت ، فصار الجمعة مفرداً ؟ قال : هذا إلا أن يتعمَّد صومَه خاصة ، إنما كُرِه أن يتعمد الجمعة .

وأباح مالك ، وأبو حنيفة صومَه كسائر الأيام ، قال مالك : لم أسمع أحداً من أهل

---

(١) وأورده المصنف رحمه الله في كتابه « الروح » ص ٥ ، ٦ عن كتاب القبور لابن أبي الدنيا من طريق خالد بن خداش ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي التياح ...

(٢) ذكر هذه الأخبار المؤلف في كتاب الروح ص ٥ .

العلم والفقه ومن يُقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة ، وصيامه حسن ، وقد رأيتُ بعض أهل العلم يصومُه ، وأراه كان يتحراه . قال ابن عبد البر : اختلفت الآثارُ عن النبي ﷺ في صيام يوم الجمعة ، فروى ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام مِن كل شهر ، وقال : قلَّمَا رأيته مفطِراً يومَ الجمعة(١) وهذا حديث صحيح . وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال : ما رأيتُ رسول الله ﷺ يُفطر يومَ الجمعة قطُّ . ذكره ابن أبي شيبة ، عن حفص بن غياث ، عن ليث ابن أبي سليم ، عن عمير بن أبي عمير ، عن ابن عمر .(٢)

وروى ابنُ عباس ، أنه كان يصومُه ويُواظب عليه . وأما الذي ذكره مالك ، فيقولون : إنه محمد بن المنكدر . وقيل : صفوان بن سليم .

وروى الدراوردي ، عن صفوان بن سليم ، عن رجل من بني جُشَم ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : قال رسولُ الله ﷺ : مَنْ صامَ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، كُتِبَ لَهُ عَشْرَةُ أيَّامٍ غُرَرٌ زُهْرٌ مِن أيَّام الآخِرَة لا يُشَاكِلُهُنَّ أيامُ الدُّنيا »(٣) .

والأصل في صوم يوم الجمعة أنه عمل بر لا يمنع منه إلا بدليل لا معارِض له .

قُلتُ : قد صح المعارِض صحةً لا مطعن فيها ألبتة ، ففي « الصحيحين » ، عن محمد ابن عباد ، قال : سألتُ جابراً: أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة ؟ قال : نعم (٤)

وفى صحيح مسلم ، عن محمد بن عباد ، قال : سألتُ جابر بن عبد الله ، وهو يطوفُ بالبيت : أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة ؟ قال : نعم وربِّ هذه البَنِيَّة(٥) .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة ، قال ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤٠٦/١ ، والترمذي (٧٤٢) في الصوم : باب ما جاء في صوم يوم الجمعة ، والنسائى ٢٠٤/٤ في الصيام : باب صوم النبى ﷺ ، وأبو داود (٢٤٥٠) وسنده حسن ، ولا يعارض هذا الحديث أحاديث النهي عن صوم يوم الجمعة ، لأنه يحمل على أنه لم يكن يفطره إذا وقع في الأيام التى كان يصومها ، ولا يضاد ذلك كراهة إفراده بالصوم جميعاً بين الفعل والقول .

(٢) ليث بن أبي سليم ضعيف وعمير بن أبي عمير مجهول ، وذكره الهيثمي في « المجمع » ٢٠٠/٣ بمعناه ، وقال : رواه أبو يعلى والبزار وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف .

(٣) الدراوردي هو عبد العزيز كان يحدث من كتب غيره فيخطىء ، والرجل من بني جشم مجهول .

(٤)أخرجه البخارى ٢٠٣/٤ ، ومسلم (١١٤٣) .

(٥) رواه مسلم (١١٤٣) في الصيام : باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً .

يقول : « لا يَصُومَنَّ أحدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إلا أنْ يَصُومَ يَوْماً قَبْلَهُ ، أَوْ يَوْماً بَعْدَهُ » . واللفظ للبخاري(١) .

وفى صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيامٍ من بين الليالي ، ولا تَخُصُّوا يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَيَّامِ ، إلا أَنْ يَكُونَ في صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُم »(٢) .

وفى صحيح البخاري ، عن جُويرية بنت الحارث ، أن النبي ﷺ دخل عليها يومَ الجمعة وهي صائمة ، فقال : أَصُمْتِ أَمْسِ ؟ قَالَتْ : لا . قَالَ : فَتُرِيدِينَ أن تَصُومي غداً ؟ قالت : لا . قَالَ : فأَفطِرِي »(٣) .

وفي « مسند أحمد » عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : « لا تَصُومُوا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَحْدَهُ » .

وفي « مسنده » أيضا عن جُنادة الأزدي قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ يومَ جمعة في سبعة من الأزد ، أنا ثامنهم وهو يتغدَّى ، فقال : « هلمُّوا إلى الغداء » فقلنا : يارسولَ الله ! إنا صيام . فقال : أَصُمتم أمسِ ؟ قلنا : لا . قال : فتصومُون غداً ؟ قلنا : لا . قال : فأَفْطِروا . قال : فأكلنا مع رسول الله ﷺ . قال : فلما خرج وجَلَس على المنبر ، دعا بإناء ماء ، فشرب وهو على المنبر ، والناسُ ينظرون إليه ، يُريهم أنه لا يَصومُ يَوْمَ الجمعة(٥) .

وفي « مسنده » أيضاً ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَوْمُ الجُمُعَةِ يَوْمُ عِيدٍ ، فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُم إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ »(٦) .

وذكر ابن أبي شيبة ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عمران بن ظبيان ، عن حُكيم بن

---

(١) رواه البخارى ٢٠٣/٤ في الصيام : باب صوم يوم الجمعة ، وإذا أصبح صائماً يوم الجمعة فعليه أن يفطر ، ومسلم (١١٤٤)

(٢) رواه مسلم (١١٤٤)

(٣) رواه البخارى ٢٠٣/٤ في الصيام : باب صوم يوم الجمعة وإذا أصبح صائماً يوم الجمعة فعليه أن يفطر ، وأبو داود (٢٤٢٢) في الصوم : باب الرخصة فى ذلك .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٨/١ وفي إسناده الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس وهو ضعيف .

(٥) رواه أحمد والحاكم ٦٠٨/٣ من حديث جنادة الأزدي وفي سنده حذيفة البارقي ، أو الأزدي وهو مجهول ، وعزاه الحافظ في «الإصابة » ت (١١٩٨) للنسائى .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ٣٠٣/٢ و ٥٣٢ ، والحاكم في « المستدرك » ٤٣٧/١ وفى سنده أبو بشر مؤذن مسجد دمشق وعامر بن الأشعري لم يوثقهما غير العجلي . وقد مر حديث أبى هريرة المتفق عليه وهو بمعناه .

سعد ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : من كان منكم متطوعا مِن الشهر أياماً ، فليكن في صومه يوم الخميس ، ولا يصمْ يومَ الجمعة ، فإنه يومُ طعام وشراب ، وذكر ، فيجمع الله له يومين صالحين : يوم صيامه ويوم نسكه مع المسلمين(١) .

وذكر ابن جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : أنهم كرهوا صوم الجمعة لِيَقْوَوْا على الصلاة .

قلتُ : المأخذ في كراهيته : ثلاثة أمور ، هذا أحدها ، ولكن يُشكل عليه زوال الكراهية بضم يوم قبله ، أو بعده إليه .

والثاني : أنه يوم عيد ، وهو الذي أشار إليه ﷺ ، وقد أُورِدَ على هذا التعليل إشكالان . أحدهما : أن صومه ليس بحرام ، وصوم يوم العيد حرام . والثاني : أن الكراهة تزولُ بعدم إفراده ، وأجيب عن الإشكالين ، بأنه ليس عيد العام ، بل عيد الأسبوع ، والتحريمُ إنما هو لصوم عيد العام . وأما إذا صام يوماً قبله ، أو يوماً بعده ، فلا يكون قد صامه لأجل كونه جمعة وعيداً ، فنزول المفسدة الناشئة من تخصيصه ، بل يكون داخلاً في صيامه تبعاً ، وعلى هذا يحمل ما رواه الإمام أحمد رحمه الله في « مسنده » والنسائي ، والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود إن صح قال : قَلَّمَا رأيتُ رسول الله ﷺ يُفطر يَوْمَ جُمُعَةٍ .(٢) فإن صحّ هذا ، تعين حملُه على أنه كان يدخل فى صيامه تبعاً ، لا أنه كان يُفرده لصحة النهي عنه . وأين أحاديثُ النهي الثابتة في « الصحيحين » ، من حديث الجواز الذي لم يروه أحد من أهل الصحيح ، وقد حكم الترمذي بغرابته ، فكيف تعارض به الأحاديثُ الصحيحة الصريحة ، ثم يُقدم عليها ؟ !

والمأخذ الثالث : سد الذريعة من أن يُلحق بالدِّين ما ليس فيه ، ويُوجب التشبه بأهل الكتاب في تخصيص بعض الأيام بالتجرد عن الأعمال الدنيوية ، وينضم إلى هذا المعنى : أن هذا اليوم لما كان ظاهرَ الفضل على الأيام ، كان الداعي إلى صومه قوياً ، فهو في مَظِنَّةِ تتابع الناس في صومه ، واحتفالِهم به ما لا يحتفلون بصوم يومٍ غيره ، وفي ذلك إلحاق بالشرع ما ليس منه . ولهذا المعنى ـــ والله أعلم ـــ نهي عن تخصيص ليلةِ الجمعة بالقيام من بين الليالي ، لأنها من أفضل الليالي ، حتى فضَّلها بعضهم على ليلة القدر ، وحكيت رواية عن أحمد ، فهي في مَظِنَّةِ تخصيصها بالعبادة ، فحسم الشارعُ الذريعة ، وسدَّها بالنهي عن تخصيصها بالقيام . والله أعلم .

---

(١) عمران بن ظبيان ضعيف .

(٢) تقدم تخريجه وهو حسن .

فإن قيل : ما تقولون في تخصيص يوم غيره بالصيام ؟ قيل : أما تخصيص ما خصصه الشارع ، كيوم الاثنين ، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، فسُنَّةٌ ، وأما تخصيصُ غيره ، كيوم السبت ، والثلاثاء ، والأحد ، والأربعاء ، فمكروه . وما كان منها أقربَ إلى التشبه بالكفار لتخصيص أيام أعيادهم بالتعظيم والصيام ، فأشد كراهةً ، وأقربُ إلى التحريم .

الثالثة والثلاثون : أنه يوم اجتماع الناس وتذكيرهم بالمبدإ والمعاد ، وقد شرع الله سبحانه وتعالى لكل أمة في الأسبوع يوماً يتفرَّغون فيه للعبادة ، ويجتمعون فيه لتذكُّر المبدإ والمعاد ، والثواب والعقاب ، ويتذَّكرون به اجتماعهم يوم الجمع الأكبر قياماً بين يدي رب العالمين ، وكان أحق الأيام بهذا الغرض المطلوب اليوم الذي يجمع الله فيه الخلائق ، وذلك يوم الجمعة ، فادَّخره الله لهذه الأمة لفضلها وشرفها ، فشرع اجتماعهم في هذا اليوم لطاعته ، وقدَّر اجتماعهم فيه مع الأمم لنيل كرامته ، فهو يوم الاجتماع شرعاً في الدنيا ، وقدراً في الآخرة ، وفي مقدار انتصافه وقت الخطبة والصلاة يكون أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم ، كما ثبت عن ابن مسعود من غير وجه أنه قال : لا ينتصف النهارُ يوم القيامة حتى يَقِيلَ أهلُ الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم ، وقرأ ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا ﴾ (الفرقان : ٢٤) . وقرأ ﴿ ثُمَّ إنَّ مَقِيلَهُم لَا إلى الجَحِيم ﴾(١) ، وكذلك هي في قراءته . ولهذا كون الأيام سبعة إنما تعرِفُه الأمم التي لها كتاب ، فأما أمة لا كتاب لها ، فلا تعرف ذلك إلا من تلقَّاه منهم عن أمم الأنبياء ، فإنه ليس هنا علامة حِسِّية يُعرف بها كونُ الأيام سبعة ، بخلاف الشهر والسنة ، وفصولها ، ولما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وتعرَّف بذلك إلى عباده على ألسنة رسله وأنبيائه . شرع لهم في الاسبوع يوماً يُذكَّرهم فيه بذلك ، وحكمةِ الخلق وما خُلقوا له ، وبأجَلِ العالم ، وطيِّ السماوات والأرض ، وعَودِ الأمر كما بدأه سبحانه وعداً عليه حقاً ، وقولاً صدقاً ، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ في فجر يوم الجمعة سورتي (ألم تنزيل) و (هل أتى على الإنسان) لما اشتملت عليه هاتان السورتان مما كان ويكون من المبدإ والمعاد ، وحشر الخلائق ، وبعثِهم من القبول الى الجنة والنار ، لا لأجل السجدة كما يظنه من نقص علمه ومعرفته ، فيأتي بسجدة من سورة أخرى ، ويعتقد أن فجر يوم الجمعة فُضِّل بسجدة ، وينكر على من لم يفعلها .

---

(١) التلاوة (ثم إن مرجعهم لأعلى الجحيم) وقراءة ابن مسعود تفسير لها . والخبر أورده ابن كثير فى تفسيره ٣١٥/٣ وفي سنده انقطاع .

وهكذا كانت قراءته ﷺ في المجامع الكبار ، كالأعياد ونحوها ، بالسورة المشتملة على التوحيد ، والمبدإ والمعاد ، وقصص الأنبياء مع أممهم ، وما عامل الله به من كذَّبهم وكفر بهم من الهلاك والشقاء ، ومن آمن منهم وصدَّقهم من النجاة والعافية .

كما كان يقرأ في العيدين بسورتي (ق و القرآن المجيد) ، و (اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ)(١) وتارة : بـ (سبح اسم ربك الأعلى) ، و (هل أتاك حديث الغاشية) ،(٢) وتارة يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة(٣) لما تضمَّنت من الأمر بهذه الصلاة ، وإيجابِ السَّعي إليها ، وتركِ العمل العائق عنها ، والأمر بإكثار ذكر الله ليحصُل لهم الفلاحُ في الدارين ، فإن في نسيان ذكره تعالى العطبَ والهلاكَ في الدَّارين ، ويقرأ في الثانية بسورة (إذا جاءك المنافقون) تحذيراً للأمة من النفاق المردي ، وتحذيراً لهم أن تشغَلَهم أموالهُم وأولادهم عن صلاة الجمعة ، وعن ذِكر الله ، وأنهم إن فعلوا ذلك خسروا ولا بد ، وحضاً لهم على الإنفاق الذي هو من أكبر أسباب سعادتهم ، وتحذيراً لهم من هجوم الموت وهم على حالة يطلبون الإقالة ، ويتمنَّون الرجعة ، ولا يُجابون إليها ، وكذلك كان ﷺ يفعل عند قدوم وفد يريد أن يُسمعهم القرآن ، وكان يُطيل قراءة الصلاة الجهرية لذلك ، كما صلى المغرب بـ (الأعراف) وبـ (الطور) ، و (ق) . وكان يُصلي الفجر بنحو مائة آية .

وكذلك كانت خطبته ﷺ ، إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، ولقائِه ، وذكرِ الجنة ، والنار ، وما أعدَّ الله لأوليائه وأهل طاعته ، وما أعدَّ لأعدائه وأهل معصيته ، فيملأ القلوب مِن خُطبته إيماناً وتوحيداً ، ومعرفة بالله وأيامه ، لا كخُطب غيره التى إنما تُفيد أموراً مشتركة بين الخلائق ، وهي النَّوْح على الحياة ، والتخويف بالموت ، فإن هذا أمر لا يُحصِّلُ في القلب إيماناً بالله ، ولا توحيداً له ، ولا معرفة خاصة به ، ولا تذكيراً بأيامه ، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه ، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة ، غير أنهم يموتون ، وتُقسم أموالهم ، ويُبلى الترابُ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/٢١٧ و ٢١٨ ، ومسلم (٨٩١) في صلاة العيدين : باب ما يقرأ به في صلاة العيدين ، والترمذي (٥٣٤) في الصلاة : باب ما جاء في القراءة في العيدين ، وأبو داود (١١٥٤) في الصلاة : باب ما يقرأ في الأضحى والفطر ، والنسائى ٣/١٨٣ ، ١٨٤ في العيدين : باب القراءة في العيدين . من حديث أبي واقد الليثي رضى الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٨٧٨) في الجمعة : باب ما يقرأ في الجمعة عن النعمان بن بشير قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية) ورواه الترمذي (٥٣٣) في الصلاة : باب ما جاء في القراءة فى العيدين ، والنسائى ٣/١٨٤ في العيدين : باب القراءة في العيدين بـ (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية) ، وابن ماجه (١٢٨١) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين .

(٣) رواه مسلم (٨٧٧)) ، وأبو داود (١١٢٤) في الصلاة : باب ما يقرأ في الجمعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

أجسامهم ، فيا ليت شعري أيُّ إيمان حصل بهذا ؟ ! وأيُّ توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به ؟ !

ومن تأمل خطب النبي ﷺ ، وخُطب أصحابه ، وجدها كفيلة بيان الهدى والتوحيد ، وذِكر صفات الربِّ جل جلاله ، وأصولِ الإيمان الكلية ، والدعوة إلى الله ، وذِكر آلائه تعالى التي تُحبِّبه إلى خلقه وأيامِه التي تُخوِّفهم من بأسه ، والأمر بذكره وشكره الذي يُحبِّبهم إليه ، فيذكرون مِن عظمه وصفاته وأسمائه ، ما حَبَّبه إلى خلقه ، ويأمرون من طاعته وشكره ، وذِكره ما يُحبِّبهم إليه ، فينصرفُ السامعون وقد أحبُّوه وأحبهم ، ثم طال العهدُ ، وخفي نورُ النبوة ، وصارت الشرائعُ والأوامرُ تُقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها ، فأعطَوْها صورها ، وزيّنوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلالُ بها ، وأخلُّوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها ، فرصَّعوا الخُطب بالتسجيع والفِقر ، وعلم البديع ، فنَقَص بل عَدِمَ حظُّ القلوب منها ، وفات المقصودُ بها .

فمما حُفظ من خطبه ﷺ أنه كان يكثر أن يخطُب بالقرآن وسورة (ق) . قالت أم هشام بنت الحارث بن النعمان : ما حفظت (ق) إلا مِنْ في رسول الله ﷺ مما يخطب بها على المنبر(١) .

وحُفظ من خطبته ﷺ من رواية علي بن زيد بن جدعان وفيها ضعف ، « يا أيُّها الناسُ تُوبوا إلى الله عز وجل قبل أن تَمُوتوا ، وبادِرُوا بالأعمال الصالحة قَبْل أن تُشغَلُوا ، وصِلوا الَّذِي بينكم وبين ربِّكم بكثرة ذِكركم له ، وكثرةِ الصدقة في السِّر والعلانية تُؤجروا ، وتُحمَدوا ، وتُرزَقوا . واعلموا أن الله عز وجل ، قد فرض عليكم الجمعةَ فريضةً مكتوبةً في مقامي هذا ، في شهري هذا ، في عَامي هَذَا ، إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، مَنْ وَجَدَ إليها سَبِيلاً ، فَمَنْ تَرَكَهَا في حَياتِي ، أو بعد مماتي جُحوداً بها ، أو استخفافاً بها ، وله إمامٌ جائر أو عادِل ، فلا جمع الله شملَه ، ولا بَارك له في أمره ، ألا ولا صَلاة له ، ألا ولا وُضُوءَ له ، ألا ولا صَوْمَ له ، ألا ولا زَكَاةَ له ، ألا ولا حجَّ له ، ألا ولا بَرَكَةَ له حتى يتوبَ ، فإن تابَ ،

---

(١) رواه مسلم (٨٧٢) : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، وأبو داود (١١٠٢) و (١١٠٣) في الصلاة : باب الرجل يخطب على قوس ، والنسائي ١٥٧/٢ في افتتاح الصلاة : باب القراءة في الصبح ب (ق) .

تابَ الله عليه ، ألا ولا تَؤُمَنَّ امْرَأَةٌ رَجُلاً ، ألا ولا يَؤُمَنَّ أعرابيٌّ مُهاجِراً ، ألا ولا يَؤُمَنَّ فَاجِرٌ مُؤْمِناً ، إلا أن يَقْهَرَهُ سُلطَانٌ فَيخَافَ سَيْفَه وسَوْطَه(١) .

وحفظ مِن خطبته أيضا : « الحمدُ لله نستعينُه ، ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله مِنْ شُرور أنفسنا ، مَنْ يَهْدِ الله ، فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلِل فَلا هادي له ، وأشهدُ أَلَّا إله إلا الله وحدَه لا شَريكَ لَهُ ، وأشهدُ أن مُحمداً عبدُه ورسولُه ، أرسله بالحقِّ بشيراً ونذيراً بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ ، مَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَه ، فَقَدْ رَشَدَ ومن يَعْصِهِمَا ، فإنه لا يَضرُّ إلا نَفْسَهُ ، ولا يَضُرُّ الله شيئا » . رواه أبو داود(٢) وسيأتي إن شاء الله تعالى ذِكر خطبه في الحج .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٠٨١) في إقامة الصلاة : باب في فرض الجمعة من حديث عبد الله ابن محمد العدوي ، عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، وعبد الله بن محمد العدوي متروك ، وعلي بن زيد بن جدعان ، ضعيف . والحديث أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » ١/٢٦٠ ، وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث أبي سعيد الخدري أخصر منه .

(٢) رواه أبو داود (١٠٩٧) في الصلاة : باب الرجل يخطب على قوس من حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه وفي إسناده أبو عياض المدني وهو مجهول ثم إن في قوله « ومن يعصهما » شيئاً . فقد صح عنه ﷺ استنكار هذا التعبير من غيره ، فقد روى مسلم (٨٧٠) وأبو داود (١٠٩٩) والنسائي ٦/٩٠ ، وأحمد ٤/٢٥٦ و ٣٧٩ من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال : من يطع الله ورسوله ، فقد رشد ، ومن = يعصهما ، فقد غوى ، فقال رسول الله ﷺ : « بئس الخطيب أنت ، قل : ومن يعص الله ورسوله » قال العلماء : إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية ، وأمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم اسمه ، كما قال ﷺ في الحديث الآخر « لا يقل أحدكم : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل : ما شاء الله . ثم شاء فلان . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فيما أورده السندي في حاشية النسائي : من خصائصه ﷺ أنه كان يجوز له الجمع في الضمير بينه وبين ربه تعالى ، وذلك ممتنع على غيره ، قال : وإنما يمتنع من غيره دونه ، لأن غيره إذا جمع ، أوهم إطلاقه التسوية بخلافه هو ، فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك .

فصل في هديه ﷺ في خطبه

كان إذا خطب ، احمرَّت عيناه ، وعلا صوتُه ، واشتد غضبُه حتى كأنَّه منذرُ جيش ، يقول : « صَبَّحَكُمْ ومسَّاكم » ويقول : بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إصبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى » . ويقول : « أَمَّا بَعْدُ ، فإنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتَابُ الله ، وَخَيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » . ثم يقولُ : « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، مَنْ تَرَكَ مَالاً ، فَلِأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً ، فإليَّ وعليَّ » .(١)رواه مسلم .

وفى لفظ : كانَت خُطبةُ النبي ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، يَحْمَدُ الله ويُثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ عَلَى أثَرِ ذٰلِكَ وَقَدْ عَلَا صَوْتُه فَذَكَرَه .

وفى لفظ : يَحْمَدُ الله وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُه ، ثُمَّ يَقُولُ : « مَنْ يَهْدِ الله ، فَلا مُضِلَّ لهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ ، فَلا هَادِيَ لَهُ ، وَخَيْرُ الحَدِيثِ كِتَابُ الله » .

وفي لفظ للنسائي ، « وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلّ ضَلَالَةٍ في النَّار » .

وكان يقول في خطبته بعد التحميدِ والثناءِ والتشهد : « أَمَّا بَعْدُ »(٢) .

وكان يُقصِّرُ الخُطبة ، ويُطيل الصلاة ، ويُكثر الذِّكر ، ويَقْصِدُ الكلماتِ الجوامع ، وكان يقول : « إنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِه ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِه »(٣).

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧) في الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، ورواه النسائى ١٨٨/٣ ، ١٨٩ في العيدين : باب كيف الخطبة بزيادة « وكل ضلالة في النار » ، وإسناده صحيح .

(٢) رواه البخارى ٣٣٤/٢ ، ٣٣٥ من حديث عكرمة عن ابن عباس في الجمعة : باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ، ورواه أيضاً من حديث المسور بن مخرمة . ومن حديث عائشة رضى الله عنهم .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٢٦٣/٤ ، ومسلم (٨٦٩) في الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة وزاد في آخره « فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحراً » : وقوله « مئنة من فقه » أي : أن ذلك مما يعرف به فقه الرجل ، وكل شيء دل على شيء ، فهو مئنة له .

وكان يُعَلِّمُ أصحابَه في خُطبته قواعِدَ الإسلام ، وشرائعَه ، ويأمرهم ، وينهاهم في خطبته اذا عَرَض له أمر ، أو نهي ، كما أمر الداخل وهو يخطب أن يُصلي ركعتين(١) ،

ونهى المتخطِّي رِقابَ الناس عن ذلك ، وأمره بالجلوس(٢) .

وكان يقطعُ خطبته للحاجة تعْرِضُ ، أو السؤالِ مِنْ أَحَدٍ من أصحابه ، فيُجيبه ، ثم يعود إلى خُطبته ، فيتمُّها .

وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ، ثم يعودُ فيُتِمُّها ، كما نزل لأخذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فأخذهما ، ثم رَقِيَ بهما المنبر ، فأتم خطبته(٣) .

وكان يدعو الرجل في خطبته : تعالَ يا فلان ، اجلِسْ يا فُلان ، صلِّ يافُلان

وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته ، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة ، أمرهم بالصدقة ، وحضهم عليها(٤) .

وكان يُشير باصبعه السَّبَّابَة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه(٥)

---

(١) رواه البخاري ٣٤٢/٢ في الجمعة : باب من جاء والإمام يخطب صلى ركعتين من حديث جابر بن عبد الله قال « دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال : أصليتَ ؟ قال : لا ، قال « فصل ركعتين » ورواه أيضاً مسلم (٨٧٥) في الجمعة : باب التحية والإمام يخطب ، وأبو داود (١١١٥) في الصلاة : باب إذا دخل رجل والإمام يخطب ، والنسائى ١٠٣/٣ في الجمعة : باب الصلاة يوم الجمعة والإمام يخطب . وابن ماجه (١١٦٢) في اقامة الصلاة : باب ما جاء فيمن دخل المسجد والإمام يخطب .

(٢) رواه أبو داود (١١١٨) في الصلاة : باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة ، والنسائى ١٠٣/٣ في الجمعة : باب النهي عن تخطي رقاب الناس والإمام على المنبر يوم الجمعة من حديث أبي الزاهرية وهو جدير بن كريب قال : كنا مع عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ يوم الجمعة فجاء رجل يتخطى رقاب الناس ، فقال عبد الله بن بسر : جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب ، فقال له النبي ﷺ « اجلس فقد آذيت » وإسناده حسن .

(٣) رواه الترمذى (٣٧٧٦) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، وأبو داود (١١٠٩) =

= في الصلاة : باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث ، والنسائي ١٠٨/٣ في الجمعة : باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة ، وابن ماجه (٣٦٠٠) في اللباس : باب لبس الأحمر للرجال . وإسناده حسن .

(٤) روى مسلم في « صحيحه » (١٠١٧) في الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال : كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال : فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : (يا أيها الناس اتقوا ربكم ...) الحديث إلى آخره .

(٥) روى مسلم (٨٧٤) في الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث عمارة ابن رويبة قال : رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه ، فقال : قبح الله هاتين اليدين لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا وأشار بأصبعه المسبحة ، ورواه أبو داود (١١٠٤) في الصلاة : باب رفع اليدين على المنبر ، والنسائى ١٠٨/٣ في الجمعة : باب الإشارة في الخطبة .

وكان يستسقي بهم إذا قَحَطَ المطرُ في خُطبته .

وكان يُمهِلُ يوم الجمعة حتى يجتمعَ الناسُ ، فإذا اجتمعوا ، خرج إليهم وحدَه من غير شاويش يصيح بين يديه ، ولا لبس طيلسان ، ولا طرحة ، ولا سواد ، فإذا دخل المسجد ، سلَّم عليهم ، فإذا صَعِد المنبر ، استقبل الناسَ بوجهه ، وسلَّم عليهم ، ولم يدعُ مستقبِلَ القبلة ، ثم يجلِس ، ويأخذ بلالٌ في الأذان ، فإذا فرغ منه ، قام النبي ﷺ ، فخطب من غير فَصلٍ بين الأذان والخطبة ، لا بإيراد خبر ولا غيره .

ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيرَه ، وإنما كان يعتَمِدُ على قوس أو عصاً قبل أن يتَّخذ المنبر ، وكان في الحرب يَعتمد على قوس ، وفي الجمعة يعتمِد على عصا(٢) . ولم يُحفظ عنه أنه اعتمد على سيف ، وما يظنه بعضُ الجهال أنه كان يعتمد على السيف دائماً ، وأن ذلك إشارة إلى أن الدين قام بالسيف ، فَمِن فَرْطِ جهله ، فإنه لا يُحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف ، ولا قوس ، ولا غيره ، ولاقبل اتخاذه أنه أخذ بيده سيفاً ألبتة ، وإنما كان يعتمِد على عصا أو قوس .

وكان منبره ثلاثَ درجات ، وكان قبل اتخاذه يخطُب إلى جِذعٍ يستند إليه ، فلما تحوَّل إلى المنبر ، حنَّ الجِذْعُ حنيناً سمعه أهل المسجد ، فنزل إليه ﷺ وضمَّه(٣) قال أنس : حنَّ لما فقد ما كان يسمع من الوحي ، وفقده التصاق النبي ﷺ .

---

(١) روى البخارى ٣٤٢/٢ في الجمعة : باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة من حديث أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة على عهد النبى ﷺ ، فبينما النبى ﷺ يخطب في يوم جمعة ، فقام أعرابي فقال : يا رسول الله : هلك المال ، وجاع العيال فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة ، فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد الذي يليه حتى الجمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابى : أو قال غيره ، فقال يا رسول الله تهدم البناء ، وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يده فقال « اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً ، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود ، وأخرجه مسلم (٨٩٧) في الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء .

(٢) رواه أبو داود (١٠٩٦) في الصلاة : باب الرجل يخطب على قوس من حديث الحكم ابن حزن الكلفي وفيه : فأقمنا بها أياما شهدنا فيها الجمعة مع رسول الله ﷺ فقام متوكئاً على عصاً أو قوس .. » وسنده حسن كما قال الحافظ في « التلخيص » ٦٥/٢ ، وصححه ابن خزيمة ، وله شاهد من حديث البراء رواه أبو داود (١١٤٥) وآخر عند أبي الشيخ في أخلاق النبى ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) رواه البخاري ٤٤٤/٦ في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام من حديث ابن عمر ، وجابر = بن عبد الله ، والترمذي (٥٠٥) في الصلاة : باب ما جاء في الخطبة على المنبر من حديث ابن عمر ، والنسائى ١٠٢/٣ في الجمعة : باب مقام الإمام في الخطبة ، وابن ماجه (١٤١٧) من حديث جابر ، وابن ماجه (١٤١٥) ، والترمذى (٣٦٣١) من حديث أنس . و (١٤١٦) من حديث سهل و (١٤١٤) من حديث أبي بن كعب ، وانظر شمائل الرسول لابن كثير ص ٢٣٩ ، ٢٥١ .

ولم يُوضع المنبر في وسط المسجد ، وإنما وضع في جانبه الغربي قريباً من الحائط ، وكان بينه وبين الحائط قدر ممر الشاة(١) .

وكان إذا جلس عليه النبي ﷺ في غير الجمعة ، أو خطب قائماً في الجمعة ، استدار أصحابُه إليه بوجوههم ، وكان وجهه ﷺ قِبلَهم في وقت الخطبة .

وكان يقوم فيخطب ، ثم يجلِس جلسة خفيفة ، ثم يقوم ، فيخطب الثانية ، فإذا فرغ منها ، أخذ بلال في الإقامة . وكان يأمر الناس بالدنُّو منه ، ويأمرهم بالإنصات ، ويُخبرهم أن الرجل إذا قَالَ لِصاحبه : أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَا(٢) . ويقول : « مَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ »(٣) . وكان يقول : « مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الجُمُعَة والإمامُ يَخْطُبُ ، فَهُوَ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ، والَّذِي يَقُولُ لَه : أَنْصِتْ لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَة » . رواه الإمام أحمد(٤) .

وقال أبي بن كعب : قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة (تبارك) وهو قائم ، فذكَّرنا بأيَّام الله ، وأبو الدرداء أو أبو ذر يَغْمِزُني ، فقال : متى أُنْزِلَتْ هٰذه السورة ؟ فإني لم أسمعها إلى الآن ، فأشار إليه أن اسكُت ، فلما انصرفوا ، قال : سألْتك متى أُنزِلت هذه السورة فلم تُخبرني ، فقال : إنَّه ليس لك من صلاتك اليوم إلا مالغوتَ ، فذهب إلى رسول الله ﷺ ، فذكر له ذلك ، وأخبره بالذي قال له أُبي ، فقال رسول الله ﷺ : « صَدَق أبيٌّ »(٥) ذكره ابن ماجه ، وسعيد بن منصور ، وأصله في مسند أحمد .

وقال ﷺ : يَحْضُرُ الجُمُعَة ثَلاثَةُ نَفر : رَجُلٌ حَضَرَها يَلْغُو وَهُوَ حَظُّه منها ، ورَجُلٌ

---

(١) رواه البخاري ٤٧٥/١ في الصلاة : باب قدركم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة ، ومسلم (٥٠٩) في الصلاة : باب دنو المصلي من السترة ، وأبو داود (١٠٨٢) في الصلاة : باب موضع المنبر ، من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بلفظ : كان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة .

(٢) رواه البخاري ٣٤٣/٢ في الجمعة : باب الانصات يوم الجمعة ، ومسلم (٨٥١) في الجمعة : باب في الإنصات يوم الجمعة للخطبة ، وأبو داود (١١١٢) في الصلاة : باب الكلام والإمام يخطب ، والنسائي ١٠٤/٣ في الجمعة : باب الإنصات للخطبة يوم الجمعة ، وابن ماجه (١١١٠) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها .

(٣) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد في « المسند » (٧١٩) ولفظه في آخره « ومن قال : صه فقد تكلم ومن تكلم فلا جمعة له » . وإسناده ضعيف لجهالة مولى امرأة عطاء الخراساني لكن يشهد له ما رواه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٨١٠) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « ومن لغا أو تخطى كانت له ظهراً » وسنده حسن .

(٤) (٢٠٣٣) من حديث ابن عباس ، وفي سنده مجالد بن سعيد وهو ضعيف ، وأورده الهيثمي في « المجمع » ١٨٤/٢ ، وزاد نسبته للبزار والطبراني في « الكبير » وأعله بمجالد .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ١٤٣/٥ ، وابن ماجه (١١١١) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الاستماع للخطبة وإسناده حسن ، ورواه ابن حبان (٥٧٧) بنحوه من حديث جابر ، وفيه عيسى بن جارية وفيه لين ، وانظر « المجمع » ١٨٤/٢ .

حَضَرَها يَدْعو ، فَهُوَ رَجُلٌ دَعا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إنْ شَاءَ أَعْطَاهُ ، وإنْ شَاءَ مَنَعَهُ ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بإنْصاتٍ وَسُكُوتٍ ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُؤْذِ أحداً ، فَهي كَفَّارَةٌ له إلى يَوْمِ الجُمُعةِ التي تَليها ، وَزِيادَة ثَلاثَة أيّامٍ ، وذَلِكَ أن اللهَ عزَّ وجَلَّ يقول : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها ﴾ ذكره أحمد وأبو داود[1]

وكان إذا فرغ بلال من الأذان ، أخذ النبي ﷺ في الخطبة ، ولم يقم أحدٌ يركع ركعتين ألبتة ، ولم يكن الأذانُ إلا واحداً ، وهذا يدل على أن الجمعة كالعيد ، لا سُنَّة لها قبلها ، وهذا أصحُّ قول العلماء ، وعليه تدلُّ السُّنَّة ، فإن النبي ﷺ كان يخرج مِن بيته ، فإذا رَقِي المنبر ، أخذ بلالٌ في أذان الجمعة ، فإذا أكمله ، أخذ النبيُّ ﷺ في الخطبة من غير فصل ، وهذا كان رأيَ عين ، فمتى كانوا يُصلون السُّنَّة ؟ ! ومن ظن أنهم كانوا اذا فرغ بلال رضي الله عنه من الأذان ، قاموا كلُّهم ، فركعوا ركعتين ، فهو أجهلُ الناس بالسُّنَّة ، وهذا الذي ذكرناه من أنه لا سُنَّة قبلها ، هو مذهب مالك ، وأحمد في المشهور عنه ، وأحدُ الوجهين لأصحاب الشافعي .

والذين قالوا : إن لها سُنَّةً ، منهم من احتج أنها ظهرٌ مقصورة ، فيثبت لها أحكامُ الظهر ، وهٰذه حجة ضعيفة جداً ، فإن الجمعة صلاةٌ مستقِلة بنفسها تُخالف الظهر في الجهر ، والعدد ، والخطبة ، والشروط المعتبرة لها ، وتُوافقها في الوقت ، وليس الحاقُ مسألة النزاع بموارد الاتفاق أولى من إلحاقها بموارد الافتراق ، بل إلحاقها بموارد الافتراق أولى ، لأنها أكثر مما اتفقا فيه .

ومنهم من أثبت السُنَّة لها هنا بالقياس على الظهر ، وهو أيضاً قياس فاسد ، فإن السُّنَّة ما كان ثابتاً عن النبي ﷺ من قول أو فعل ، أو سُنة خلفائه الراشدين ، وليس في مسألتنا شيء من ذلك ، ولا يجوز إثباتُ السنن في مثل هذا بالقياس ، لأن هذا مما انعقد سببُ فعله في عهد النبي ﷺ ، فإذا لم يفعل له ولم يشرعه ، كان تركُه هو السُّنَّة ، ونظيرُ هذا ، أن يُشرع لصلاة العيد سنة قبلها أو بعدها بالقياس ، فلذلك كان الصحيحُ أنه لا يُسن الغسل للمبيت بمزدلفة ، ولا لِرمي الجمار ، ولا للطواف ، ولا للكسوف ، ولا للاستسقاء ، لأن النبي ﷺ وأصحابَه لم يغتسلوا لذلك مع فعلهم لهٰذه العبادات .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/٢١٤ ، وأبو داود (١١١٣) في الصلاة : باب الكلام والإمام يخطب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإسناده حسن .

ومنهم من احتج بما ذكره البخاري في « صحيحه » فقال : باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها : حدثنا عبد الله بن يُوسف ، أنبأنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ ، كان يُصلي قبلَ الظُّهر ركعتين ، وبعدها ركعتين ، وبعد المغرب ركعتين في بيته ، وقبل العشاء ركعتين ، وكان لا يُصلي بعد الجمعة حتى ينصَرِف ، فيُصلي ركعتين[1] وهذا لا حُجة فيه ، ولم يُرو به البخاري إثباتَ السنة قبل الجمعة ، وإنما مرادُه أنه هل ورد في الصلاة قبلها أو بعدها شيء ؟ ثم ذكر هذا الحديث ، أي : أنه لم يَرد عنه فعلُ السنة إلا بعدها ، ولم يرد قبلها شيء .

وهذا نظيرُ ما فعل فى كتاب العيدين ، فإنه قال : باب الصلاة قبل العيد وبعدها . وقال أبو المعلَّى[2] : سمعت سعيداً عن ابن عباس . أنه كره الصلاة قبل العيد[3] . ثم ذكر حديث سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر ، فصلَّى ركعتين ، لم يصل قبلَهما ولا بعدَهما ومعه بلال الحديث[4] . فترجم للعيد مثلَ ما ترجم للجمعة ، وذكر للعيد حديثاً دالاً على أنه لا تُشرع الصلاةُ قبلَها ولا بعدَها ، فدل على أن مراده من الجمعة كذلك .

وقد ظن بعضُهم أن الجمعة لما كانت بدلاً عن الظهر ــ وقد ذكر في الحديث السنة قبل الظهر وبعدها ــ دلَّ على أن الجمعة كذلك ، وإنما قال : « وكان لا يُصلي بعد الجمعة حتى ينصرِفَ » بياناً لموضع صلاة السنة بعد الجمعة ، وانه بعد الانصراف ، وهذا الظن غلط منه ، لأن البخاري قد ذكر في باب التطوع بعد المكتوبة حديثَ ابن عمر رضى الله عنه : صليتُ مع رسول الله ﷺ سَجْدتينِ قبل الظهر ، وسجدتين بعدَ الظهر ، وسجدتين بعدَ المغرب ، وسجدتينِ بعد العشاء ، وسجدتينِ بعد الجمعة[5].

---

(١) رواه البخاري ٢ / ٣٥٤ في الجمعة : باب الصلاة يوم الجمعة وقبلها . وقال الحافظ : وأقوى ما يتمسك به في مشروعية ركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعاً : « ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان » ومثله حديث عبد الله ابن المغفل « بين كل أذانين صلاة » .

(٢) واسمه يحيى بن ميمون العطار الكوفي ، وليس له في البخاري سوى هذا الموضع ، وفي المطبوع أبو العلاء وهو تحريف .

(٣) رواه البخاري ٢ / ٣٩٦ تعليقاً في العيدين : باب الصلاة قبل العيد وبعدها ، قال الحافظ في « الفتح » : ولم أقف على أثره هذا موصولاً ، وقد تقدم حديث ابن عباس المرفوع بأتم من هذا السياق في باب الخطبة بعد العيد ولفظة : عن ابن عباس أن النبى ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين ، لم يصل قبلها ولا بعدها ... الحديث .

(٤) رواه البخاري ٢ / ٣٩٦ في العيدين : باب الصلاة قبل العيد وبعدها . ومسلم (٨٨٤) في العيدين : باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلى ، والنسائي ٣ /١٩٣ في العيدين : باب الصلاة قبل العيدين وبعدها ، وأبو داود (١١٥٩) في الصلاة : باب الصلاة بعد صلاة العيد ، وابن ماجه (١٢٩١) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الصلاة قبل صلاة العيد وبعدها .

(٥) البخاري ٣ /٤١١ في التطوع : باب التطوع بعد المكتوبة .

فهذا صريح في أن الجمعة عند الصحابة صلاةٌ مستقِلَّة بنفسها غير الظهر ، وإلا لم يحتج إلى ذِكرها لِدخولها تحتَ اسم الظهر ، فلما لم يذكر لها سنةً إلا بعدها ، عُلِمَ أنه لا سنة لها قبلها .

ومنهم من احتج بما رواه ابن ماجه في « سننه » عن أبي هريرة وجابر ، قال جاء سُلَيك الغَطفاني ورسولُ الله ﷺ يخطبُ فقال له : « أَصَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ ؟ » قال : لا . قال : « فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّز فيهما » . وإسناده ثقات[1] .

قال أبو البركات ابن تيمية : وقوله : « قبل أن تجيء » يدل عن أن هاتين الركعتين سنة الجمعة ، وليستا تحية المسجد . قال : شيخنا حفيدُه أبو العباس : وهذا غلط ، والحديث المعروف في « الصحيحين » عن جابر ، قال : دخل رجل يومَ الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب ، فقال : « أَصَلَّيْتَ » قال : لا . قال : فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ[2] . وقال : إذا جَاءَ أَحَدُكُم الجُمُعَةَ والإِمَامُ يَخْطُبُ ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، وَلْيَتَجَوَّزْ فيهما »[3] . فهذا هو المحفوظ في هذا الحديث ، وأفراد ابن ماجه في الغالب غيرُ صحيحة ، هذا معنى كلامه .

وقال شيخنا أبو الحجَّاج الحافظ المزي : هذا تصحيف من الرواة ، إنما هو « أصليتَ قبل أن تجلس؟» فغلط فيه الناسخُ . وقال : وكتابُ ابنِ ماجه إنما تداولته شيوخ لم يعتنوا به ، بخلاف صحيحي البخاري ومسلم ، فإن الحفاظ تداولوهما ، واعتَنَوْا بضبطهما وتصحيحهما ، قال : ولذلك وقع فيه أغلاطٌ وتصحيف .

قلت : ويدل على صحة هذا أن الذين اعتَنَوْا بضبط سنن الصلاة قبلها وبعدها ، وصنفوا في ذلك من أهل الأحكام والسنن وغيرها ، لم يذكر واحدٌ منهم هذا الحديثَ في سنة الجمعة قبلها ، وإنما ذكروه في استحباب فعل تحية المسجد والإمام على المنبر ، واحتجوا به على من منع مِن فعلها في هٰذه الحال ، فلو كانت هي سنةَ الجمعة ، لكان ذكرها هناك ، والترجمةُ عليها ، وحفظُها ، وشهرتُها أولى من تحية المسجد ، ويدل عليه أيضاً أن النبي ﷺ ، لم يأمر بهاتين الركعتين إلا الداخل لأجل أنها تحيةُ المسجد ، ولو كانت سنة الجمعة ، لأمر بها القاعدين أيضاً ، ولم يخص بها الداخل وحده .

---

(١) رواه ابن ماجه (١١١٤) في إقامة الصلاة : باب ما جاء فيمن دخل المسجد والإمام يخطب ، وابو داود (١١١٦) في الصلاة : باب إذا دخل الرجل والإمام يخطب .

(٢) رواه البخاري ٢ /٣٤٢ في الجمعة : باب من جاء والإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين ، ومسلم (٨٧٥) في الجمعة : باب التحية والإمام يخطب .

(٣) رواه مسلم (٨٧٥) وأبو داود (١١١٧) في الصلاة : باب إذا دخل الرجل والإمام يخطب .

ومنهم من احتج بما رواه أبو داود في « سننه » ، قال : حدثنا مسدَّد ، قال : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر يُطيل الصلاة قبل الجمعة ، ويُصلي بعدها ركعتين في بيته ، وحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك[1] . وهذا لا حجة فيه على أن للجمعة سنةً قبلها ، وإنما أراد بقوله : إن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك : أنه كان يُصلي الركعتين بعد الجمعة في بيته لا يُصليهما في المسجد ، وهذا هو الأفضل فيهما ، كما ثبت في « الصحيحين » عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يُصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته . وفي « السُنن » عن ابن عمر ، أنه إذا كان بمكة ، فصلى الجمعة ، تقدم ، فصلّى ركعتين ، ثم تقدم فصلَّى أربعاً ، وإذا كان بالمدينة ، صلى الجمعة ، ثم رجع إلى بيته ، فصلَّى ركعتين ، ولم يُصل بالمسجد ، فقيل له ، فقال : كان رسول الله ﷺ وآله وسلم يفعل ذلك[2] . وأما إطالة ابن عمر الصلاة قبل الجمعة ، فإنه تطوعٌ مطلق ، وهذا هو الأولى لمن جاء إلى الجمعة أن يشتغِل بالصلاة حتى يخرج الإمام ، كما تقدم من حديث أبي هريرة ، ونُبيشة الهذلي عن النبي ﷺ .

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « من اغتسل يوم الجمعة ، ثم أتى المسجدَ ، فصلَّى ما قُدِّرَ له ، ثم أنصتَ حتى يَفرُغَ الإمامُ مِن خُطبته ، ثم يُصلي معه ، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وفضلُ ثلاثة أيَّامٍ[3] . وفي حديث نُبيشة الهذلي : « إن المسلمَ إذا اغتسل يومَ الجمعة ، ثم أقبلَ إلى المسجد لا يُؤذي أحداً . فإن لم يجد الإمام خَرج ، صلَّى ما بدا له ، وإن وجد الإمامَ خرج ، جلس ، فاستمع وأنصت حتى يقضيَ الإمامُ جمعته وكلامَه ، إن لم يُغفر له في جُمعته تلك ذنوبه كلُّها أنْ تكون كَفَّارةً للجمعة التي تليها »[4] هكذا كان هديُ الصحابة رضي الله عنهم .

قال ابن المنذر : روينا عن ابن عمر : أنه كان يُصلي قبل الجمعة ثِنتي عشرة ركعة[5] .

وعن ابن عباس ، أنه كان يصلي ثمان ركعات[6] . وهذا دليل على أن ذلك كان منهم من باب التطوع المطلق ، ولذلك اختلف في العدد المروي عنهم في ذلك ، وقال الترمذي

---

(١) رواه أبو داود (١١٢٨) في الصلاة : باب الصلاة بعد الجمعة ، والنسائي ٣ /١١٣ في الجمعة : باب إطالة الركعتين بعد الجمعة وإسناده صحيح .

(٢) رواه أبو داود (١١٣٠) في الصلاة : باب الصلاة بعد الجمعة وإسناده حسن .

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٧) في الجمعة : باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة .

(٤) تقدم تخريجه وهو في « المسند » ٥ /٧٥ .

(٥) تقدم تخرجيه في صلاة التطوع .

(٦) تقدم تخريجه في صلاة التطوع .

في « الجامع » : ورُوي عن ابن مسعود ، أنه كان يُصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعا[1] . وإليه ذهب ابنُ المبارك والثوريُّ .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء النيسابوري : رأيتُ أبا عبد الله ، اذا كان يوم الجمعة يُصلي إلى أن يعلمَ أن الشمس قد قاربت أن تزول ، فإذا قاربت ، أمسك عن الصلاة حتى يُؤذِّنَ المؤذِّن ، فإذا أخذ في الأذان ، قامْ فصلى ركعتين أو أربعاً ، يَفصِل بينهما بالسلام ، فإذا صلى الفريضة ، انتظر في المسجد ، ثم يخرج منه ، فيأتي بعض المساجد التي بحضرة الجامع ، فيُصلي فيه ركعتين ، ثم يجلس ، وربما صلَّى أربعاً ، ثم يجلس ، ثم يقوم ، فيصلي ركعتين أخريين ، فتلك ست ركعات على حديث علي ، وربما صلى بعد الست ستاً أخر ، أو أقل ، أو أكثر . وقد أخذ من هذا بعضُ أصحابه رواية : أن للجمعة قبلها سنة ركعتين أو أربعا ، وليس هذا بصريح ، بل ولا ظاهر ، فإن أحمد كان يُمسك عن الصلاة في وقت النهي ، فإذا زال وقت النهي ، قام فأتم تطوعه إلى خروج الإمام ، فربما أدرك أربعاً ، وربما لم يُدرك إلا ركعتين .

ومنهم من احتج على ثبوت السنة قبلها ، بما رواه ابن ماجه في « سننه » حدثنا محمد ابن يحيى ، حدثنا يزيد بن عبد ربِّه ، حدثنا بقية ، عن مبشر ابن عبيد ، عن حجاج بن أرطأة ، عن عطية العَوْفي ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ يركع قبل الجُمعة أربعاً ، لا يفصِل بينها في شيء منها . قال ابن ماجه : باب الصلاة قبل الجمعة ، فذكره[2] .

وهذا الحديث فيه عدة بلايا ، إحداها : بقية بن الوليد : إمام المدلسين وقد عنعنه ، ولم يصرح بالسماع .

الثانية : مبشر بن عُبيد ، المنكر الحديث . وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي يقول : شيخ كان يقال له : مبشر بن عبيد كان بحمص ، أظنه كوفياً ، روى عنه بقية ، وأبو المغيرة ، أحاديثُه أحاديث موضوعه كذب . وقال الدارقطني : مبشر بن عبيد متروك الحديث ، أحاديثه لا يتابع عليها .

---

(١) ذكره الترمذي بعد الحديث (٥٢٣) في الصلاة : باب ما جاء في الصلاة قبل الجمعة وبعدها ، فقال : وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يصلي قبل الجمعة أربعاً . وأخرجه عبد الرزاق (٥٥٢٤) عن معمر عن قتادة أن ابن مسعود كان يصلي قبل الجمعة أربع ركعات وبعدها أربع ركعات ، وقتادة لم يسمع من ابن مسعود وأخرج عبد الرزاق أيضاً (٥٥٢٥) عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : كان عبد الله يأمرنا أن نصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً » وسنده صحيح .

رواه ابن ماجه (١١٢٩) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الصلاة قبل الجمعة ، وإسناده ضعيف جداً . قال البوصيري في « الزوائد » : إسناده مسلسل بالضعفاء .

الثالثة : الحجاج بن أرطاة الضعيف المدلس .

عطية العوفي ، قال البخاري : كان هشيم يتكلم فيه ، وضعفه أحمد وغيره .

وقال البيهقي : عطية العَوْفي لا يحتج به ، ومبشر بن عبيد الحمصي منسوب إلى وضع الحديث ، والحجاج بن أرطاة ، لا يحتج به . قال بعضهم : ولعل الحديث انقلب على بعضِ هؤلاء الضعفاء ، لعدم ضبطهم وإتقانهم ، فقال : قَبْلَ الجُمُعة أربعاً ، وإنما هو بعد الجمعة ، فيكون موافقاً لما ثبت في « الصحيح » ونظير هذا : قول الشافعي في رواية عبد الله بن عمر العمري : « للفارس سهمان ، وللراجل سهم » . قال الشافعي : كأنه سمع نافعاً يقول : للفرس سهمان ، وللراجل سهم ، فقال : للفارس سهمان ، وللراجل سهم . حتى يكون موافقاً لحديث أخيه عبيد الله ، قال وليس يشكُّ أحد من أهل العلم في تقديم عبيد الله بن عمر على أخيه عبد الله في الحفظ .

قلت : ونظير هذا ما قاله شيخُ الإسلام ابن تيمية في حديث أبي هريرة « لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقى فيهَا : وهي تَقُول : هَلْ مِنْ مَزيد ؟ حتى يَضَعَ ربُّ العِزَّةِ فيها قدمَه ، فَيَزْوي بَعْضُهَا إلى بَعْض ، وتقول : قَطْ ، قَطْ ، وأما الجنةُ : فُينشىء الله لها خلقاً »[1] فانقلب على بعض الرواة فقال : أما النار ، فينشىء الله لها خلقاً .

قلت : ونظيرُ هذا حديث عائشة « إن بلالاً يُؤَذِّن بِلَيل ، فكُلُوا واشرَبُوا حتى يُؤَذِّن ابنُ أم مكتوم » وهو في « الصحيحين »[2] ، فانقلب على بعض الرواة ، فقال : ابنُ أم مكتوم يؤذِّن بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذِّن بلال » .

ونظيره أيضاً عندي حديث أبي هريرة « إذا صَلَّى أَحَدُكُم فَلَا يَبْرُكْ كمَا يَبْرُكُ البَعيرُ وَليضَعْ يَدَيْه قَبْلَ رُكبَتَيْهِ »[3] وأظنه وَهِمَ ــ والله أعلم ــ فيما قاله رسولُه الصادق المصدوق ، « وليضع ركبتيه قبل يديه » . كما قال وائل بن حُجر : كان رسولُ الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري ٨ /٤٥٨ في تفسير سورة (ق) : باب قوله : وتقول هل من مزيد ، ومسلم (٢٨٤٦) في الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والترمذي (٢٥٦٠) في الجنة : باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار .

(٢) رواه البخاري ٢ /٨٧ في الأذان : باب الأذان قبل الفجر ، وفي الصوم : باب قول النبي ﷺ لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال ، ومسلم (١٠٩٢) في الصيام : باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر .

(٣) رواه أبو داود (٨٤٠) و (٨٤١) في الصلاة : باب كيف يضع ركبتيه قبل يديه ، والنسائي ٢ /٢٠٧ في الافتتاح : باب أول ما يصل إلى الأرض من الانسان في سجوده ، والترمذي (٢٦٩) في الصلاة : باب ما جاء في وضع الركبتين قبل اليدين في السجود وأحمد في « المسند » ٢ /٣٨١ ، وهو حديث صحيح ، وقد أخطأ المؤلف رحمه الله في فهمه ، فظن أنه وهم ، وقد تقدم تفصيل ذلك .

إذا سجد ، وضع رُكبتيه قبل يديه[1] . وقال الخطابي وغيره : وحديثُ وائل بن حُجر ، أصح من حديث أبي هريرة . وقد سبقتْ المسألة مستوفاة في هذا الكتاب والحمد لله .

وكان ﷺ إذا صلى الجمعة ، دخل إلى منزله ، فصلى ركعتين سُنَّتَها ، وأمر مَنْ صلاها أن يُصلَى بعدها أربعاً . قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية : إن صلى فى المسجد ، صلى أربعاً ، وإن صلى في بيته ، صلى ركعتين . قلتُ : وعلى هذا تدل الأحاديث ، وقد ذكر أبو داود عن ابن عمر أنه كان إذا صلَّى في المسجد ، صلى أربعاً ، وإذا صلى في بيته ، صلى ركعتين[2] .

وفي « الصحيحين » : عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ ، كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته[3] .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، « إذا صَلَّى أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ »[4] . والله أعلم .

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨) في الصلاة : باب ما جاء في وضع الركبتين قبل اليدين في السجود ، وأبو داود (٨٣٨) في الصلاة : باب كيف يضع ركبتيه قبل يديه ، والنسائي ٢ /٢٠٧ في الافتتاح : باب أول ما يصل إلى الأرض من الإنسان في سجوده ، وفي سنده شريك القاضي وهو سيء الحفظ .

(٢) رواه أبو داود (١١٣٠) في الصلاة : باب الصلاة بعد الجمعة ، وإسناده قوي .

(٣) رواه البخاري ٢ /٣٥٤ في الجمعة : باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها ، ومسلم (٨٨٢) في الجمعة : باب الصلاة بعد الجمعة ، والترمذي (٥٢١) في الصلاة : باب ما جاء في الصلاة قبل الجمعة وبعدها ، وأبو داود (١١٣٢) في الصلاة : باب الصلاة بعد الجمعة ، والنسائي ٣ /١١٣ في الجمعة : باب صلاة الإمام بعد الجمعة .

(٤) رواه مسلم (٨٨١) .

فصل في هديه ﷺ في العيدين

كان ﷺ يُصلي العيدين في المُصَلَّى ، وهو المصلَّى الذي على باب المدينة الشرقي ، وهو المصلَّى الذي يُوضع فيه مَحْمِلُ الحاج، ولم يُصلِّ العيدَ بمسجده إلامرةً واحدة حين أصابهم مطر ، فصلَّى بهم العيدَ في المسجد إن ثبت الحديث ، وهو في سنن أبي داود وابن ماجه[1] ، وهديُه كان فِعلهما في المصلَّى دائما .

وكان يلبَس للخروج إليهما أجملَ ثيابه ، فكان له حُلَّة يلبَسُها للعيدين والجمعة ، ومرة كان يَلبَس بُرْدَيْن أخضرين ، ومرة بُرداً أحمر ، وهو ليس أحمرَ مُصمتَاً كما يظنُّه بعضُ الناس ، فإنه لو كان كذلك ، لم يكن بُرداً ، وإنما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية ، فسمي أحمر باعتبار ما فيه من ذلك . وقد صح عنه ﷺ مِن غير معارض النهيُ عن لُبس المعصفر والأحمر ، وأمر عبد الله بن عمرو لما رأى عليه ثوبين أحمرين أن يَحرِقَهما[2] فلم يكن ليكره الأحمر هذه الكراهة الشديدة ثم يلبَسُه ، والذي يقُوم عليه الدليل تحريمُ لِباس الأحمر ، أو كراهيتُه كراهية شديدة .

وكان ﷺ يأكُل قبلَ خروجه في عيد الفطر تمراتٍ ، ويأكلهن وتراً ، وأما في عيد الأضحى ، فكان لا يَطْعَمُ حتى يَرجِعَ مِن المصلَّى ، فيأكل من أُضحيته .

وكان يغتسل للعيدين ، صح الحديث فيه ، وفيه حديثان ضعيفان : حديث ابن

---

(١) رواه أبو داود (١١٦٠) في الصلاة : باب يصلى بالناس في المسجد إذا كان يوم مطر ، وابن ماجه (١٣١٣) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في صلاة العيد في المسجد إذا كان مطر . وفي سنده عيسى بن عبد الأعلى بن أبي فروة وهو مجهول ، وكذا شيخه أبو يحيى عبيد الله التيمي .

(٢) رواه مسلم ٢٠٧٧) ، (٢٢) في اللباس : باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ، والنسائي ٨ /٢٠٣ في الزينة : باب ذكر النهي عن لبس المعصفر .

عباس ، من رواية جُبارة بن مُغَلِّس[1] ، وحديث الفاكِه بن سعد ، من رواية يوسف بن خالد السمتي[2] . ولكن ثبت عن ابن عمر مع شِدة اتِّباعه للسُنَّة ، أنه كان يغتسل يوم العيد قبل خروجه[3] .

وكان ﷺ يخرج ماشياً ، والعَنَزَةُ تُحمل بين يديه ، فإذا وصل إلى المصلَّى ، نُصِبت بين يديْه ليصلَي إليها ، فإن المصلَّى كان إذ ذاك فضاءً لم يكن فيه بناءٌ ولا حائط ، وكانت الحربةُ سُترتَه[4] .

وكان يُؤَخِّر صلاة عيد الفطر ، ويُعجِّل الأضحى ، وكان ابنُ عمر مع شدة اتباعه للسنة ، لا يخرُج حتى تطلُع الشمسُ ، ويُكبِّر مِن بيته إلى المصلى .

وكان ﷺ إذا انتهى إلى المصلَّى ، أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة[5] ولا قول : الصلاة جامعة . والسنة : أنه لا يُفعل شيء من ذلك ولم يكن هو ولا أصحابُه يُصلون إذا انتهوا إلى المصلَّى شيئاً قبل الصلاة ولا بعدها[6]

وكان يبدأ بالصلاة قبلَ الخُطبة ، فيُصلِّي ركعتين ، يكبِّر في الأولى سبعَ تكبيراتٍ مُتوالية بتكبيرة الافتتاح ، يسكُت بين كُل تكبيرتين سكتةً بسيرة ، ولم يُحفَظْ عنه ذِكرٌ معين بين التكبيرات ، ولكن ذُكِرَ عن ابن مسعود أنه قال : يَحمَدُ الله ، ويُثنى عليه ، ويصلِّي على النبى ﷺ ، فى ذكره الخلال ، وكان ابنُ عمر مع تحريه للاتباع، يرفع يديه مع كل تكبيرة .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣١٥) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الاغتسال في العيدين ولفظه قال : كان رسول الله ﷺ يغتسل يوم الفطر ويوم الأضحى . وجبارة بن المغلس ضعيف ، وشيخه حجاج بن نميم ضعيف أيضاً .

(٢) رواه ابن ماجه (١٣١٦) ويوسف بن خالد السمتي كذبه غير واحد ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث .

(٣) أخرجه مالك في « الموطأ » ١ /١٧٧ في العيدين : باب العمل في غسل العيدين ، وإسناده صحيح ، وهو في « المصنف » (٥٧٥٤) .

(٤) رواه البخاري ٢ /٣٨٦ في العيدين : باب حمل العنزة أو الحربة بين يدي الإمام يوم العيد ، وابن ماجه (١٣٠٤) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الحربة يوم العيد واللفظ له من حديث ابن عمر .

(٥) أخرجه البخاري ٢ /٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ومسلم (٨٨٦) (٦) من حديث عطاء ، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا : لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى ، وأخرجه مسلم (٨٨٧) وأبو دواد (١١٤٨) والترمذي (٥٣٢) من حديث جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله ﷺ العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة

(١) رواه البخاري ٢ /٣٩٦ في العيدين : باب الصلاة قبل العيد وبعدها ، والترمذي (٥٣٧) في الصلاة : باب ما جاء لا صلاة قبل العيد ولا بعدها ، والنسائي ٣ /١٩٣ في العيدين : باب الصلاة قبل العيدين وبعدها ، وابن ماجه (١٢٩١) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الصلاة قبل الصلاة العيد وبعدها . كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

وكان ﷺ إذا أتم التكبير ، أخذ في القراءة ، فقرأ فاتِحة الكتاب ، ثم قرأ بعدها (ق والقرآن المجيد) في إحدى الركعتين ، وفي الأخرى ، (اقتربَتِ السَّاعَةُ وانشقَّ القَمَرُ)[1] .

وربما قرأ فيهما (سبِّح اسمَ ربِّك الأعلى) ، وهو (هل أتاك حديثُ الغَاشية)[2] صح عنه هذا وهذا ، ولم يَصِحَّ عنه غيرُ ذلك .

فإذا فرغ من القراءة ، كبَّر وركع ، ثم أكمل الركعة ، وقام من السجود ، كبَّر خمساً متوالية ، فإذا أكمل التكبيرَ ، أخذ في القراءَةِ ، فيكون التكبيرُ أوَّل ما يبدأ به في الركعتين ، والقراءة يليها الركوع ، وقد رُوي عنه ﷺ أنه والى بين القراءتين ، فكبر أولاً ، ثم قرأ وركع ، فلما قام في الثانية ، قرأ وجعل التكبير بعد القراءة ، ولكن لم يثبت هذا عنه ، فإنه من رواية محمد بن معاوية النيسابوري . قال البيهقي : رماه غيرُ واحد بالكذب .

وقد روى الترمذي من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله ﷺ كبَّر في العيدين في الأول سبعاً قَبْلَ القِرَاءَةِ ، وفي الآخِرَة خمساً قَبْلَ القراءة[3] . قال الترمذي : سألت محمداً يعني البخاريَّ عن هذا الحديث ، قال : ليس في الباب شيء أصحَّ مِن هذا ، وبه أقول ، وقال : وحديث عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده في هذا الباب ، هو صحيح أيضاً .

قلت : يُريد حديثه أن النبي ﷺ كبَّر في عيد ثِنتي عشرة تكبيرة ، سبعاً في الأُولى ، وخمساً في الآخرة ، ولم يُصل قبلها ولا بعدها . قال أحمد : وأنا أذهب إلى هذا . قلت : وكثير بن عبد الله بن عمرو هذا ضرب أحمد على حديثه في « المسند » وقال : يُساري حديثُه شيئاً والترمذي تارة يُصحح حديثه ، وتارة يُحسنه ، وقد صرح البخاريُّ بأنه

---

(١) رواه مسلم (٨٩١) في العيدين : باب ما يقرأ به في صلاة العيدين من حديث أبي واقد الليثي . والنسائي ٣ /١٨٤ في العيدين : باب القراءة في العيدين : (ق ، واقتربت) ، والترمذي (٥٣٤) في الصلاة : باب ما جاء في القراءة في العيدين ، وابن ماجه (١٢٨٢) في إقامة الصلاة باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين .

(٢) رواه مسلم (٨٧٨) في الجمعة ، وعبد الرزاق (٥٧٠٦) والترمذي (٥٣٣) ، والنسائي ٣ /١٨٤ ، وابن ماجه (١٢٨١) من حديث النعمان بن بشير .

(٣) أخرجه الترمذي (٥٣٦) في الصلاة : باب التكبير في العيدين ، وابن ماجه (١٢٧٩) ، في إقامة الصلاة : باب ما جاء في كم يكبر الإمام في صلاة العيدين ، والدارقطني ١ /١٨١ ، والطحاوي ٢ /٣٩٩ ، والبيهقي ٣ /٢٨٦ من حديث كثير بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جده وإسناده ضعيف لكلامهم في كثير بن عبد الله ، وإنما حسنه الترمذي لشواهده الكثيرة ففي الباب عن عائشة أخرجه أبو داود (١١٤٩) وابن ماجه (١٢٨٠) والطحاوي ٣٩٩/٢ ، والحاكم ١ /٢٩٨ ، الدار قطني ١ /١٨١ وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أحمد ٢ /١٨٠ وأبي داود (١١٥١) وابن ماجه (١٢٧٨) وسنده حسن . وانظر « نصيب الراية » ٢ /٢١٦ ، ٢١٩ .

أصحّ شيء في الباب ، مع حكمه بصحة حديث عمرو بن شعيب ، وأخبر أنه يذهب إليه . والله أعلم .

وكان ﷺ إذا أكمل الصلاةَ ، انصرف ، فقام مُقابِل الناس ، والناسُ جلوس على صفوفهم فيعِظهم ويُوصيهم ، ويأمرهم وينهاهم ، وإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعة ، أو يأمر بشيء أمر به[1] . ولم يكن هُنالك مِنبر يرقى عليه ، ولم يكن يُخْرجُ مبر المدينة ، وإنما كان يخطبهم قائماً على الأرض ، قال جابر : شهِدتُ مع رسول الله ﷺ الصلاة يومَ العيد ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ، ثم قام متوكئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله ، وحثَّ على طاعته . ووعظ النَّاس ، وذكَّرهم ، ثم مضى حتى أتى النساء ، فوعظهن وذكَّرهُن ، متفق عليه[2]

وقال أبو سعيد الخُدري : كانَ النبيُّ ﷺ يخرُج يوم الفِطر والأضحى إلى المُصلَّى ، فأول ما يَبدأُ به الصَّلاةُ ، ثم ينصرِفُ ، فيقُوم مقابِلَ الناس ، والناسُ جلوس على صفوفهم .. الحديث . رواه مسلم[3] .

وذكر أبو سعيد الخُدري : أنه ﷺ كان يخرج يوم العيد ، فيُصلي بالناس ركعتين ، ثم يُسَلِّمُ ، فيقِف على راحلته مستقبِلَ الناس وهم صفوف جلوسٌ فيقول : « تَصَدَّقوا » ، فأكثرُ من يتصدق النساء ، بالقُرط والخاتم والشيءفإن كانت له حاجة يُريد أن يبعث بعثاً يذكره لهم ، وإلا انصرف[4] .

وقد كان يقع لي أن هذا وهم ، فإن النبي ﷺ ، إنما كان يخرج إلى العيد ماشياً ، والعنزة بين يديه ، وإنما خطب على راحلته يومَ النحر بمِنى ، إلى أن رأيتُ بَقِي بنَ مَخْلَد الحافظ قد ذكر هذا الحديث في « مسنده » عن أبي بكر بن شيبة ، حدثنا بن عبد الله نُمير حدثنا داود بن قيس، حدثنا عِياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح، عن أبي سعيد الخُدري ، قال : كان رسول الله ﷺ يخرُج يَوْمَ العِيد مِنْ يَومِ الفِطر ، فيُصلي بالناس تَيْنِكَ الركعتين ، ثم يُسلم ، فيستقبل الناس ، فيقول : « تَصَدَّقُوا » . وكان أكثرُ من يتصدق النساء وذكر الحديثَ .

---

(١) أخرجه البخاري ٢ /٣٧٤ من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) أخرجه البخاري ٢ /٣٧٧ ، ومسلم (٨٨٥) .

(٣) (٨٨٩) في أول صلاة العيدين .

(٤) إسناده صحيح .

ثم قال : حدثنا أبو بكر بن خلاَّد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا داود ، عن عِياض ، عن أبي سعيد : كان النبيُّ ﷺ يخرُج في يوم الفطر ، فيُصلي بالناس ، فيبدأ بالركعتين ، ثم يستقبلُهم وهم جلوس ، فيقول : « تَصَدَّقُوا » فذكر مثله وهذا إسنادُ ابن ماجه إلا أنه رواه عن أَبي كُريب ، عن أبي أسامة ، عن داود[1] . ولعله : ثم يقوم على رجليه ، كما قال جابر : قام متوكئاً على بلال ، فتصحَّف على الكاتب : براحلته . والله أعلم .

فإن قيل : فقد أخرجا في « الصحيحين » عن ابن عباس ، قال : شهِدتُ صلاةَ الفِطر مع نبي الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمانَ رضي الله عنهم ، فكلُّهم يُصَلِّيها قبل الخطبة ، ثم يخطُب : قال : فنزل نبي الله ﷺ ، كأني أنظر إليه حين يُجَلِّسُ الرِّجالَ بيده ، ثم أقبل يشقُّهم حتى جاء إلى النساء ومعه بلال ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جَاءكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ علىٰ أَنْ لا يُشْرِكْنَ بالله شيئاً ﴾ (الممتحنة : ١٢) . فتلا الآية حتى فرغ منها ، الحديث[2] .

وفي « الصحيحين » أيضاً ، عن جابر ، أن النبي ﷺ قام ، فبدأ بالصلاة ، ثم خطب النَّاس بَعْدُ ، فلما فرغ نبيُّ الله ﷺ ، نزل فأتى النساء فذكَّرهن ، الحديث .[3] وهو يدل على أنه كان يخطب على منبر ، أو على راحلته ، ولعله كان قد بُني له منبر من لَبِن أو طين أو نحوه ؟

قيل : لا ريب في صحة هٰذين الحديثين ، ولا ريب أن المِنبر لم يكن يُخْرَج من المسجد ، وأول من أخرجه مروانُ بن الحكم ، فأُنكِرَ عليه ، وأما منبر اللَّبن والطين ، فأول من بناه كثيرُ بن الصلت في إمارة مروان على المدينة ، كما هو في « الصحيحين »[4] فلعله

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٢٨٨) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الخطبة في العيدين وإسناده صحيح ، وهو في « المسند » ٣ /٣٦ و ٤٢ و ٥٤ و « المصنف » (٥٦٣٤) وسنن البيهقي ٣ /٢٩٧ .

(٢) رواه البخاري ٢ /٣٨٨ ، ٣٨٩ في العيدين : باب موعظة الإمام النساء يوم العيد ، ومسلم (٨٨٤) في العيدين : باب صلاة العيدين ، ورواه أيضاً أبو داود (١١٤٣) و (١١٤٤) في الصلاة : باب الخطبة يوم العيد ، والنسائي ٣ /١٨٤ في العيدين : باب الخطبة في العيدين بعد الصلاة ، وابن ماجه (١٢٧٣) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في صلاة العيدين من حديث ابن عباس رضى الله عنه .

(٣) رواه البخاري ٢ /٣٨٨ ، ومسلم (٨٨٥) وأبو داود (١١٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

(٤) رواه البخاري ٢ /٣٧٤ في العيدين : باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، ومسلم (٨٨٩) في العيدين : باب صلاة العيدين . ورواه أيضاً أبو داود (١١٤٠) في الصلاة : باب الخطبة يوم العيد ، وابن ماجه (١٢٧٥) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في صلاة العيدين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وكثير بن الصلت بن معدي كرب الكندي كان كاتباً لعبد الملك ابن مروان على الرسائل .

= عنه إلا يجتمع له من يصلي به الجمعة ، وقيل : في وجوبها على الإمام روايتان ، وممن قال بسقوطها الشعبي والنخعي والأوزاعي ، وقيل : هذا مذهب عمر وعثمان وعلي وسعيد وابن عمر وابن عباس وابن الزبير ، وقال أكثر الفقهاء : تجب الجمعة .

ﷺ كَانَ يقوم في المصَّلى على مكان مرتفع ، أو دُكان وهي التي تسمى مِصْطَبة ، ثم ينحدر منه إلى النساء ، فيقِف عليهن ، فيخطبهُن ، فيعِظهن ، ويذكِّرُهن . والله أعلم .

وكان يفتتح خُطَبه كلَّها بالحمد لله ، ولم يُحفظ عنه في حديث واحد ، أنه كان يفتتح خطبتي العيدين بالتكبير ، وإنما روى ابن ماجه في « سننه » عن سعد القرظ مؤذِّن النبي ﷺ أنَّه كان يُكثر التكبير بَيْنَ أضعافِ الخطبة ، ويكثر التكبير في خطبتي العيدين[1] . وهذا لا يدل على أنه كان يفتتحها به . وقد اختلف الناسُ في افتتاح خُطبة العيدين والاستسقاء ، فقيل : يُفتتحان بالتكبير ، وقيل تفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار ، وقيل : يُفتتحان بالحمد . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهو الصواب ، لأن النبي ﷺ قال : « كلُّ أَمْرٍ ذي بالٍ لا يُبْدَأُ فيهِ بِحَمْدِ الله ، فَهُوَ أَجْذَمُ »[2] .

وكان يفتتح خطَبه كلَّها بالحمد لله .

ورخص ﷺ لمن شهد العيد ، أن يجلس للخطبة ، وأن يذهب ، ورخَّص لهم إذا وقع العيدُ يومَ الجمعة ، أن يجتزئوا بصلاة العيد عن حضور الجمعة[3] .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٢٨٧) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الخطبة في العيدين ، وفي سنده عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد المؤذن وهو ضعيف ، وسعد بن عمار مجهول .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١٨٩٧) ، وابو داود (٤٨٤٠) في الأدب : باب الهدي في الكلام ، وابن ماجه (١٨٩٤) في النكاح : باب خطبة النكاح ، وابن حبان في « صحيحه » ٢ /١٣٥ تحقيق أحمد شاكر رحمه الله ، وفي إسناده قرة بن عبد الرحمن المعافري قال أحمد : منكر الحديث جداً ، وعن ابن معين : إنه ضعيف ، وقال أبو داود بعد أن أخرجه من حديث قرة سنداً : رواه يونس وعقيل وشعيب بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً ، ومع ذلك فقد حسنه ابن الصلاح والنووي .

(٣) روى أبو داود (١٠٧٣) في الصلاة : باب إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد ، وابن ماجه (١٣١١) في إقامة الصلاة : باب ما جاء فيما إذا اجتمع العيدان في يوم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « قد اجتمع في يومكم هذا عيدان ، فمن شاء ، أجزأه من الجمعة وإنا مُجمِّعُون » وسنده حسن ، وصححه البوصيري في الزوائد ، وفي الباب عن زيد بن أرقم عند أحمد ٤ /٣٧٢ ، وأبي داود (١٠٧٠) ، والنسائي ٣ /١٩٤ ، وابن ماجه (١٣١٠) وفي سنده إياس بن أبي رملة الشامي لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، وعن ابن عمر عند ابن ماجه (١٣١٢) وسنده ضعيف . وقال ابن قدامة المقدسي في « المغني » ٢ /٣٥٨ : وإن اتفق عيد في يوم جمعة ، سقط حضور الجمعة عمن صلى العيد إلا الإمام ، فإنها لا تسقط عنه إلا ألا يجتمع له من يصلي به الجمعة ، وقيل : في وجوبها على الإمام روايتان ، وممن قال بسقوطها الشعبي والنخعي والأوزعي ، وقيل : هذا مذهب عمر وعثمان وعلي وسعيد ابن عمرو وابن عباس وابن الزبير ، وقال أكثر الفقهاء : تجب الجمعة .

الشيخ الإمام داعية الإسلام

محمد متولي الشعراوي

خطب الجمعة والعيدين

جمع وإعداد

عبد القادر أحمد عطا

وكان ﷺ يُخالف الطريقَ يوم العيد ، فيذهب في طريق ، ويرجعُ فى آخر ،[1] فقيل : ليسلِّمَ على أهل الطريقين ، وقيل : لينال بركتَه الفريقان ، وقيل : ليقضيَ حاجة من له حاجة منهما ، وقيل : ليظهر شعائِرَ الإسلام في سائر الفِجاج والطرق ، وقيل : ليغيظ المنافقين برؤيتهم عِزَّة الإسلام وأهله ، وقيام شعائره ، وقيل : لتكثر شهادة البِقاع ، فإن الذاهب إلى المسجد والمصلَّى إحدى خطوتيه ترفعُ درجة ، والأخرى تحطُّ خطيئة حتى يرجع إلى منزله ، وقيل وهو الأصح : إنه لذلك كُلِّه ، ولغيره من الحِكَم التي لا يخلو فعلُه عنها .

وروي عنه ، أنه كان يُكبِّر من صلاة الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق : الله أَكْبرُ ، الله أَكْبرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، والله أَكْبَرُ ، الله أَكْبَرُ ، ولله الحَمْدُ[2] .

---

(١) رواه البخاري ٣٩٢/٢ في العيدين : باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد من حديث جابر بن عبد الله ولفظه : كان النبى ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق ، ورواه الترمذي ٥٤١ وابن ماجه (١٣٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه أبو داود (١١٥٦) وابن ماجه أيضاً (١٢٩٩) من حديث ابن عمر ، ورواه ابن ماجه (١٣٠٠) من حديث أبي رافع .

(٢) روى ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أب الأسود قال : كان عبد الله بن مسعود يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر يقول : « الله أكبر ، الله أكبر . لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد » ورجاله ثقات ، وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن حسين بن على عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن علي أنه كان يكبر بعد صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق . وإسناده صحيح : وقال الحاكم في « المستدرك » ٢٩٩/١ : فأما من فعل عمر وعلى وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ، فصحيح عنهم التكبير من غداة عرفة إلى آخر أيام التشريق ، وأخرج الدارقطني فى سننه ص ١٨٢ عن ابن عمر ، وأبي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان بأسانيد عدة أنهم كانوا يكبرون بعد الظهر من يوم النحر إلى الظهر من آخر أيام التشريق .

حسبك الله أيها المؤمن

الحمد لله الرءوف الرحيم الودود ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى وصفه الله تعالى بأنه حريص على المؤمنين ، رءوف رحيم بهم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن سار على هداه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه .

أما بعد .. فيا إخوة الإيمان :

قال سيدنا جعفر الصادق رضى الله عنه : عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله تعالى : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . فإنى سمعت الله يعقبها بقوله :

﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لم يَمْسَسْهُمْ سوءٌ واتَّبعوا رِضْوانَ اللهِ واللهُ ذو فضلٍ عَظيمٍ ﴾.

انظر إلى شدة صفائية استقبال سيدنا جعفر الصادق لكلمات الله ... إنه نظر فى آيتين من القرآن ليستنبط منهما الأمان والاطمئنان ، وكأنه أثناء القراءة للقرآن الكريم يسمع متكلما يقول :

﴿ الذين قَالَ لَهُمْ النَّاس إنَّ الناسَ قد جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزادَهُمْ إيماناً وقَالُوا حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكِيلُ . فَانْقلَبُوا بنعمةٍ من الله وفَضْلٍ لم يَمْسَسْهُمْ سوءٌ واتَّبَعوا رضوانَ الله والله ذو فَضْلٍ عظيمٍ ﴾[1] .

إن المؤمنين الذين قيل لهم : إن أعداءكم قد جمعوا لكم جيشاً كثيفاً ، فخافوهم ،

---

(١) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤

هؤلاء المؤمنون لم يصابوا بالضعف والوهن ، بل قالوا : إن الله هو حسبنا ، وإليه نفوض الأمر كله ، فثبت المؤمنون بالشجاعة المؤمنة ، وفازوا ، فصاروا أهلا لفضل الله عليهم .

لقد أعطانا جعفر الصادق علاجاً قرآنياً لمن يصيبه الخوف .. العلاج هو أن يقول المؤمن : ﴿ **حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيلُ** ﴾ . فينقلب حال المؤمن من الخوف إلى العزيمة الصادقة حين يواجه كل ما يخفيه ، لأن كل ما يخيف الإنسان هو دون قوة الله . وما دام كل ما يخيف الإنسان هو دون قوة الله ، فإن الإنسان إذا قال : ﴿ **حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيلُ** ﴾ فإن الخوف ينقلب شجاعة ومواجهة وفوزاً .

ويضيف سيدنا جعفر الصادق قائلا :

وعجبت لمن أغتم ولم يفزع إلى قوله سبحانه :

﴿ **لا إله إلا أنتَ سبُحانكَ إنّى كنتُ من الظَّالمينَ** ﴾ .

فإنى سمعت الله يعقبها بقوله :

﴿ **فاسْتَجَبْنَا له ونَجَّيْنَاهُ من الغَمِّ وكَذلِكَ نُنْجِى المؤمِنينَ** ﴾ .

هكذا يتأمل جعفر الصادق ويستنبط من قصة نبى الله يونس ، صاحب الحوت ، فى قوله تعالى :

﴿ **وذَا النُّون إذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فظنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عليهِ فنادَى فى الظُّلماتِ أن لا إلهَ إلاَّ أنتَ سُبْحانكَ إنّى كنتُ من الظَّالمين . فاسْتَجَبْنَا له ونَجَّيْناهُ من الغَمِّ وكذلكَ نُنْجى المؤمنين** ﴾[1] .

لقد هجر يونس قومه بعد ان غضب عليهم ، ظناً منه أن الله أباح له أن يهجرهم ، فابتلعه الحوت ، وعاش فى الظلمات ، فنادى الله متضرعاً وداعياً ومعترفاً بأنه كان ظالماً لنفسه بعمل لم يرض عنه الله تعالى ، فاستجاب الله لدعائه ، ونجاه من الغم الذى كان فيه . وضرب الله به المثل للغارق فى بطن الغم ، فإن الله ينجى ، إذا اعترف بخطئه ، ودعا الله مخلصاً .

إن الغم كآبة فى النفس من أمر قد لا يعرف الإنسان مصدره ، هو إحساس بظلمة الحياة ، ويكاد يكون الغم والكآبة هما الشغل الشاغل لعلماء النفس فى العصر الحديث ،

---

(١) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨

وهم يشخصون مرض الغم والكآبة بقولهم : إنه يصيب الإنسان عندما يعانى من عدم الانتماء .

فما بالنا لو رجعنا بالانتماء إلى خالقنا ، وأن نعلم أن الله تعالى يقول لمن يلجأ إليه وهو غارق فى الغم :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا له ونَجَّيناه من الغمِّ وكذلكَ نُنْجِى المؤمنينَ ﴾.

إن معية الله حصن حصين ، لا يجترىء أقوى الأعداء على اقتحامها ، ولا هزيمة صاحبها ، ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة حين اختبأ فى غار ثور أثناء الهجرة ، إذ قال له أبو بكر الصديق صاحبه فى رحلة الهجرة ، قال أبو بكر وهو يقرر الواقع حين أدركهما طلب قريش : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا . ولكن الرسول ﷺ قال لصاحبه : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

وهكذا يفلح من لجأ إلى الله ، ووضح الحق للمسلمين فى وجوب العمل بالقرآن ، حتى لا تفسد الدنيا بغرور النفس والهوى .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار بهداه .

أما بعد .. فمن تمام وصية سيدنا جعفر الصادق أنه قال :

وعجبت لمن مُكر به ـــ أى اجتمع عليه بعض الناس ليكيدوا له بالسوء ـــ ولم يفزع إلى قوله تعالى :

﴿ وأُفَوِّضُ أمرى الى الله إنَّ الله بصيرٌ بِالعبادِ ﴾ .

فانى سمعت الله يعقبها بقوله :

﴿ فوقَاهُ الله سيِّئاتِ ما مَكَرُوا ﴾[1] .

فالإنسان الصادق حينما ينطق بهذا التفويض إلى الله تعالى ، معتمداً عليه وحده ، فإن الله يحميه من كل شر يدبره له الماكرون ، كما حمى مؤمن آل فرعون تماماً .

---

(١) غافر : ٤٤ ، ٤٥

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، اللهم يسر أمورنا ، ورضنا بقضائك ، واجعلنا موصولين بك يارب العالمين ، ووفق ولاة أمورنا إلى ما تحب وترضى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين .

وأقم الصلاة .

النفاق والمنافقون

الحمد لله ذى العرش المجيد ، الفعال لما يريد ، والصلاة والسلام على سيد البشر ، سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وتابعيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سار على هداه أجمعين ... أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

هناك نفوس تريد أن تقوى على سواها ، ونفوس أخرى ترى أنها قبل أن تقوى على سواها لابد أن تقوى على نفسها ، ونفوس أخرى لا تقوى على نفسها ، ولا تقوى على ما سواها .

فالمؤمن قوى على نفسه ، فألزمها بمنهج الله ، وقوى على غيره ، فواجه شراسة الباطل والمبطلين ، فالمؤمن إذن تجتمع له قوتان ، وأما الكافر فتجتمع له قوة واحدة ، فهو لم يقو على نفسه ليحملها على قبول منهج الله ، وإن قوى على مواجهة دعوة الحق وحرب أهلها .

وهناك صنف آخر لا يقوى على نفسه ليحملها على دعوة الحق ، ولا على دعوة الحق ليهاجمها ، فهو معزول عن القوتين ، وهذا الصنف هم المنافقون .

المنافق لم يقو على نفسه ، ولذلك لم يستطع أن يقبل دعوة الحق ، لأن نفسه شرسة ، راضها الباطل رياضة عنيفة ، فلم يقو على أن يكبح جماح نفسه عن الباطل ، وياليته كان قوياً مع دعاة الحق ليواجههم ، بل خاف منهم ، وأشفق منهم ، فأعلن الإيمان بالحق ظاهراً ، لأنه لا قوة له على مواجهة هذا الحق ولا أهله ، ولا قوة له على مقاومة نفسه ، والقدرة عليها لتؤمن بهذا الحق .

وهذا النوع أخطر من الكافرين ، لأن الكافرين عاندوا بصراحة ووضوح ، ووقفوا أمام

قوة الحق وقوفاً ظاهراً غير مستور . ولكن المنافق ينافق الحق ، ويدعي أنه معه ، ليستنيم أهل الحق إلى أن قوتهم قد زادت . فكأنه حارب الحق بوجهين ، الأول : أنه جعل الحق يعتبره سيفاً معه ، والثانى : أنه سل سيفاً ضد الحق ، لأنه لا يؤمن به .

فقوة النفاق وشراستها وعملها فى الظلام أخطر على الإسلام وعلى المجتمع من قوة الكفر ، ولهذا نجد الحق سبحانه وتعالى عالج قضية المؤمنين بثلاث آيات من سورة البقرة ، وعالج قضية الكافرين بآيتين ، وعالج قضية المنافقين بثلاث عشرة آية ، لأن مظاهر هذا النفاق متعددة ، ولأنه فى ذاته حقيقة ملونة ، فلا هى قوية شجاعة بمعارضة الحق ، ولا هى قوة راضت نفسها على أن تؤمن بالحق .

وقد نبه القرآن إلى خطورة النفاق على المجتمع حين عالج قضيته ، فالقرآن لا يذكر لنا من هم الذين يشعلون نار النفاق فى صدور المنافقين ولكنه يقول لنا :

﴿ وإذا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ ﴾[1] .

وكلمة الشيطان توحى بالعدو الخفى ، ولكنه يهيج الشر ، وما كان شياطينهم فى المدينة إلا اليهود .

وكذلك يقول الله تعالى

﴿ إذا جاءكَ المنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إنَّك لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إنَّك لَرسُولُه والله يَشْهَدُ إن المنافِقِينَ لَكاذبونَ ﴾[1] .

هم كاذبون فى قولهم : ﴿ **نشهد** ﴾ لأن الشهادة لابد أن يتفق فيها القلب مع اللسان ، وشهادتهم هذه لا تتفق فيها قلوبهم مع ألسنتهم ، بل هى بألسنتهم فقط ، وهكذا المنافقون فى كل نشاطاتهم وحركتهم فى الحياة . وصدق رسول الله ﷺ حين قال : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) . فاتقوا الله ، واتقوا النفاق وأهله فى كل مكان ، غفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

(١) البقرة : ١٤ ، ١

(١) المنافقون : ١

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ومن سار بهديه أجمعين .

أما بعد ...

فإن رسول الإسلام ، الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم ، رغم ما ناله من أذى النفاق والمنافقين أراد أن يذهب للصلاة على عبد الله بن أبى بن سلول رأس النفاق فى المدينة ، ويحاول عمر بن الخطاب منعه صلى الله عليه وسلم ، فيقول له : ولكن الله خيرنى وقال : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم**﴾[1] . والله لو علمت أنى إن استغفرت لهم أكثر من السبعين مرة يغفر الله لهم لفعلت .. ولكن حكم الله تعالى جاء فقال :

﴿ **ولا تُصَلِّ على أَحدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبداً ولا تَقُمْ على قَبْرِهِ**﴾[2] .

وهو حكم قاطع بوجوب اعتبار المنافق منبوذا محروماً من أى رحمة ينبض بها الإسلام . فاتقوا الله فى حدوده يرحمكم الله .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار . اللهم هيىء لنا من أمرنا رشدا ، وارفع مقتك وغضبك عنا ، ووفق ولاة الأمر إلى ما تحب وترضى . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين .

---

(١) التوبة : ٨٠

(١) التوبة : ٨٤

علموا نساءكم يا أهل الغيرة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، والصلاة والسلام على نبى الله ورسوله سيدنا محمد ، صلاة دائمة بدوام ملك الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار بهداه أجمعين .

أما بعد ...

فيا إخوة الإيمان :

لقد عرض الله تعالى فى كتابه المجيد قصة امرأة فرعون عرضاً يدل على أصالة المرأة فى مجال العقيدة ، وأنها ليست تابعة فى عقيدتها لأحد ، حتى ولو كان هذا الأحد هو فرعون ، صاحب ملك مصر ، والأنهار التى تجرى من تحته ، والذى ادعى الألوهية ، وخضعت له الرقاب .

بل إنها تأبت عليه كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وضَرَبَ الله مَثلاً للذينَ آمنُوا امرأةَ فِرْعَوْنَ إذْ قالَتْ رَبِّ ابنِ لى عِنْدَكَ بَيْتاً فى الجَنَّةِ ونَجِّنِى من فِرعونَ وعَملِهِ ونَجِّنِى من القَوْمِ الظَّالمينَ﴾[1] .

هنا عزفت هذه الزوجة عن الدنيا ، وعن جاه الألوهية الكاذبة ، ونعيمها الملفق ، وآثرت شيئاً آخر لا يزال غيباً مؤجلا إلى وقت بعيد ، هو الجنة ... فلو أن هذه الجنة كانت محسوسة فى الدنيا لكان أمراً معقولاً ، ولكنها أمر غيبى ... وهذا الأمر الغيبى ضمانة الوحيد أنه خبر عن الله تعالى الذى نثق فى صدقه .

---

(١) التحريم : ١١

هذا العرض فيه جواب لكم عن كل التساؤلات التى تتصل بالحياة المعاصرة لكى تنقلوه إلى نسائكم وبناتكم .

فزخرف الحياة المرئى ، وزينتها المسيطرة ، وتبرجها الشائع ، يجب أن يقارن عند المرأة العاقلة بما أعد لفاعل ذلك من عذاب ، وبما أعد للصادق من ثواب ، وإلا لكان المؤثر للماديات المشهودة على الوعد الغيبى والوعيد الغيبى ، غير مؤمن بالله الذى وعد وأوعد .

إن المكلف لا ينصرف عن تنفيذ أمر الله إلا لعدم استحضاره للجزاء على الطاعة ، والجزاء على المعصية ، فلو أن المرأة استحضرت عقوبة الله على مخالفة منهجه استحضارا غير مشكوك فيه ، لرفضت كل مخالفة لمنهج الله .

ولكن الغفلة عن الجزاء هى السبب فى انصراف الناس عن الأمر والنهى ، وحسب الإنسان أن يعلم أن فرعون بدعواه الألوهية ، واستخفافه بقومه ، لم يستطع أن يجعل امرأته تتبعه .

ومن هنا كان على فتياتكم المقبلات على الحياة أن تنظر كل منهن إلى أحوال السيدات اللاتى أدبرت عنهن الحياة ، وتنظر فى حياة هؤلاء ، أهنَّ سائرات على ما كن فيه عندما كان الشباب مقبلا عليهن ، أم تنازلن ؟ وهذا التنازل نحو ما يقرب من المثل العليا ، أم نحو ما يبعد عنها ؟ .

والذى لا شك فيه أنهن يصرن إلى شىء آخر تماما ، من محاولة إحياء القيم ، والتمسك بالحشمة ، ومحاولة الاستغفار من كل ما حدث فى سابق الزمان . كل هذا يجب أن يستحضره فتياتنا ، وبدلا من أن يؤجلن اليقظة الإيمانية إلى ميعاد الشيخوخة ، يجب أن يعلمن أنهن لا يملكن آجالهن ، إلى أن يدركن عهد التوبة والاستغفار والتطهر .

أيها المؤمنون :

إن الشيطان يخدع كثيراً من الفتيات بأن التبرج وإظهار المفاتن أمور تتطلبها عادة التحضر والارتقاء ، ولا تعنى الانحلال الخلقى ، ولا التفسخ الإيمانى ، فقد تكون من هذه حالها على موفور من الالتزام الدينى ولكنا نقول لها :

إننا لا نتهم الفتاة فى تبرجها ، وسنصدق أن ذلك لا يعنى إلا شكلية حضارية ، وعلى الرغم من بطلان هذا الكلام نقول لها : ما أثر منظرها فى إهاجة غرائز سواها ، واستلفات أنظار من يراها ، هل تضمن أن الذى يراها لا يتأثر بما يرى ، ولا يهيجه ما يشهد ؟ فإن

لم يكن لاحتشام الفتيات سوى إغلاق باب الشر لكان كافياً . وإن لم يكن إلا لأن الرسول ﷺ قال : « أيما امرأة استعطرت فخرجت فهى زانية » .

فاتقوا الله وعلموا بناتكم ونساءكم هذا الدرس النافع ، غفر الله لى ولكم ولكل المسلمين أجمعين .

* * *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأولاده وأصحابه وتابعيه أجمعين .

أما بعد ... فأوصيكم إخوانى ونفسى بتقوى الله فى السر والعلانية ، واعلموا أن الرجولة الحقة فى الزوج أن يحب أن تكون زوجته مقصورة عليه ، له وحده فقط ، ومن لايحب ذلك فى امرأته فإن له هدفا فى أن يرى نساء سواه ، وإباحته التبرج لامرأته هو جواز المرور إلى ذلك المجتمع الموبوء .

اللهم احفظنا جميعاً من شرور أنفسنا ، ومن شرور هذا الزمان ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا .

اللهم وفق ولاة أمورنا إلى ما تحب وترضى ، ووفقنا جميعاً إلى مرضاتك يا رب العالمين ، وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

كن عظيما أيها الإنسان

الحمد لله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، وكرمه وفضله ، وأسجد له ملائكته ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وأكمل الله به الدين ، وجعله رحمة للعالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً جباراً ، وملكاً قادراً قهاراً ، وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، عبده المصطفى ، ورسوله المرتجى .

أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

خلق الله الإنسان وسط الوجود المحيط به بمثابة السيد ، فالكل فى خدمته ، وهو لا يخدم أحداً . الكل مسخر له ، وهو غير مسخر لأحد ، وإن كان فى ظاهر الأمر يخدم بعض المخلوقات ، فهى خدمة ظاهرية تعود فى الحقيقة إليه ، مثل رعايته للأرض والحيوان .

كل شىء ينتهى إلى خدمة الإنسان ، إما بالمباشرة ، وإما بالواسطة . الجمادات تعطى النبات والحيوان والإنسان ، والنبات لا يعطى الجماد ، بل يعطى فقط للحيوان والإنسان ، والحيوان يعطى الإنسان .

الإنسان يأخذ خدمات من الجماد والنبات والحيوان مباشرة ، ويأخذ من كل هذا بالواسطة فإن أخذ النبات من الجماد شيئاً فإنه يعود فى النهاية إلى الإنسان . وهكذا الحال مع الحيوان حين يأخذ من النبات .

والوجود على هذه الصورة ينقسم إلى سيد ومسود ، خادم ومخدوم : والإنسان لا يستطيع أن يصنع هذه الأشياء لتخدمه ، لأن فيها أموراً كثيرة لا تدخل تحت طاقاته ، ولا قبل له بها وهى تؤدى له خدمات قبل أن يوجد له عقل يفكر ، وطاقة تفعل .

لابد إذن أن يبحث الإنسان عن قوة أكبر منه ، ومن المسودات التى هى جميعاً مسخرة له ، فيبحث عن سيد له هو الآخر . وإن لم يفعل ذلك أصبح تافهاً ، لأن المخلوقات جميعها لها مهمة ما عداه . كل هذا التسخير يجب أن يدفع الإنسان للبحث بعقله عن المهيمن على الكون ، وهذا البحث هو بداية الاستدلال ، وإذا ما جاء للإنسان خلال رحلة البحث رجل شق عليه صمته ليخبره عما يبحث عنه ، فيجب عليه أن يرهف له السمع .

وأقل قواعد الأدب أن الإنسان ، ذلك الصنعة ، لا يحدد مهمة نفسية لأن الصنعة لا تحدد مهمة نفسها ، ولا يحدد أحد مهمتها إلا صانعها .

هنا يقع أول غلط للإنسان بأن يحدد مهمة نفسه . وإذا فسدت الصنعة لا يصح القول بأن الصنعة تصلح نفسها بنفسها . بل يجب إعطاؤها لصانعها ليصلحها ... ففساد الكون إذن جاء من تحديد الإنسان مهمته بنفسه ، وقيامه بإصلاح نفسه بنفسه حين تعطب ، بينما الصواب أن يقوم صانع الصنعة سبحانه وتعالى بهاتين المهمتين .

الإنسان إذن من خلق الله ، سواء آمن به أو لم يؤمن ، وقد سخر الله الكون لخدمة الإنسان ، لكى يجعل الإنسان من نفسه خادماً لله . مسوداً له ، سائراً تحت منهجه ... عابداً له كما قال تعالى :

﴿ يا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدوا ربَّكُم الذِى خَلَقَكُمْ والذينَ من قَبْلِكُمْ لعلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الذى جعلَ لَكُمْ الأرضَ فِراشاً والسَّمَاءَ بِناءً وأنزلَ من السَّماءِ ماءً فأخرجَ به من الثَّمراتِ رزقاً لَكُمْ فلا تَجْعَلُوا لله أنْداداً وأنتمْ تعلمونَ﴾[1] .

وقد أخرج البخارى عن زيد بن خالد الجهنى قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة (أى مطر) فلما انصرف أقبل على الناس فقال لهم : أتدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : يقول ربكم : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ... فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذاك كافر بى مؤمن بالكواكب » .

فاتقوا الله ، واعرفوا طريقكم واعرفوا سيدكم الذى كرمكم بسيادته عليكم ، ولا تكونوا عبيداً لما جعله الله لكم خادماً مسخراً . غفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

(١) البقرة : ٢١ ، ٢٢

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الكريم . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيه أجمعين .

أما بعد :

فأوصيكم إخوانى ونفسى بتقوى الله.فاتقوه ، واعبدوه ، ولا تعبدوا ما جعله لكم خادماً وجعلكم له سيداً ، وإلا فقد عكستم الآية .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع قريب الدعوات يا رب العالمين . اللهم وفق ولاة أمورنا إلى ما تحب وترضى ، وانصر الإسلام والمسلمين ، وأعل كلمتك ، إنك سميع قريب مجيب . وأقم الصلاة .

* * *

احذروا فتنة الظلم

الحمد لله أهل التقوى وأهل المغفرة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أهل الرأفة والرحمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن عمل بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

إن الظالم من الناس عادة يكون إنسانا قاسى القلب ، ليس فى قلبه ذرة من الخشية لله تعالى ، ولا أثارة من خوفه ، بل يكون فى معظم الأحيان كافرا لا يؤمن بالله ، وفى بعضها بعيداً كل البعد عن الله وإن انتسب إلى الإسلام بالاسم .

وأما المظلوم فهو فى العادة رجل طيب القلب ، قد امتلأ قلبه بالرحمة والإيمان ، لايريد أن يلجأ إلى الشر فى مواجهة الشر الذى يلقاه من الناس ، لأنه يخشى عقاب الله ، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى أعفاه من هذه المهمة التى لا يصلح لها ، بحكم الرحمة التى امتلأ بها قلبه ، تلك الرحمة التى لا تجعله أهلاً لتأديب الظالم تأديباً قاسياً فى قوة وبأس ، بحيث يرتدع عن الظلم ، ويكون عبرة لكل من ينحرف عن طريق الله .

المؤمن صاحب الرحمة ، الذى امتلأ قلبه بالإيمان قد لا يصلح لمهمة ردع الظلمة والمجرمين بكل مايحتاج إليه الردع من قسوة وشدة لتأديب الظلم والظالمين .

ولما أراد الله تعالى أن يهلك الظالمين لم يسلط عليهم الرسل الذين أرسلهم إليهم ، ولم يسلح هؤلاء الرسل بالقدرة على الانتقام ، بل ترك الانتقام لقوى أرسلها هو سبحانه وتعالى ، فأغرق الماء قوم نوح ، ودمرت الملائكة قوم لوط ، وأغرق البحر فرعون ، وأهلكت

الريح قوم هود ، وهكذا مما ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم من تأديب السماء للعصاة الذين كفروا بالله ، وحاربوا دينه على وجه الأرض ، وجاهروا بعصيانه بين الناس .

ثم جاء خاتم الرسل محمد ﷺ ، بالقرآن الكريم ، الذى هو منهج الحياة ، ليرسم للناس الطريق إلى حياة آمنة مطمئنة . ولم يكن معنى هذا أن الله سبحانه يعلم أنه بختام الرسالات سيعم الإيمان ، ويختفى الظلم ، أو أنه سبحانه قد ترك ملكه يظلم فيه من يظلم فلا يجد من يردعه ، ولكن الله سبحانه قائم على كونه ، وآياته لا تنتهى أبداً . ومن هنا فهو يسلط على الظالم من هو أظلم منه ، ليذيقه من نفس الكأس ، ويجرعه قسوة الظلم الذى أذاقه للناس ، وربما جرعه ما هو أقسى من ذلك .

أيها المؤمنون :

إن الله تعالى يرسل الآيات على الناس ليتدبروا . فيجعل السلاح الذى اشتراه الظالم ليذيق الناس به العذاب يوجه إلى صدر هذا الظالم ، ويجعل مصرع الظالم على أيدى جلاديه الذين أراد أن يذيق بهم الناس العذاب . أو يعطى الظالم من النعم ما يقصر دونه الوصف ، ثم يجعله محروماً من التمتع بها ، عاجزاً عن أن ينال شيئاً منها ، يجعله فى قصره ، بين خدمه وحشمه عاجزاً عن أن يتمتع بما يتمتع به رجل يلبس جلباباً ممزقاً ، ويضحك ملء شدقيه ، ويعيش راضيا حامداً لله نعمته .

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى يسلط الظالمين بعضهم على بعض ، لينتقم بعضهم من بعض ، يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّى بعضَ الظَّالمينَ بَعْضاً بما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١) .

وذلك ليسلبهم الأمن والطمأنينة ، ويجعل ما حسبوه نعمة ، نقمة عليهم .

أيها المؤمن :

إن كنت مظلوماً فاحذر أن تظلم لتنتقم من ظالمك . بل ارفع يدك إلى السماء وقل : يارب . فدعوتك ليس بينها وبين الله حجاب . ولا تعتقد أن الله تعالى حينما لم يمكنك ممن ظلمك لم يستجب لتلك الدعوة ، وأن أبواب السماء قد أغلقت دونك .

لا ... إن الله سبحانه قد استجاب ، واختار من هو أقدر منك على القصاص ممن

---

(١) الأنعام : ١٢٩

ظلمك ، وتلك حقيقة يجب أن يعيها المؤمنون ، لأنهم فى كثير من الأحيان يتساءلون : لماذا لم ينتقم الله من الظالمين ؟ ولماذا لم يمكنا من أولئك الذين ظلمونا ؟

نقول لهم : إن الله سيمكن من هو أقدر منكم على أن يقوم بهذه المهمة ، وسيمكنه بشيء يذهلكم ، وبطريقة لم تكونوا تحسبون أنها تحدث أبداً مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾[1] .

فاتقوا الله ، واحذروا الظلم وإن ظلمكم الناس ، فالرسول ﷺ يحذرنا من الظلم فيقول : « اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيامة » .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيه أجمعين .. وبعد .

فأوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله فاتقوه ، واتقوا الظلم ، وفوضوا أموركم إلى الله حين يقع عليكم الظلم ولا تستطيعون رده إلا بظلم مثله ، فالله تعالى سوف يسخر من يرد عنكم الظلم ، حتى انك ستشفق على من ظلمك من انتقام الله ممن ظلمك .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم ارفع كلمتك ، وأذل الكفر ودولته ، وكن لنا ولا تكن علينا ، وأفض علينا غيث رحمتك ، وارزقنا رزقاً حلالا طيباً ، وارزقنا من اليقين ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، إنك سميع قريب مجيب ، وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

* * *

---

(١) الحشر : ٢

فرح الكائنات بمولد أحمد

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وبعثه رحمة للعالمين ، وهدى للمسترشدين ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، سيدنا محمد عين الأعيان ، ومعجزة الإنسان ، صلى الله عليه صلاة دائمة عدد كمال الله وكما يليق بكماله ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه واهتدى بهداه .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

لقد تأكدت صلة الرسالة المحمدية بالسماء ، وبأنه لا دخل لأهل الأرض بها ، فهذه الرسالة قد انتشرت بالإقناع بين هذه الأمة ، واستطاعت أن تضيء العالم كله بعد ذلك ، ومصدر الضوء هو الحق ، ورسول النور هو محمد ﷺ .

وإذا تصورنا الوضع قبل مولد محمد ﷺ فهو : أن كل شيء فى الكون يسبح الله بلغته ، وأمة محمد غافلة ، حتى جاءها محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وحين يأذن الله تعالى بميلاد رسول جاء ليعيد للإنسان انسجامه مع الوجود ، فلا بدع إذن فى أن يفرح بمن يعيد إليه الانسجام مع الكون ، وذلك هو الشأن مع محمد ﷺ ، والذى جاء بالمنهج النهائى لهدى الإنسان ، وليسجد الإنسان لله ، ويستعيد الإنسان بالرسالة المحمدية انسجامه مع الكون .

إذن فلا عجب أن يفرح الوجود بميلاد محمد . ولا عجب أن يفرح النبات والحيوان والملائكة والطائفون من الجن ... فإذا جاءنا الحديث عن أن ميلاد رسول الله قد اقترن بأشياء حدثت فى الكون ، فيجب علينا ألا نستبعدها ، لأن خالق الكون قد اختار المبشر النذير ، حامل الهدى ، لانسجام الإنسان مع الكون .

والوجود كله كما نعرفه ليست فيه الحياة التى نعرفها فى أنفسنا ، ولكن للوجود حياة من نوع آخر .

أيها المؤمنون :

إن للكون أسلوبه فى التلقى ، كل ما فى الكون يملك القدرة على الفرح ، ويملك القدرة على الحزن ... وقد عرض لنا الحق هذه القضية عرضا إجماليا ليعرفنا أن الكون كله خاضع لله ، عابد له فقال تعالى :

﴿ وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ . إِنَّه كانَ حليماً غفوراً﴾(١) .

ويدلل الله سبحانه على أن هناك أجناساً من الوجود تشترك مع الإنسان فى التسبيح فيقول تعالى فى شأن داود عليه السلام :

« وسَخَّرْنَا معَ دَاودَ الجِبالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيرَ وكُنَّا فَاعلِينَ﴾(٢) .

ونحن نعرف مع ذلك أن سليمان عليه السلام كان يعرف لغة النمل والريح والطير ، وأن الهدهد قد عرف أن السجود لله وحده فى قصة ملكة سبأ .

فإذا عرضت لنا سيرة محمد ﷺ أن أشياء قد حدثت فى الكون فرحاً بمقدمه ، فذلك أمر لا نستبعده على كون يسبح لله ، ويعرف حق الله ، فكأن الكون كله أقام عرساً عند ميلاد محمد رسول الله .

وهذه الروايات قد انتقلت إلينا عبر من آمنوا برسالة رسول الله ، ولقد تحدثوا عما شاهدوا ، فإن صدقناهم كان بها ، وإن لم نصدق فنحن أحرار فى أن نصدق أو لا نصدق .

قالوا : تشقق إيوان كسرى . وماذا فى ذلك ؟ وقالوا : خمدت نار فارس وماذا فى ذلك أيضاً ؟ أنستبعد على الله أن يجعل مولد رسوله الكريم متوافقاً مع تشقق إيوان رجل لا يعبد الله ؟ أو نستبعد على الله أن يجعل لحظة مولد نبيه الكريم متوافقة مع خمود نار اختارها البعض إلهاً لهم ؟ إن هذا ليس ببعيد على الله أبداً .

---

(١) الاسراء : ٤٤

(١) الأنبياء : ٧٩

ثم هناك الواقعة المؤكدة التى جاء ذكرها فى القرآن وهى واقعة الفيل عام مولد الرسول الكريم ، وكيف أن الله أهلك جيش أبرهة وأفياله بحجارة صغار من سجيل ، رماهم بها طير صغار أبابيل . ولا شك أن بعض من شهد هذه الواقعة كانوا أحياء عند بعثة الرسول الكريم ، وكان بعضهم لم يؤمن ولكنهم لم يكذبوا الواقعة أبداً .

إذن فظواهر الكون التى حدثت فى عام ميلاد الرسول هى ظواهر قابلة للتصديق ، ولأن الإنسان خليفة الله فى الأرض ، فلا جدال فى أن يفرح الكون بمن يأتى ليعيد الانسجام الإنسانى مع الكون . بل إن القرآن الكريم قد أثبت البكاء للسماء والأرض فى قوله تعالى فى قوم فرعون :

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ والأَرْضُ ومَا كَانُوا مُنْظَرِين﴾[1] .

فالعاطفة ليست خاصة بالإنسان وحده ، ولكنها ثابتة للسماء والأرض كذلك . والإمام على رضى الله عنه يقول : « إذا مات ابن آدم بكى عليه موضعان : موضع فى الأرض ، وموضع فى السماء ، أما موضعه فى الأرض فموضع صلاته ، وأما موضعه فى السماء فالموضع الذى كان يصعد إليه عمله الصالح » .

إذن فنحن لا نستبعد وجود معجزات فى الكون لحظة ميلاد رسول الله ﷺ ، لأن الكون استقبل من يعيد الانسجام بين الإنسان والكون .

فاتقوا الله عباد الله ، ولا تشغلوا أنفسكم بإنكار ما قام عليه الدليل من القرآن ، وما صدقه الواقع ، ولم يكذبه أهل الكفر من قبل ، عافانا الله وإياكم من الفساد ، وغفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين .. آمين .

* * *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه صلاة دائمة كما أمر الله ، وكما صلى عليه ربه وملائكته . أما بعد .

---

(١) الدخان : ٢٩

فأوصيكم إخوانى ونفسى بتقوى الله فاتقوه ، واعلموا أن بعض الروايات قد نقلت إلينا أخباراً عن معجزات قد حدثت فى عهد الرسول ﷺ بعد الرسالة كما حدث عند مولده .

فلماذا لا نصدق هذه الروايات ؟

لماذا لا نصدق أن الله أراد مساواة رسوله ببقية الرسل ، بأن أجرى على أيديهم ويديه معجزات تجعل من رآها يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته .

لقد روى البعض أن الماء نبع من بين أصابعه ، وروى البعض أن عدداً من البشر قد شبع بحفنة من طعام من يده ، فإذا اتسع ذهن الإنسان للتصديق ، فله حلاوة التصديق ، وإلا فيكفينا معجزة محمد الكبرى ، وهى القرآن .

اللهم اغفر لنا ولوالدينا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، وارحمنا رحمة لا نشقى بعدها ، واهدنا هدى لا نضل بعده ، ووفقنا إلى ما تحب وترضى ، ويسر أمورنا ، ووفق ولاة أمورنا لخير الإسلام والمسلمين ، إنك سميع قريب مجيب ، وأقم الصلاة .

* * *

لا تضعف أمام الألم

الحمد لله اللطيف بعباده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرحيم بأمته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ــ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خيرته من خلقه وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

إذا ارتبط الإنسان بالعقيدة الإيمانية ، فإنه يرى أن الحياة معبر فقط إلى الدار الآخرة ، وليست محل جزاء ... ومهما أصاب الإنسان فيها من الآلام فإنه لا يأسف ، لأن هذه الدار ليست هى النهاية ، لأن الله تعالى يقول :

﴿ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَة لَهِيَ الحيَوانُ لو كَانُوا يَعْلَمُون﴾[1] .

والإيمان بالله ربا لابد أن يمنعنى من أشياء كثيرة .. يمنعنى من أن أعتقد أننى فى الحياة فرد وحيد ، لأن قوانيننا الوضعية تقول : إن الذى يكون له أب لا يحمل هماً للحياة ولا للعيش ، لا يهمه أن تغلو الحياة أو ترخص ، لأن له أبا ، فإذا كان من له أب لا ينشغل بهم الحياة ، فما بالك بمن له رب ؟

أيها المؤمنون :

إن الله سبحانه وتعالى يمحص أعمال المسلمين المخلصين ويطهرها فى الدنيا مما لحق بها من الآفات ، فالعبد قد يعمل السيئة ، وقد يغفل عن ذكر ربه ، وقد يتكبر على غيره ، أو يحقد عليه ، فإذا أراد الله أن يلطف بعبده حاسبه أولا بأول ، حساباً عاجلا فى الدنيا .

---

(١) العنكبوت : ٦٩

والله سبحانه وتعالى لا يجمع على عبده بين أمنين ، ولا بين خوفين ، فمن أمنه فى الدنيا أخافه فى الآخرة ، ومن أخافه فى الدنيا أمنه فى الآخرة . إذن فالواجب على المؤمن أن يستقبل الممحصات التى تأتى من الله ، والكوارث التى تقع له ، والنكبات التى تهب عليه فى ماله أو فى ولده أو فى نفسه على أنها ممحصات مطهرات . والله تعالى لا يمحص ولا يطهر إلا من يحب .

قال تعالى فى الحديث القدسى :

« وعزتى وجلالى ، لا أخرج عبدى من الدنيا وقد أردت به الخير ، حتى أوفيه ما عمله من السيئات من مرض فى جسمه ، أو خسارة فى ماله ، أو فقد فى ولده ، فإذا بقيت عليه بقية ثقلت عليه سكرات الموت ، حتى يأتينى كيوم ولدته أمه .. وعزتى وجلالى ، لا أخرج عبدى من الدنيا وقد أردت به الشر ، حتى أوفيه ماعمله من الحسنات ، من بركة فى جسمه ، وبركة فى ماله ، وبركة فى ولده ، فإذا بقيت له عندى حسنة خففت عليه سكرات الموت ، جتى يأتينى ولاحسنة له » .

إذن ، فالآلام التى تصيب المؤمن فى الدنيا ليست إلا لتطهيره من كل ما يشوش عليه سعادته فى الآخرة .. والمؤمن الحق هو الذى يستقبل هذه الآلام استقبال الراضى بقدر الله ، الراضى بحكمه ، المسرور بتطهيره إياه ... وحينئذ سيقابل الحياة بكل طاقته وكامل تفكيره ، بحيث لا تتبدد طاقته ، ولا يصيبه الانهيار .

إن المؤمن الحق ينظر إلى القرآن الكريم متدبراً حين يسمع قول الحق :

﴿ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مؤْمِنِينَ﴾[1] .

فيفرح المؤمن بهذا العطف الإلهى المتدفق عليه من خلال الآلام . فهو عالى القدر عند ربه رغم ما ينزل به من الآلام ، وكفى بذلك بشارة ، لأن كل ما ينزل بك ما هو إلا اختبار وامتحان فيه تطهير النفس وغسلها من سيئاتها .. طهرنا الله وإياكم من كل سوء ، وغفر لنا ولكم ولكل المسلمين .. آمين .

* * *

(١) آل عمران : ١٣٩

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر ، والصلاة والسلام على سيد البشر ، سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فيا أيها المؤمنون :

المؤمن الحق لا تهزمه أحداث الحياة أبدا ، إلا إذا كان إيمانه ضعيفاً ، وقد عرض علينا القرآن مثلا لذلك من قصة سيدنا موسى عليه السلام لما قال قومه : (إنا لمدركون) . هم مدركون حقاً بقانون البشر ، جيش فرعون أدركهم . ولكن ماذا قال موسى عليه السلام ..

﴿ قَالَ كَلاَّ إِن مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[1] .

قال : أنتم صادقون بقانون الناس عندما قلتم إنهم سيدركوننا . ولكنى أعتمد على الركن الركين ، القوى المتين الذى سيهدينى إلى الطريق الآمن .

وقد استجاب الله لموسى فقال له :

﴿ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[2] .

وهذا من عجائب الإيمان .. زودنا الله وإياكم بالإيمان، وهدانا وإياكم إلى طريق الأمان .. اللهم اغفر لنا ولإخواننا المسلمين أحياء وأمواتا ، وهيىء لنا من أمرنا رشداً ، وأرضنا وارض عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ، ووفق ولاة أمورنا إلى خير الإسلام والمسلمين وأقم الصلاة .

* * *

(١،٢) الشعراء : ٦٢ ، ٦٣

كن عزيزاً بمنهج الله

الحمد لله العزيز الحكيم ، الولى الحميد ، أعز المؤمنين بشريعته ، واختصهم بولايته ، والصلاة والسلام على النبى الأمى الأمين ، والنور الهادى إلى الصراط المستقيم ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، وأعز جنده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين . أما بعد :

فيا أيها المؤمنون :

حينما نؤمن بالله تعالى ، نصدقه سبحانه فيما يخبرنا به من الأمور الغيبية التى لا تقع تحت حواسنا ، كالملائكة والدار الآخرة ، وإذا أخذنا عن الله مسائل الغيب ، فمن الأولى أن نأخذ عنه ما يقع تحت حواسنا ، وهو منهج الحياة فى شريعته الغراء .

وما دمنا قد اتخذنا من شريعة الله منهجاً لحياتنا ، فإن الله تعالى يمنحنا قوة خارقة على مواجهة أعقد مشكلات الحياة ، هى من قوته سبحانه وتعالى ، فنحن حينئذ نواجه المشكلات بقوة الله الذى آمنا به ، وأسلمنا قيادنا إليه . نواجه العدو بالقوة المطلقة التى لا تعجز عن شىء ، بل تقول للشىء : كن فيكون ، ونواجه المشكلات بخالق الأسباب والمهيمن عليها ، والذى قال لأحبابه المؤمنين :

﴿ ومن يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ من حيثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(١) .

والمظهر الثانى لعزة الإيمان : أن يطمئن المؤمنين على أن هذاالوجودبكل أجناسه مخلوق لخدمتك ، جماده ونباته وحيوانه ، كل هذا سخر لك ، ما دخل منه فى طوق قدرتك ، وما استعصى على قدرتك .

---

(١) الطلاق : ٢ ، ٣

ومن هنا لا نشك فى أن الكون لا يمكن أن يخرج عن نطاق خلافه المؤمن ، وتلك قوة أخرى من قوى الإيمان .

وثالث مظاهر العزة الإيمانية : أن الله تعالى يعلن أن هؤلاء الخلق جميعاً عبيده ، فنحن وهم مشتركون فى العبودية له سبحانه ، وليس واحد منا ابناً لله ، فالله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وهنا يلتزم المؤمن بمنهجين فى حياته هما عين العزة الإيمانية .

الأول : أننى وهم عبيد ، فلا يصح أن أستعلى عليهم .

والثانى : ألا أذل لواحد منهم .

والله تعالى إذن يمنع المؤمن من الاستعلاء ومن الذل ، فلا ينظر المؤمن إلى الناس على أنهم منافسون له فى الحياة ، وسيأخذون رزقه ، بل يجب أن ينظر إليهم على أنهم معاونون له فى الحياة ، لأنهم جميعاً مؤمنون بمنهج واحد هو قوله ﷺ :

« المؤمن أخو المؤمن ، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخدعه » .

وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

فالنعمة فى يدك كالنعمة فى يد غيرك ، لأن خيرها واصل إليك على حسب تشريع الله ، فلا تحقد على أحد أنعم الله عليه بنعمة .

وما دمنا آمنا بالله ، وارتضينا شريعته منهاجاً ، فلماذا تتحكم أمة قوية بأن تضع نظاماً للحياة ، وقوانين ومبادىء ترغم الأمم الضعيفة على اتباعها ؟ ولماذا يصر البعض على ابتكار مناهج للحياة يلزم بها ضعاف الناس فى البلد الواحد ؟

من هنا تتفرق السبل بنا حسب الأهواء والمسالك ، ومن هنا ينهدم صرح الإيمان بالله رباً وحاكماً أعلى للكون كله .

أيها المؤمنون :

حينما تتوحد العقيدة فلا ذل فى حياة الإنسان ، ولا نفاق بين إنسان وإنسان ، لأن العقاب والثواب ليسا فى يد هذا الإنسان ، بل يكون الإنسان المؤمن سوياً ، ظاهره مثل باطنه ، لأنه يتعامل مع الله وحده ، والله لا تخفى عليه خافية . فاتقوا الله ، وراقبوه فى كل أعمالكم ، يكمل إيمانكم وتتجدد عزتكم . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد :

فأوصيكم ونفسى بتقوى الله سراً وعلانية ، فاتقوه ، وأنيبوا اليه ، لتفوزوا بالعزة ، عزة الإيمان ، من ابتغى العزة فى غيرها ذل وهلك ، نسأل الله السلامة .

اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياءوالأمواتوهييء لنا من أمرنا رشدا ، وهب لنا من طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، ووفق ولاة أمورنا إلى خير الإسلام والمسلمين ، وأعل كلمتك ، واخذل الكفر والالحاد يارب العالمين ، وأقم الصلاة .

الإسلام برىء من التخلف

الحمد لله العلى الكبير ، العليم الخبير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الها واحدا قهارا ، للعيوب ستارا ، وللذنوب غفارا ، وأشهد أن محمدا ﷺ عبده ورسوله المصطفى ، وحبيبه المجتبى ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ، ومن سار على هداهم أجمعين .

أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

قال الله تعالى :

﴿ إنا جَعَلْنَا مَا عَلى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عملاً ﴾(١)

أى أنه تعالى زين الأرض ليجذب الانسان الى العمل النافع . فما هى الزينة ؟

الزينة هى : ما يخلع على ذوات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبية . فالمرأة تتزين لتجذب الرجل ، وزينة الأرض هى أن تصبح أكثر جاذبية للانسان ليعمل . والإنسان حين يرى حديقة جميلة ، أو مسكنا فخما ، يتمنى أن يكون له مثله ، فيكون هذا هو الحافز على العمل .

وبعد ذلك ننظر ، هل هذه الزينة هى الغاية ، أم لا ؟ وهذا هو الابتلاء .

والله سبحانه يقول :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ من الأرض واستَعمَرَكُمْ فِيها ﴾(٢) .

---

(١) الكهف : ٧

(٢) هود : ٦١

أى طلب منكم عمارتها . والعمارة تكون بأمرين : أن تبقى الصالح على صلاحه فلا تفسده ، وأن تصلح الفاسد ، وتزيد صلاحه .

وزينة الأرض تأتى من أثرين : آثار خلق الله ، والطبيعة التى وهبها لنا ، ثم آثار ما فعله الإنسان بما علمه الله له ، ليضيف جديداً ، كما قص الله علينا من عمل ذى القرنين فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الأَرْضِ وآتَيْنَاهُ من كلِّ شَىْءٍ سَبباً . فَأَتْبَعَ سَبباً ﴾[1] .

أعطاه الله أسباب القوة والمنفعة فى الأرض ولكنه أضاف سبباً آخر مما ينفعل له فيما خلقه الله تعالى .

والله تعالى يعلمنا بهذا : أن الإنسان مهما أعطى ، يجب ألا يكتفى فلا يعمل شيئاً لعمران الأرض بل يجب أن يعمل من أجل أن يضيف جديداً ، وينفعل به مع العناصر التى خلقها الله لتنفعل بعمل الإنسان .

والرسول ﷺ يؤكد على المسلمين هذه الحقيقة حتى آخر ساعات الحياة فيقول :

« إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم نبتة فليغرسها » .

وقال عن يد العامل الكادح : « تلك يد يحبها الله ورسوله » .

لابد أن يتعلم الإنسان ويدرس كيف يحصل على أجود النتائج من العمل ، وكيف يتفاعل مع العناصر التى خلقها الله ليرقى بمستوى الحياة ، وإلا جمدت الحياة ولم تتطور ولم تتحرك ، وتوقف نمو البشرية .

وهذا العمل هو من صميم العبادة ، لأنه طاعة لقوانين الله فى الأرض ، والله تعالى أعطانا أسباب الرفعة فى الدنيا والآخرة ، وعلينا أن نأخذ بهذه الأسباب جميعا ، ونعمل من أجل الدنيا للآخرة .

فإذا كان هناك تخلف فى الدول الإسلامية فالإسلام نفسه برىء من هذا التخلف ، لأنه وضع أمامنا كل أسباب الرقى والتقدم ، وأمرنا بالعمل حتى تتحقق لنا ثمرته ، فإذا كنا قد ركنا أسباب التقدم الثابتة فى قوانين الإسلام ، فليس هذا عيب الإسلام ، وإنما العيب فى عدم تطبيق تعاليم الإسلام التطبيق الصحيح السليم .

---

(١) الكهف : ٨٤ ، ٨٥

والعجب كل العجب من بعض الناس الذين يفسرون التوكل على الله بأنه دعوة إلى القعود عن العمل ، بينما هو فى الحقيقة دعوة إلى العمل والجهاد بالجوارح ، والتوكل بالقلب على الله أثناء العمل وبعد العمل . ولكن بعض الناس يشرعون فى هذا الدين ما ليس منه ، ثم يتركون الفرصة لأعداء الإسلام ليقولوا : إنه دين التخلف ، والله ورسوله براء من هؤلاء ومن دعوتهم المتخلفة الجامدة .

فاتقوا الله واعملوا ، وادفعوا عن دينكم بالعمل ، فقد سبقنا أعداء الإسلام إلى تنفيذ تعاليم الإسلام فى العمل العمرانى ، ونحن مازلنا نتكلم ولا نعمل . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين . أما بعد :

فإن الله تعالى جعل أسباب العمران مباحة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم ، جعلها مطيعة لمن فكر وقدر وعمل وابتكر ، وعاصية لمن قعد وتواكل وتجمد ، من هنا ضل الكثير من الناس حينما وجدوا أسباب الحياة مطيعة للكافر ، وقد حرم منها المؤمن . والحق أن الكافر عمل ، والمؤمن لم يعمل .

فاتقوا الله ، وراجعوا تعاليم دينكم ، وافهموها الفهم الصحيح ، حتى لا نصاب بمزيد من النكسات .

اللهم اغفر لنا ، وسامحنا ، وتب علينا ، وارزقنا ، وكن لنا ، ولا تكن علينا ، وأرضنا وارض عنا ، ووفق ولاة أمورنا إلى خير الإسلام والمسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

المتواكلون أعداء الإسلام

الحمد لله القاهر فوق عباده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الناصر لدين الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، علم الإنسان مالم يعلم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بين للناس ما نزله الله عليه من الهدى والنور ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا أيها المؤمنون :

قال الله تعالى :

﴿ ومَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ له مَخْرَجاً . ويَرْزُقْهُ من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً ، وتعود بطاناً » . أى تخرج من أعشاشها جائعة ، وتعود شبعى .

والله سبحانه وتعالى قد ضمن للناس أرزاقهم ، ومعنى هذا أنه جعل كل عناصر الرزق موجودة فى الأرض، تماماً كما تشترى لبيتك كل مايحتاج إليه طوال الشهر، وتخزنه فى البيت إذن الرزق موجود فى البيت ، وكل عناصره متوافرة .

فالذين يثيرون قضية التوكل على أنها قعود عن العمل يفرون من كل عمل يورثهم تعباً ، أما كل عمل يورثهم لذة فهم لا يتوكلون فيه . يتوكل الجاهل حتى يوضع الطعام أمامه ، ثم ينسى توكله ويبذل أقصى جهده لتناوله ، فهم كاذبون فى دعواهم ، مفترون على الله وعلى الإسلام ما ليس منه .

وغاية الأمر أن الله فى قدره شاء أن يبين لنا أن الأسباب لا تملكه ، فهو الذى قرر

---

(١) الطلاق : ٢ ، ٣

الأسباب ، وهو الذى وضع لها النتائج ، ومشيئته هى النافذة ، ولهذا فالله سبحانه وتعالى لكى يعرفنا أن الأسباب لا تملكه ، فهو يحرمنا من ثمرات أشياء بذلنا فيها غاية جهدنا ، وذلك حتى لا نفهم العمل هو الذى يرزق .

يجعلنا نعمل عملا ثم يفشل ، نزرع الأرض ، ونبذل فيها كل الجهد ونأخذ بكل الأسباب ، ثم يهلك المحصول ، وبعد ذلك يرزقنا الله من حيث لا ندرى ولا نحتسب . وأمامنا الأمثلة واضحة وكثيرة ... يأتى إعصار أو فيضان ، فيقضى على جهود الناس فى دولة من الدول ، فتصبح لا تملك غذاء يومها ، ثم تهب الدول الأخرى لنجدتها ، فيأتيها الرزق من حيث لا تحتسب ولا تدرى . وذلك حتى لا يفهم الناس أن الرزق يأتى من أسبابه وحدها .

والإنسان المؤمن يعيش بين أمرين : أن يعمل لكى يصل إليه الرزق وهذا أمر صريح . وأمر آخر هو ألا يتوكل على العمل ، ويتجاهل قدرة الله . ولذلك قالوا : القلوب تتوكل ، والجوارح تعمل . فالتوكل صفة للقلوب ، وليس صفة للجوارح . ولكن الجهلاء عكسوا القضية .

ولقد ظهرت هذه الحكمة جلية فى سعى هاجر بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء حين تركها الخليل عليه السلام هى وابنها إسماعيل فى مكان ليس فيه السبب الأول للحياة وهو الماء . وقد آمنت هاجر بأن الله لن يضيعها مادام هذا أمره . ولكن إيمانها هذا لم يمنعها حين عطش ابنها من أن تذهب إلى الصفا وإلى المروة بحثاً عن بعض المارة ، أو عن طير يهديها إلى الماء .

كان يكفيها مرة واحدة ، لكى تثبت لنفسها أنها عملت ، وأنها أخذت بالأسباب لتهتدى إلى الماء ، ولكنها اجتهدت فى ذلك سبعة أشواط ، وهو أقصى ما يمكن لجهد امرأة أن يحتمله .

آمنت هاجر بأنها هنا بأمر الله ، وبأن الله لن يضيعها ، ومع ذلك لم تترك العمل فى الأسباب حتى تعبت . ولقد أراد الله هنا لنا أن نفهم حكمتين .

(الحكمة الأولى) أنها لو وجدت الماء أثناء سعيها لكانت هذه الأسباب وحدها تكفى ، لكنه أراد أن يبين لنا أنه رغم اليقين بأن الله سيجعل لنا مخرجاً فإن السعى واجب . (والحكمة الثانية) أنها بعد هذا الجهد الشاق وجدت الماء تحت قدم ولدها ، فكأن الله تعالى يقول لها : رغم عملك الشاق الذى قمت به فقد أخرجت لك الماء بضربة من قدم طفل صغير .

ومن هنا نفهم حقيقة التوكل كما أرادها الله ، وأنه هو عمل القلب ، وليس عمل

الجوارح ، ولكن المتواكلين يفهمون التوكل على أنه عمل الجوارح ، فضلوا وأضلوا ، وأعطوا سلاحاً لأعداء الإسلام ضد الإسلام .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

رحمة بالمسلمين .. يا وسائل الإعلام

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كما صلى الله والملائكة عليه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، وأمين رسالته ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من تبع هداه . آمين . أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

جرى العرف فى جميع دول الأرض على اعتبار أجهزة الإعلام فيها من وسائل تثقيف الشعوب ، وتزويد الناس بالنافع فى دنياهم أو دينهم أو هما معاً .

وأجهزة الإعلام فى العالم الإسلامى تسير فى اتجاه واحد مع أى نشاط آخر من نشاطات العالم غير الإسلامى ، وذلك لأن الفتنة فى أمم الغرب جعلت هذه الأجهزة كغيرها من الأجهزة عندنا تحذو حذوه فى كل شيء وتنهض بأى لون من ألوان النشاط على خطته . فكأننا ننقل كل مجالات الحياة هناك إلى مجالات الحياة هنا . ومن هذه المجالات مجال الإعلام .

والإعلام فى الغرب كله مهمة شركات ، والمهمة الأساسية للشركات هى خدمة رأس المال بتحقيق الأرباح . وتحقيق الأرباح لا يأتى إلا بالانتاج الكثير المستميل للمستهلك .

فالغرض الذى من أجله أنشيء الإعلام فى الغرب إذن ، غرض لا يقوم إلا على تحقيق الأرباح ، وتحقيق الأرباح لا يتأتى إلا بتعدد المستهلك الذى يحب كل ما يمتعه ، ويحقق له غاياته التى يشتهيها ، والإمتاع دائماً يكون سائراً مع تحقيق الشهوات ، وبالتالى فإن الإعلام هناك مرغم اقتصادياً على أن يحقق للمجتمع أقصى ما يمكن من المتع بالشهوات ، والالتذاذ بالانحرافات . وكل تقدم هناك يقاس بقدر ما يتحقق من هذا الغرض الأصيل .

ولكن العجب أن وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى ملك للدولة ، فهى ليست شركات استثمار ، ولكنها مجال خدمات ، ومع ذلك لم يفطن الإعلام عندنا إلى هذه الحقيقة ، وسار فى مناهجه على وفق مناهج الغرب الذى لا يهتم فيه القائمون على أمر شركاته بما يهدر من قيم الأخلاق ، بقدر ما يهمهم ما يحققونه من أرباح .

إن الله سبحانه وتعالى حدد سلوك المؤمن فى الدنيا بحيث لا يفرق فى ملذاتها ، ولا يلهو بها فقال فى محكم كتابه :

﴿اعْلَمُوا أَنَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ ولَهْوٌ وَزِينَةٌ وتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكاثُرٌ فى الأَموالِ والأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نباتُه ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مصفرًّا ثمَّ يكونُ حُطاماً﴾(١) .

والرسول ﷺ يقول : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ولهذا كان المفروض فى وسائل الإعلام فى البلاد الإسلامية ألا تنزل إلى مستوى غوغائية الجماهير ، بل من واجبها أن ترتفع بهذه الغوغائية لتأخذ بيدها إلى مستوى رفيع من الفضائل والقيم .

أما أن يهبط الإعلام إلى مستوى تحقيق النازل من الشهوات فهذا لا يمكن أن يكون إعلاماً رشيداً مخلصاً .

والإعلام لو نزل إلى مستوى الناس الهابطى الفكر لأصبحوا هم الموجهون ، ويفقد الإعلام بالتالى دور التوجيه ، لأن مهمة الأعلى دائماً أن يأخذ بيد الأدنى إليه . ولاشك أن القائمين على التوجيه هم الطبقات التى اؤتمنت على التوجيه ، فإذا ما شد الأدنى الأعلى صار الجميع فى المنحدر .

ولكن منطق التشريع الإلهى ومنهجه هو أن نرتفع بمستوى البشرية إلى مراتب الفضائل والقيم . يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾(١) .

ومعنى تعالوا : أقبلوا . ولكن اللفظ يحتمل معنى فوق الإقبال هو : ارتفعوا إلى مستوى ما يريده الخالق . أى إن التشريعات التى كان يتبعها الناس قبل الوحى تأخذ موضع السفل ، بينما شرع الله له السمو والعلو .

---

(١) الحديد : ٢٠

(١) الانعام : ١٥١

فاتقوا الله ، وافهموا عن الله مراده ، وأعرضوا عن كل هابط من الفكر ، ولا تنطلقوا وراء التقليد الأعمى الذى يقضى على إيمانكم ، وعلى تاريخكم وعلى سمو دينكم ... وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وبعد :

فاتقوا الله أيها الإخوة المؤمنون ، وليكن كل منكم داعياً إلى ما يسمعه ويعلمه من فكر الإسلام الأصيل ، وليحذر كل منكم من لم يحضر من إخوانه من هذه الفتنة اللعينة التى تظلم الحياة ، وتقضى على الأخلاق .

اللهم اغفر لنا ، واهدنا ، وامح عنا الظلام بنور العلم واليقين ، واكشف عنا السوء واهد القائمين على شئون المسلمين إلى ما فيه خيرهم وخير الإسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين . وأقم الصلاة .

* * *

لا تبحث عن حكمة الأمر والنهى

الحمد لله وحده ، له الخلق والأمر ، لا يسأل عما يفعل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الملحمة ، ورسول المرحمة ، وكاشف الظلمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً جباراً ، وملكاً قادراً قهاراً ، وأشهد أن محمدا ﷺ عبده ورسوله ، أمينه المفتدى ، وحبيبه المرتضى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ومن سار على هداه إلى يوم الدين . أما بعد .

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

الإيمان بالله تعالى ضرورة فطرية وعقلية ، ما فى ذلك شك . وحين نؤمن فيقال لنا : من الذى خلق الحياة ؟ نقول : الله ، والذى خلق الحياة هو الذى ينظم حركة الحياة ، هو الذى يقول لنا : افعلوا كذا ، ولا تفعلوا كذا . وحين ذلك يوجد الإسلام ..

لا يمكن أن يوجد أى انقياد لأمر ونهى إلا بوجود عقيدة تسبقه فى أن الآمر والناهى أهل لأن يؤتمن على صدور الأمر والنهى منه ، لأنه صانع ولأنه حكيم ، ولأنه قادر . ولذلك فالمسلم حينما يسلم زمامه لتوجيهات ربه يكون مسلماً عن عقيدة . أما أن يكون إسلام عن غير عقيدة ، فهذا نفاق .

والإيمان لا يأتى فى الأمور المحسوسة أبداً . لا يقال . إنى أومن بأنك أمامى الآن ، أو بأنى أتكلم بين أيديكم ، فليست تلك منطقة إيمان ، بل هى منطقة حس ومشاهدة . إذن فمنطقة الإيمان تكون فى الأمور الغيبية فقط . ولذلك عندما سئل رسول الله ﷺ : ما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره » .

تلك كلها أمور غيبية . وهنا يأتى أحد السطحيين فى العالم فيقول : لا ، الإيمان بالرسل والكتب أمر حسى ، لأننا نرى الكتب ، ونرى الرسل . ولكنا نقول له : لا ،

لأنك لم تر جبريل وهو ينزل بذلك الكتاب على الرسول ، إذن فالإيمان بالكتب مازال غيبياً .

وحين تسلم زمامك لعقيدة يقال : إنك آمنت . أما حين تفعل الفعل بدون عقيدة ، فيقال ، إنك نافقت : إذن فالإسلام لابد أن توجد له ركيزة عقدية أولا ، حتى يطمئن الإنسان إلى أن هذا الأمر وهذا النهى هو أحكم ما يوجه من أمر ، وأحكم ما يوجه من نهى ، سواء فطنت إلى حكمة الأمر أو النهى أم لا ، لأن العبودية هى التى أسلمتنى لذلك الأمر وذلك الاعتقاد .

ولذلك نجد القرآن الكريم عندما يتكلم عن هذه القضية يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيامُ كما كُتِبَ على الذينَ من قَبْلِكُمْ لعلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١) .

يعنى : يا من وجد عندكم الإيمان بى ، واعتقدتم بوجودى ، أنا أشرع لكم . فبغير رصيد الإيمان لا يشرع . وقال : ﴿ كتب ﴾ بالبناء للمجهول ، مع أن الفاعل معروف وهو الله ، فلماذا ؟ لأن قضية الإيمان عقد بين المؤمن وربه ، والله لم يكلف من لم يؤمن به ، وإنما كلف من آمن به فحين دخلت فى عقد الإيمان بالله دخلت طواعية ، إذن فأنت شريك فى كل التزام تقنينى يصدر عن الله ، لأنك لو لم تؤمن لما كتب عليك . فما دمت قد تعاقدت مع الله على الإيمان به ، فقد وجب عليك سماع الأمر والنهى منه ، وتنفيذه . لأن علة فعل المؤمن إنما هى صدور الأمر من الله .

أما لماذا أصدر الله الأمر فقد لا تطيقه العقول . قد نعرفها وقد نجهلها ، فإن كان الله قد حرم أكل الخنزير والزنا ، فهل كنا نؤجل التنفيذ حتى تأتى المعامل والآلات لتبين أنه ضار ؟ هذا لا يمكن .. بل نحن ننفذ الأمر والنهى لأننا نثق فى المشرع سبحانه وتعالى ، ولا نسأل : لماذا ؟ وبعد ذلك قد يفيض الله عليك أسرار أحكامه .

فاتقوا الله ، ولا تجادلوا الله وتناقشوه فى أحكامه ، فهو الذى لا يسأل عما يفعل. أما نحن فيسألنا الله عما نفعله . وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

(١) البقرة : ٨٣

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين، وأشهد أن لاإلهإلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسول. أما بعد :

فأوصيكم عباد الله وإياى بتقوى الله فاتقوه ، ولا تعاملوا ربكم أقل مما تعاملون به أنفسكم بعضكم لبعض . فالطبيب حينما يصف للمريض دواء لا يتوقف المريض عن استعمال الدواء حتى يعرف حكمته وفعله فى الجسد ، بل يستعمله دون أن يناقش طبيبه فى شيء من هذا . ولكننا بكل أسف شغلنا أنفسنا بمناقشة الله فى حكمة أمره لنا بكذا ، ونهيه لنا عن كذا ، وهذا هو محض الجهل بعظمة الله .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، وتولنا برحمتك وعاملنا بفضلك ، ولا تعاملنا بعدلك ، وارضنا وارض عنا ، ووفق ولاة أمورنا إلى خير الإسلام والمسلمين ، وانصر كلمة الحق ، وأعل كلمة التوحيد ، إنك سميع قريب مجيب وأقم الصلاة .

* * *

الدعاء هو العبادة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونصلى ونسلم على خير خلقه سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله بعزمه وجهاده علت كلمة الله ، وسفلت كلمة الشرك . اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه مادام الليل والنهار . أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

حين يستخدم الإنسان المؤمن عقله وطاقته البشرية فى عمل مشروع ، ولكن الأسباب لا تعطيه ما يسعى من أجله ، وحين تصادف الإنسان المؤمن مشكلة ، فيمضى محاولا أن يحلها بكل الطرق ، ويفشل فما الذى ينجيه من الخوف ؟ أما عقله فقد انهار وتحطم ، وأما طاقته فقد تبددت ، ولكنه إذا كان إنساناً مؤمناً تمام الإيمان بالله ، فإنه يفزع إلى الله تعالى ، ويتجه إلى السماء ، ويقول : يارب ، ويدعو .

إنه فى هذه اللحظة ينقل شيئا من قدراته إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، تلك القدرة التى ليس لها حدود ولا قيود ... المؤمن لا ييأس ، ولا تذهب نفسه حسرات ، بل ينقل الأمر كله من قدراته هو إلى قدرات الله سبحانه وتعالى بكلمة : يارب ، حينما يستعصى عليه الأمر ، لأن قدرات الله بلا حدود ، يقول الله تعالى :

﴿ الله لا إلهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولَا نَوْمٌ لَهُ ما فِى السَّمواتِ وما فى الأَرْضِ . مَنْ ذَا الذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْديهِمْ وما خَلْفَهُمْ ولا

يُحِيطُونَ بِشَيءٍ من عِلمِهِ إلا بمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّه السمواتِ والأَرْضَ ولا يئُوده حِفْظُهمَا وهو العلىُّ العظيمُ﴾[1] .

فالله سبحانه قائم على كونه ، لا يتركه لحظة واحدة ، لا يغفل لحظة واحدة ، ولا ينام أبدا ، ومن هنا فإن المؤمن لا يخاف ، لأن الله قائم على ملكه يسمع ويرى ، ويجيب دعوة المضطرين ، ويفتح الأبواب المغلقة ، ويزيل كل عقبة ، ويرفع كل سد ، فإذا قلت : يارب ، فلست وحدك بل معك الله . ومعك هذه القدرة الهائلة ، تيسر لك السبل ، وتزيل من أمامك العقبات ، ما دمت مؤمنا .

والله تعالى يقول كذلك :

﴿ ألاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القُلوبُ﴾[1] .

فالإنسان عندما يتذكر أن قوة الله سبحانه وتعالى وقدرته قاهرة فوق كل شيء ، ولا تحدها حدود ، فإن قلبه سيطمئن ، لأن الأسباب إذا تخلت فلن يتخلى عنه الله .

إن المؤمن لا يشقى قلبه أبداً ، لأنه مطمئن إلى قدرة الله وقوته ، مطمئن إلى عدله وفضله ، مطمئن إلى رحمته ، وبذكره تطمئن القلوب .

أيها المؤمن :

إن الدعاء مخ العبادة ، لأنه يذكرنا دائماً بضعفنا وقوة الله ، وقدرتنا المحدودة وقدرة الله المطلقة ، يضع فى قلوبنا الخشوع والخضوع ، ويجعلنا نحس دائماً أن الله قائم على خلقه . وهذه الخشية إذا خالطت القلب نزعت منه غرور الدنيا ، لأن الإنسان مهما علا فإنه فقير إلى الله سبحانه وتعالى .

يعرف الإنسان مقامه فلا يطغى ، ويعلم حاجته إلى الله فيخشاه ويعبده حق عبادته ، يعلم قدرة الله فلا يغتر بقدرته على الناس مهما بلغت ، ويعرف ثواب الله وعقابه فلا يغريه الحرام مهما استطاع أن يصل إليه .

وهذه هى عين العبادة التى تشمل كل حركات الإنسان وسكناته ، فاتقوا الله ، وادعوه ، واذكروه ، تنالوا خير الدنيا ، وخير الآخرة جميعاً ، وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

---

(١) البقرة : ٢٥٥

(١) الرعد : ٢٨

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد .

فأوصيكم إخوانى ونفسى بتقوى الله فاتقوه ، واعلموا أن دعاء الله يقضى على الغرور البشرى من نفس الإنسان ، والغرور هو أول مراتب المعصية ، وأول مداخل الشيطان إلى النفس ، لأنه يجعل النفس تحس بقدراتها وتعبد هذه القدرات ، ولا يغتر الإنسان إلا ابتعد عن الله وحسب أنه يستطيع أن يستغنى عنه ، وأنف من الاستغفار وطلب الرحمة من مولاه .

ولا يقضى على كل ذلك إلا الدعاء ، ومن هنا كان الدعاء هو العبادة ، وفقنا الله وإياكم وجميع المسلمين إلى مداومة دعائه ، والاطمئنان بذكره إنه سميع قريب مجيب .

* * *

مقومات الحضارة فى الإسلام

الحمد لله مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الذى حقق إرادة الله ، وساد خير أمة أخرجت للناس ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ، ومن تبعهم بإحسان ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

قضت حكمة الله تعالى ألا تقوم حضارة إلا إذا كان فيها مقومات الوجود التى شرعها وقررها ، وألا تفنى حضارة إلا إذا حملت بعد ذلك مقومات الفناء . ولو أن مقومات الوجود ظلت رتيبة فى أى عصر لما انتهت حضارته .

والذى يجعل الحضارة تنتهى إلى ركود : أن مقومات وجودها كانت نشطة فى أول أمرها ، ثم تشاغل الناس عنها فيما بعد ، فحملت مقومات فنائها فاندثرت .. هكذا الحال حين نستلهم الواقع التاريخى والواقع الوجودى لنحكم ذلك المبدأ .

وإذا حكمنا الواقع التاريخى والوجودى فإننا نجد أن أى عصر لا يستقيم ولا يستقر إلا إذا كان يرتكز على أساسين :

أولهما : أن تكون له عقيدة إيمانية ثابتة ، وألا يكتفى بالعقيدة قولا ، بل لابد من إبراز تلك العقيدة للوجود ، وترجمتها إلى سلوك عملى ، لأن وجود العقيدة دون أنِ تترجم إلى سلوك عملى لا قيمة له .

والثانى : أن يتواصى الناس بالحق وهم على طريق العمل القائم على العقيدة كلما حدث بينهم خلاف ، وأن يتواصوا بالصبر كلما حدث صراع بين الحق والباطل .

إذن فمنهج العمل الحضارى الناجح هو : عقيدة يترجم عنها إيمان . وبعد ذلك عمل على وفق تلك العقيدة . وبعد ذلك أمر بالمعروف ونهى عن المنكر حتى لا تتعرض الأعمال للفساد ، وبعد ذلك صبر على العقبات التى تعترض الحضارة .

وكل حركة حضارية فى الحياة لا تحكمها هذه العناصر فهى حركة مآلها إلى الخسران والزوال ، مآلها إلى أنها لا تعمر فى الوجود ، بل تفنى .

وقد عرض الله سبحانه وتعالى علينا ألوانا من حضارات العصور القديمة أظهرها حضارة سبأ باليمن حيث قال تعالى :

﴿لَقَدْ كانَ لِسبَأ فِي مَسْكَنِهِمْ آيةٌ جنَّتانِ عن يَمينٍ وَشِمالٍ كُلوا من رِزْقِ رَبِّكم واشْكُروا له بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غَفُورٌ . فَأعرضُوا فأرسَلنَا عَلَيْهِمْ سَيلَ العرمِ وبدَّلْناهُمْ بِجنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَائى أُكُلٍ خَمْط وَأَثْلٍ وشَىءٍ من سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذلك جَزَيناهُمْ بمَا كَفَرُوا وهل نُجازِى إلا الكَفُورَ ﴾(١) .

حضارة قامت ، والتفتت الدنيا لها ، فما الذى جعلها تنهار ؟

الذى جعلها تنهار هو أنها كانت خالية من مبادىء الخلود ، وهى : العقيدة والعمل وفق العقيدة ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر . أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ومما عرضه الحق سبحانه علينا حضارات بادت وحضارات مازالت آثارها قائمة تشهد بما كانت عليه من رقى وازدهار ، قال سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَر كيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إرَمَ ذاتِ العِمَادِ . التى لم يُخْلَقْ مثْلُها فى البلادِ . وثَمُودَ الذينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالواد . وفِرْعَونَ ذِى الأوْتَادِ . الذين طَغَوْا فى البِلاد فأكثَرُوا فيهَا الفَسادَ.فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّك سَوْطَ عَذَابٍ . إن رَبَّك لَبِالْمِرْصَادِ﴾(٢) .

وإذا استعرضنا تاريخنا الإسلامى نجد أنه توجد العقيدة ، ومع ذلك نجد أن الأمة الإسلامية تعرضت للهوان والذلة والضعف والاستعباد والاستعمار ، وذلك لأنه وإن كانت لدينا العقيدة إلا أن العنصر الثانى وهو عنصر العمل على وفق العقيدة غير موجود . وهناك تقصير فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهناك عدم الصبر على الشدائد ، إذ تخور عزائمنا ونرضى بالأمر الواقع الذى يفرضه علينا العدو .

---

(١) سبأ : ١٦ ، ١٧ ، ١٨.

(٢) الفجر : ٦ ، ١٤

فإذا رأيتم حضارتنا فى ضعف فاعلموا أن عقيدتنا قد ضعفت،أن العقيدة لم تترجم إلى عمل ، أو أننا انصرفنا عن الحق تحت سلطان هوى النفس ، أو أن عنصر الصبر قد ضعف ، فلم تعد لنا قوة الاحتمال .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وعودوا إلى نبع الحضارة الأصيل فى القرآن وحده ، واسمعوا إلى قول رسول الله ﷺ :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

والتغيير بالقلب هو اعتزال المنكر وأهله ، وليس مجرد ادعاء الكراهية بالقلب .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

الذى خلق الموت والحياة

الحمد لله الحى الذى لا يموت ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل وخير البشر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه بإحسان وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

لقد اختلفت الآراء ، وكثر النقاش فى العصر الحاضر حول قيمة الحياة الدنيا ، حتى اعتبرها كثير من الناس غاية لهم .

وحكم الإسلام دائماً هو فصل الخطاب فى أى أمر يتناقض فيه النقاش وتتعارض فيه الآراء ... والحياة فى نظر الإسلام أهم من أن تنسى ، ولكنها أتفه من أن تكون غاية . والدليل على أنها أهم من أن تنسى قول الله سبحانه :

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[1] .

والدليل على أنها أتفه من أن تكون غاية قوله سبحانه :

﴿اعْلَمُوا أَنَّما الحَيَاة الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وزِينَةٌ وتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكاثُرٌ فى الأَمْوالِ والأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثمَّ يكونُ حُطاماً﴾[2] .

فالذين يتكاسلون فى الحياة الدنيا ، ولا يعبأون بها ، ويضعون كل اهتمامهم فى الحياة الأخرى الموعودة ، نقول لهم : إن السعادة فى الحياة الأخرى الموعودة على قدر توفيقك

---

(١) القصص : ٧٧ ، ٢٠

(٢) الحديد : ٢٠

وإخلاصك فى حركة حياتك الأولى فى الدنيا .. والآخرة ليست موضوع الدين ، ولكنها جزاء على موضوع الدين ، والجزاء على الشيء غير موضوعه ، فالدنيا والحركة فيها هى موضوع الدين ، ولذلك يجب أن تكون الدنيا مهمة ، بحيث لا تنسى ولا تهمل .

أما الذين يقولون بأن الدنيا هى الغاية ، ولا شيء بعدها ، فنقول لهم : وما ذنب الذين يشقون فى حياتهم الدنيا ليسعدوا غيرهم ؟ أين يكون جزاؤهم إن لم تكن إلا الحياة الدنيا ؟ لو نظرنا هذه النظرة لكان الذين يشقون لإسعاد غيرهم هم أحمق الحمقى ، لأنهم فوتوا على أنفسهم موضوعاً واحدا هو الدنيا ، ولا عوض له فى شيء اسمه الآخرة .

وقضية الموت فى نظر الإسلام قضية تمد الواقع بأصل عقدى . فالموت فى نظر الإسلام واقع يجب أن يكون ، حتى يحقق الخطوة الجزائية فيما بعد الموت ... وواقع الموت يشهد بأنه لا مقياس له ، ولا ارتباط له بزمان ولا مكان ولا حال ، مما يدل على أن سبب الموت هو خالق الوجود .. خلق الله الموت . والموت من دون أسباب هو السبب . ولذلك لا يتوقف على عمر ولا صحة ولا سبب مرئى أو غير مرئى ، وهذا أوقع فى نفس الذين يتربص بهم الموت وإن غفلوا هم عن الموت ، لأن عدم ارتباطه بسبب من الأسباب يحتم على الإنسان الحى أن يتوقعه فى أية لحظة ، وتوقعه فى أى لحظة يحتم الاستعداد له دائماً ، بحيث يكون الإنسان مستعداً لاستقباله .

وإذا كانت أهم صفة للأحياء هى الغرور ، فيجب أن يندفع هذا الغرور . ولهذا يجب أن يستقبل الحى باليقين فيما ينقض هذه الحياة وهو الموت ، مصداقاً لقوله تعالى :

« **الذى خَلَقَ الموتَ والحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** »[1] .

فقد قدم الموت على الحياة ، حتى يستقبل الإنسان الحياة وقبلها ما ينقض هذه الحياة وهو الموت ، الذى هو حصانة للإنسان من الغفلة والغرور .

أيها المؤمنون :

إن الحياة الدنيا فى نظر الإسلام حياة موقوتة ، وهى حياة موضوع المحاسبة ، وما دامت موضوع المحاسبة فيجب أن يفسح الموضوع لحال المحاسبة ، والحساب يأتى بعد الموت الذى هو فى نظر الإسلام استكمال لقضية الحياة ، والطريق الوحيد إلى الحياة السعيدة .

إذن فالموت ينقلنا من الحياة التى تتطلب منا تعباً وجهداً إلى حياة لا تتطلب منا نحن

---

(١) الملك : ٢

تحقيق مطلوباتنا إلا أن يمر الشيء المطلوب مجرد خاطر بالنفس فيتحقق على الفور . فلو لم يكن هناك موت لفاتتنا الحياة الأخرى بما فيها من راحة للمؤمن ، وظل على حياته الشاقة الناصبة .

والرسول ﷺ يشجعنا على العمل ولو فى بدايته بالعزم والنية فيقول :

« من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه سيئة » .

فاتقوا الله واعملوا وفق الكتاب والسنة فى دنياكم ، تكن لكم السعادة فى أخراكم .. وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

حضارة البشر ... وحضارة الفطرة

الحمد لله الذى خلق فقدر ، وحكم فعدل ، وتفضل فأجزل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وبين وفصل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، لسان الصدق ، وعقل الإسلام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

إذا تأملنا تاريخ البشرية وجدنا الحضارات البشرية تؤذن دائماً بزوال القيم الأخلاقية ، وتنتهى باستمرار إلى الدمار . وإذا بحثنا عن السبب فى ذلك وجدنا أن الحضارة إذا كانت قائمة على أسس من وضع البشر ، وغير محروسة بقيم إلهية ، فإن نهايتها الطبيعية هى الفناء .

ومفهوم معنى الحضارة عندهم هو : كل شىء إذن حضر . فشهوات النفس فيها محققة ، ومطالبها مجابة ، لكن النفس محتاجة إلى ما يكبح جماحها ، ويوقفها عند حدودها ، ويمنعها من الانطلاق فى شهواتها البهيمية .

وهذه النقطة هى أساس مهمة الدين ، الذى يتولى ضبط حركة النفس ، وتهذيب شهواتها . ولذلك يصف أدعياء التحلل من يتمسك بدينه بأنه رجعى ، وغير تقدمى ، أى ليس منطلقاً مع شهوات نفسه . هذا هو السبب الأول فى إسهام حضارة البشر فى زوال القيم الأخلاقية .

أما السبب الثانى : فإننا نفهمه من سلوك الناس فى دنيا الحضارة . فقديماً كان الناس حينما يذهبون إلى البئر ليشربوا ، ولا يجدون ماء ، يلجأون إلى الله فوراً بالدعاء والرجاء ، فيستجيب لدعائهم . وهذا راجع إلى أنهم كانوا مايزالون على الفطرة والبداوة التى هى قريبة عهد بنظام الله وآياته فى الكون .

أما اليوم ، فحين لا نجد الماء فى المنزل لسبب من الأسباب ، فإننا نبحث فى الصنبور لعله فاسد فنصلحه ، فإن لم يكن كذلك بحثنا فى المواسير لعلها مسدودة ، وهكذا .. وهكذا. ونلاحظ هنا أن كثرة الاسباب الظاهرة، وانشغال الناس بها أذهلهم وألهاهم عن الفاعل الحقيقى الخالق القدير وهو الله . فإذا بعد الإنسان عن الفطرة ، بدأ العقل البشرى فى الغرور والطغيان . والفطرة تنادى بأن الله هو الفاعل لكل شىء ولا شىء غيره . قال تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَه أم نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لو نَشَاءُ لَجَعلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهون . إنا لَمغرمُونَ . بل نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ الماءَ الذى تَشْرَبُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوه من المُزْنِ أم نَحْنُ المنزلُونَ . لو نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرونَ﴾[1] .

ودعاة التحلل يقولون دفاعاً عن أنفسهم وعن حضارتهم : إن الدين يخسر أنصارا بوقوفه فى وجه التقدم .. والحقيقة أن هذاالقول خاطىء حتى من جهة اللغة . يقال : فلان خسر الشىء إذا كان هذا الشىء مؤثراً فى نجاحه . والحقيقة أن الدين هو المؤثر فى نجاح الإنسان ، وليس العكس .

مما أثار القلق والاضطراب والحروب اليوم إنما هو نتيجة حتيمة لما تجنيه نظم العالم وقوانينه وأخلاقياته ، وبذلك يكون ما يعانيه البشر اليوم هو القبح بعينه.فلو أن العالم استقرت فيه الطمأنينة . وغشيه الأمان ، مع انحرافه عن المناهج الإلهية لكان ذلك هو القبح بعينه ، وتعالوا : ها نحن فى طمأنينة ونحن بعيدون عن شرع الله .

ماذا تريدون أيها المؤمنون من عالم القوى فيه يحكم بهواه ، والضعيف لاه عن خالقه ؟ إن الأمر الطبيعى أن يحدث ما نراه الآن من فوضى واضطراب وحروب .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وتدبروا دينكم ، واختاروا لأنفسكم ، واعلموا أن الله تعالى لدعاة الفتنة بالمرصاد ، والرسول ﷺ يقول فيما رواه أبو هريرة عنه :

« يخرج فى آخر الزمان رجال يحتلون الدنيا بالدين (أى يسرقونها) ويلبسون للناس جلود الضأن من اللين . ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب».

يقول الله عز وجل : « فبى حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيران » .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

---

(١) الواقعة : ٦٤ ، ٧٠

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد :

فأوصيكم إخوانى ونفسى بتقوى الله فاتقوه ، واعلموا أن الله حذرنا من أهل الأهواء حيث قال :

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمواتُ والأَرْضُ ﴾(١) .

فالناس قد اتبعوا أهواءهم فأفسدوا دنياهم ، ومعاذ الله أن يتبع الحق أهواءهم . تبنى السدود فيقال : لقد ضمنا أن نروى الأرض واطمأننا إلى وجود الماء ، ولكنا نقول : وإذا لم ينزل الله الماء من السماء فأى ماء تحجزه السدود . سبحانه وتعالى إليه يرجع الأمر كله .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم يسر أمورنا ، واغفر ذنوبنا ، وتوفنا مع الأبرار ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، وأصلح ذات بيننا ، ووفق ولاة أمورنا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

(١) المؤمنون : ٧١

لا تنقض عهدك مع الله

الحمد لله ذى العرش المجيد ، الولى الحميد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أذن الخير ، وبشير السلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه صلاة وسلاماً دائمين ما تعاقب الليل والنهار . أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

إن نقض العهد أولى صفات الفاسقين ، كما حدد ذلك الله تعالى فى كتابه حيث قال :

﴿ وما يُضِلُّ بِهِ إلا الفَاسِقِينَ . الذينَ يَنْقضُونَ عَهْدَ الله من بَعْدِ مِيثاقِه﴾(١) .

والعهد هو : العقد . والعقد يوحى بمعنى الشدة . وكما تدل الكلمة على العقد تدل على الالتقاء تقول : أنا قريب عهد بفلان . أى : قريب الالتقاء به . فالعهد : عقدة وشدة ، والتقاء .

والذى وثق هذا العقد هو الله سبحانه وتعالى ، قال سبحانه :

﴿ وَلقَدْ عَهِدْنَا إلى آدَم من قَبْلُ فَنَسِيَ ولم نَجِدْ له عَزْماً﴾(٢) .

ونقض العهد يعنى : حله وفكه . قال تعالى :

﴿ ولا تَكُونوا كالَّتى نَقَضَتْ غَزْلَها من بَعْد قُوةٍ أَنْكاثاً﴾(٣) .

والإيمان عقد ، ولذلك نسميه عقيدة . وما دمت قد تعاقدت مع ربك بالإيمان فلابد

---

(١) البقرة : ٢٦ ، ١١٥

(٢) طه : ١١٥

(٣) النحل : ٩٢

أن تنفذ بنود الإيمان .. أنت حر فى أن تؤمن أو لا تؤمن . ولكنك ما دمت آمنت فلابد أن تنفذ بنود عقد الإيمان .

وحين خلق الله لك عقلا تميز به فى أمور دنياك بين ما يضرك وما ينفعك ، كان يجب أن توجه هذا العقل إلى القمة التى وصلتك النعمة منها .

هب أنك فى صحراء ، وأقمت خيمتك ونمت ، وليس أحد معك ، ثم فوجئت صباحا بمائدة عليها طيبات الطعام ، بالله عليك ألست قبل أن تأكل تفكر فيمن جاءك بهذا الطعام ، لاسيما وأنت لا تعرف أحدا هناك ؟ هذا أول خاطر يخطر على بالك أن تقول : من الذى جاء بهذا الطعام ؟

وهب أنه صنع لك فى بيتك طعام أنت لا تملك أن يصنعه لك أهل بيتك ، أليس أول سؤال تسأله قبل أن تأكل : من الذى جاءنا بهذا الطعام ؟ فإذا قيل لك إنه أخوك فلان ، مال قلبك إليه بالثناء قبل أن تثنى عليه بلسانك إذا قابلته ؟

ولكنك لا تفكر فى النعم التى تعيش فيها كما تفكر فى الطعام الذى يصنع لك فى بيتك .. أنت فى الكون فوجئت بأنك مخدوم بنعم ، وهذه النعم أنت لم تنشئها ، ولم يدع واحد من الناس أنه أتاك بها ، أما كان من الواجب عليك أن تفكر لتفهم من أين جاءتك هذه النعم ؟

من الذى أنزل المطر من السماء ؟ من الذى شق الأرض عن النبات ؟ من الذى أتاك بالثمرات والطيبات ؟ من الذى أقدرك على العمل فى الأرض حتى تحصل منها على معاشك ؟ من الذى أمدك بالأبناء والزوجة ؟ من الذى حفظ عليك السمع والبصر والعقل ؟ من الذى سخر لك الأنعام ؟ من الذى استخلفك فى الأرض ؟

إذن فالعهد الأول هو عهد الفطرة فى أن تفكر باحثاً عن النافع الأول دائماً ، ولا تفكر فى النافع المباشر لك . وحين لاتفكر فى النافع الأول وهو الله سبحانه وتعالى مسخر الأسباب ، فاعلم أن هذا العهد الفطرى أنت نقضته .. وأنت تنقضه مع الأسباب فى حياتك الدنيا ، لأنك دائم التفكير فيما ينفعك وفيما يضرك من أمور دنياك ، دائم الشكر للأسباب الظاهرة ، ولكنك نقضت العهد مع ربك .

لقد خاطب الله خلقه خطاب الخالق للمخلوق فقال :

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكم ؟ قَالُوا : بَلَى ﴾[1] .

وأخذ الميثاق على الأنبياء أن ينصروا سيدنا محمداً ، وشهدوا على ذلك ، وشهد الله على شهادتهم ، وكان ذلك قبل أن يظهروا إلى الوجود فى عالم الدنيا .

ولقد شهد الله لنفسه بالوحدانية فقال :

﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إله إلاَّ هُوَ والملائِكَةُ وأولُو العِلْمِ قائماً بالقِسْطِ لا إلهَ إلا هُوَ العَزيزُ الحكيمُ ﴾[1] .

وشهد رسول الله ﷺ بأنه رسول الله ، ومع ذلك فالفاسق ينقض هذا العهد الفطرى ، فلا يفكر فيمن أنعم عليه ، بل يرفض هذا العهد الوثيق الذى ربطه الله تعالى به فكرياً .

فاتقوا الله عباد الله ، وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسئولا ، تفرغوا لله وحده يكفكم ما أهمكم ، كما قال تعالى فى الحديث القدسى .

يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى ، وإلا تفعل أملأ يدك شغلا ، ولم أسد فقرك » .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

* * *

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد :

فأوصيكم عباد الله بتقوى الله فاتقوه . واعلموا أن أولى مراتب الفسوق نقض العهد ، ونقض العهد ينسحب على كل شىء ألزمت به نفسك ، سواء كان مع الله أم كان فى حركة حياتك ، أنت حر فى أن تعاهد أو لا تعاهد ، ولكن إذا عاهدت فلابد أن تفى بالعهد .

---

(١) الاعراف : ١٧٢

(١) آل عمران : ١٨

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ماأحييتنا ووفقنا إلى ماتحب وترضى ، وأقم الصلاة .

* * *

لا تقطع ما وصله الله

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

قطع ما أمر الله به أن يوصل صفة من صفات الفاسقين . قال تعالى فى وصفهم :

﴿ الذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيقْطَعُونَ ما أمرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ ﴾(١) .

وقطع ماأمر الله به أن يوصل خاص بما بين المؤمن وغيره من الصلات التى أمر الله بوصلها وقد يكون الموصول بين الإنسان وغيره ، هو رباط الإنسانية لا رباط الرحم القريبة . وفى ذلك يروى أن معاوية رضى الله عنه كان جالسا ، فجاء حاجبه وقال له : يا أمير المؤمنين ، بالباب رجل يقول إنه أخوك . فقال : كيف لا أعرف إخوتى ؟ ائذن له . فدخل الرجل ، فقال له معاوية : أى إخوتى أنت ؟ قال أخوك من آدم . قال : رحم مقطوعة ، والله لأكونَنَّ أول من وصلها . وقضى له حاجته .

وما دمنا جميعاً لآدم ، فهناك أخوة إنسانية تجمع البشر جميعاً ، لأن الأب واحد ، قال الله تعالى :

﴿ إنَّا خلَقْنَاكُمْ من ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجعَلْنَاكُمْ شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(٢) .

وقال رسول الله ﷺ « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

---

(١) البقرة : ٢٧

(٢) الحجرات : ١٣

أيها المؤمنون :

انظروا إلى القضية الإيمانية فى الواحد مع أولاده ، وفى الواحد مع أسرته ، وفى الواحد مع أهله ، وفى الواحد فى قريته.لماذا هناك حنان ورحمة وعطف فى الواحد مع أولاده ؟ لأن هناك صلة رحمية ، هذه الصلة الرحمية يجب أن تنسحب على الواحد وأسرته ، وعلى الواحد مع أهل قريته ، وعلى الواحد وجميع الخلق .

وما دامت هناك رجولة إيمانية فأنت تقول : كلهم إخوتى ، ولذلك فالرسول ﷺ يقول : « المؤمن أخو المؤمن لايظلمه ولا يسلمه ولا يخذله » .

والله تعالى يقول : إنَّما ﴿ **إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[1] .

إذن فكل ما يؤدى إلى قطع ما أمر الله به أن يوصل من روابط الرحم النسبية والإسلامية والإنسانية فهو ظاهرة من ظواهر الفسق ، وعلامة من علامات الفاسقين . وكل ما يؤدى إلى الالتحام فهو ظاهرة من ظواهر الإيمان ، وتشريع الدين يقرر أن كل ما يربطك بالناس من أخلاق الإسلام شيء عظيم ومريح ، حتى إنه لو لم يكن فى المجتمع إيمان لأحب الناس أن يكون هناك إيمان ، لأنهم جربوا ما يعود به الإيمان على المجتمعات من حب وهدوء وتعاطف .

إن الناس فى غفلة عن بؤس البائسين ، والدين يطلب منا أن تكون بيننا وبينهم أخوة ، والرسول ﷺ يريد منا أن نتساند معهم فيقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . فحينما لا أكون كذلك ، فقد قطعت ما أمر الله به أن يوصل .

لو أن كل واحد منا وضع خريطة لموقعه من بلده ، أو شارعه ، إن كان فى المدينة ، ثم عد الفقراء والمحتاجين فى هذا الموقع أو فى ذلك الشارع ، ثم نسب هؤلاء الفقراء إلى أهليهم وذويهم وأقاربهم ، فسيجد لكل فقير عشرة أقارب مثلا ، ولكن هؤلاء العشرة قطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، فاضطر هؤلاء الفقراء أن يسألوا ويتسولوا من ناس آخرين غير أهليهم . ولذلك فقد شرع الله الزكاة ، لأن الناس قد مالوا إلى قطع ما أمر الله به أن يوصل .

كيف يكون الله مع الناس وهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، اذا كان هناك فقير أو عاجز ، وبطنه يطالبه بالطعام ، وأولاده يطالبونه بالطعام والكسوة ، ثم لا يجد من يمد له

---

(١) الحجرات : ١٠

يد العون ، صلة لما أمر الله به أن يوصل ، فماذا سيكون الموقف ؟ إنه سيتشكك فى ربه ، فأنت إذن تقطعه عما أمر الله به أن يوصل ، بعد أن قطعت أنت ما أمر الله به أن يوصل .

لقد قطعت أنت ما أمر الله به أن يوصل ، وتسببت بعملك هذا فى أن يقطع غيرك ما أمر الله به أن يوصل من عهد الإيمان . ولذلك فقد وصف الله من يقطع ما أمر الله به أن يوصل بأنهم مفسدون فى الأرض .

لكن من يجد أخوة إيمانية تصل ضعفه بقوتها ، وفقره بغناها ، وخوفه بأمنها ، فإنه سيؤمن بالله الذى ضمن له كل ذلك فى تشريعه .

فاتقوا الله وصلوا ما أمر الله به أن يوصل ، يكن لكم وصف الإيمان الحق ، ويكن للمجتمع الإسلامى كل الأمان ، وكل الحب ، وكل السلام .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

فأوصيكم ونفسى بتقوى الله فاتقوه . واعلموا أن الإسلام لم ينتشر فى البلاد المفتوحة إلا بالأسوة الإيمانية الحسنة ، بتنفيذ شرائع الإسلام ، فكان كل من رأى المسلم يقول : إنه دين عظيم حقاً ، كان المسلم وحده وسيلة إعلام للإسلام تفوق أى وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة .

أما الذين يظهرون الآن فى البلاد الإسلامية بمظهر غير أهلها ، النساء متبرجات ، راقصات مع الرجال ، سافرات على موائد القمار ، يعاقرون جميعاً الخمر ، يحسبون أنهم يقيمون الدليل على تقدم بلدهم ، هؤلاء يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، لأنهم يقطعون أفكار الناس عن أن تفكر فى الإسلام كدين له تقاليده وشرائعه وأخلاقه ، وتدفعهم إلى اتهامهم بالفوضية والانحلالية .

اللهم اغفر لنا ، وسامحنا ، واهدنا ، ويسر أمورنا ، وافتح بصائرنا ، وأرنا الحق حقاً فنتبعه ، والباطل باطلا فنجتنبه ، ووفق ولاة الأمر إلى ما فيه خير المسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيرا ، وأقم الصلاة .

لا تخرج عن الصلاة بأفكارك

الحمد لله على نعمة الإيمان به ، والحمد لله على شرف الإسلام له ، وصلى الله على سيدنا محمد أذن الخير التى استقبلت آخر رسالات السماء لهدى الأرض ، ولسان الصدق الذى بلغ عن الحق مراده إلى الخلق . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه وسلم تسلمياً كثيرا . أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

إن كثيراً من المصلين تمر بقلوبهم ونفوسهم خواطر فى موضوعات بعيدة عن الصلاة أثناء الصلاة ، والكثيرون يشكون من هذه الخواطر ، ويسألون عن مخرج لهم منها .

أما السرحان فى الصلاة فهو ظاهرة ، إلا أن هذه لا تقف عند حدها كظاهرة ، بل يكون فيها عمل اختيارى للإنسان .. فأثناء الصلاة يأتى الشيطان ليأخذك من صلاتك ، فيسلمك إلى خاطر من الخواطر ، وأنت حينئذ لا تنتبه إلى أن الشيطان أخرجك مما أنت فيه من الصلاة إلى خاطر أجنبى عنها ، لأن الشيطان يعطيك الخيط ، ثم تبدأ أنت تجرى بفكرك وراءه ، وتعيش فيه .

إن الذى ستؤاخذ عليه ليس الخاطر الذى يمر بك ، ولكنك ستؤاخذ على استطراد ذلك الخاطر ، وعلى السير معه إلى نهايته .

وحينما حدث الجدل بين الشيطان وربه ، وامتنع عن السجود لآدم ، هل قال إبليس لله : إنه سيقعد لعباده على الطريق المعوج ؟ لا بل قال : ﴿ **لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[1] .

---

(١) الاعراف : ١٦

لأن العبد الذى يعيش على الطريق المعوج لا يحتاج إلى الشيطان .. فالشيطان لا يقعد عند الخمارة ، إنما يقعد عند باب المسجد .

ولحظة الصلاة هى أقرب ما يكون العبد فيها إلى الله ، والشيطان يريد أن يفسد هذه الخلوة بين العبد وربه ، فيأتى لك بخاطر ... يأتى لك بالعقدة التى لم تكن تعرف حلها قبل الصلاة وينبش لك فيها ، وخيبة الإنسان فى هذه اللحظة أنه ينقاد للشيطان ، ويبحث فى حل تلك العقدة ، ويظل يرتب النتائج على المقدمات .

فلو أن الإنسان حين مسه هذا الطائف من الشيطان تذكر الله واستعاذ بالله من الشيطان لامتنع وعادت إلى الإنسان خلوته وصفاؤه مع ربه . فالله تعالى يقول :

﴿ إن الَّذينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ من الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فإذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾(١) .

ويقول :

﴿وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ من الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بالله ﴾ (٢) .

هذا هو العلاج ، لأنه لا يقدر على الشيطان إلا خالقه ، لكننا إذا لم نقاومه بهذه الطريقة التى أرشدنا إليها الله تعالى ، فماذا تكون النتيجة ؟ سيأتى إبليس يوم القيامة ويقيم الحجة على من اتبعه ويقول :

﴿ وما كانَ لِي عَلَيْكُمْ من سُلطَانٍ إلاَّ أن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لى فلاَ تَلُومُونى ولُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٣) .

ويروى عن الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه أنه ذهب إليه شخص وقال له : يا إمام ، لقد كان عندى مال ، وخبأته فى باطن الأرض ، ثم نسيت مكانه ، فأين أجده ؟ فقال له أبو حنيفة : ليس لى فى ذلك علم ، ولكنى أحتال لك . إذا جاء الليل بعد صلاة العشاء فقم وتهجد لله طول الليل ، وفى صلاة الفجر جاء الرجل لأبى حنيفة وقال له : لقد وجدت المال . فقال أبو حنيفة : كيف ؟ قال : لقد فعلت ما أمرتنى به ، وأثناء صلاتى بالليل تذكرت مكان المال ، فقال أبو حنيفة : والله لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تتم ليلتك مع ربك ، وسيأتى لك بخاطر يحدثك به عن موضع المال ، وستنقاد طوعاً للشيطان لتصل إلى مكان المال ، فهلا أتممتها شكراً لله .

---

(١) الاعراف : ١٠٢

(٢) الاعراف : ٢٠٠

(٣) ابراهيم : ٢٢

إذن فانسرحان فى ذاته لا ضرر منه ، إذا راجع المؤمن قلبه ، وعاد إلى صفائه مع ربه ، أما إذا استرسل فى الخاطر ، واستمر فى التفكير فيه بعقله ، ورتب النتائج على الأسباب فهذا يفسد الصلاة .

فاتقوا الله ، واعلموا ما فى الصلاة من فيض الرضا من الله على العبد ، واحرصوا على قلوبكم مع ربكم فيها ..

قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ، ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل » ..

قال رسول الله ﷺ : يقول العبد : الحمد لله رب العالمين . يقول الله تبارك وتعالى : حمدنى عبدى . ويقول العبد : الرحمن الرحيم . يقول الله : أثنى على عبدى . ويقول العبد : مالك يوم الدين . يقول الله : مجدنى عبدى . ويقول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين . يقول الله : هذه بينى وبين عبدى ، ولعبدى ماسأل . يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . يقول الله : فهؤلاء لعبدى ، ولعبدى ماسأل .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

الزكاة والتأمين ضد العجز

الحمد لله غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى والشفيع لأمته يوم الحساب . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

واجهتنا آية فى القرآن الكريم معناها أن الله لايأمرنا بأداء الزكاة فقط ولكن يأمرنا بأن نفعل فعلا لقصد أداء الزكاة . وهناك فرق بين أداء الزكاة ، والعمل لقصد أداء الزكاة . قال الله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الذينَ هُمْ فى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . والذينَ هُمْ عن اللغوِ مُعْرِضُونَ . والذينَ هُمْ للزَّكاةِ فَاعِلونَ ﴾ (١) .

لم يقل الله تعالى : والذين هم للزكاة مؤدون . ولو أنه تعالى قال : مؤدون . لكان المقصود منها : حينما يكون مال ، فعليك أن تؤدى الزكاة . ولكن قوله : (فاعلون) غير هذا . معناها : أن حركتك فى الحياة سبقتها نيتك أن تكسب وتعول من تعول ، ومن لايقدر على العمل من إخوانك المسلمين تعطيه من فضل الله .

إذن فعملية الغير تكون فى بالك أثناء العمل .. لاتعمل لتنفع نفسك ومن تعول فقط ، بل قل : الضعيف الذى لايقدر على العمل له نصيب من مالى على قدر استطاعتى .

إن غير المؤمن يفعل ويتحرك لنفسه ، ولأهله ، حتى وإن لم يكن متديناً ، إذن

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٤

فمافائدة الدين ؟ فائدته أن يصعد حركتك ، فيجعلك تعمل لنفسك ولأهلك ولمن لا يقدر على العمل ، أو لمن كان حظه من الكسب قليلا ، فكأن قضية الزكاة فى بؤرة شعورك ساعة الحركة بالعمل ، وذلك لا يتأتى إذا تحركت لتنتج على قدر استهلاكك واستهلاك ذويك .

المؤمن يقول : أنا لست وحدى فى الكون ، بل هناك أناس لا يقدرون على العمل ، والله خلقهم فى الحياة لاضنا منه عليهم بالخير ، ولكن تربيباً لفائدة الذكرى فى نفس الإنسان حين يرى غيره غير قادر على العمل ، وهو قادر عليه ، وكلهم خلق الله .

فساعة يرى المؤمن ذلك تتحرك فى نفسه أريحية ، هذه الأريحية تقول : وهبنى أنا غير القادر ماذا كنت أحب من مجتمعى ؟ أحب أن يتحرك القادر حركتين : حركة تسعه هو ومن يعول ، وحركة تسع من لا يتحرك ولا يقدر على الحركة.شكرا للذى جعله قادرا ، ورفع عنه إصر الضعف فى هذه الحياة .

وبعد ذلك تأتى أغيار الحياة . يعنى : عدم ثبات المتحرك فيها . نجد واحداً كان قوياً وأصبح ضعيفاً ، والمؤمن يقول : كذلك أنا اليوم قوى ، وغداً يمكن أن أكون ضعيفاً ، فمصلحتى أن أعين بحركتى الضعيف ، حتى يمكن لمن هو أقوى منى فيما بعد أن يعين ضعفى ، فالله تعالى خلق الأيام دولا ، يوم لك ويوم عليك ، وخلق الفقر مستطرقاً فى الخلق جميعاً ، حتى يظل الإنسان وهو قادر مستشعرا أنه سيعجز ، وحينئذ فمن مصلحته أن يتحرك حركة تتسع له ولأهله ، وحركة تتسع للضعيف والعاجز .

أيها المؤمن :

إنك لاتشعر بنعمة عينيك إلا حينما ترى أعمى يتعثر ، حينئذ تفيق لنفسك ، ولا تشعر بقوة سعيك إلا إذا رأيت أعرج . ولا تذكر قدرتك على الحركة ، وانفعال جوارحك لإرادتك ، إلا إذا رأيت مقعداً أو مشلولا يريد أن يتحرك فلا يتحرك .

إذن فهؤلاء جعلهم الله وسائل إيضاح ، وحوافز خير لمن أراد أن يذكر ، أو أراد نعمة الرضا من ربه .

إن الله تعالى وعد الذين يتحركون لأنفسهم ولغيرهم بالنماء والزيادة فقال :

﴿ مَثَلُ الذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فى سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبتتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فى كلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ ﴾ (١) .

---

(١) البقرة : ٢٦١ .

وأبو هريرة يروى أن رسول الله ﷺ قال :
يقول الله تعالى : « أنفق يا ابن آدم أنفق عليك » .
أو كما قال : ادعوا الله وأنتم واثقون بالإجابة .

* * *

الحمد ﷺ رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد :

فأوصيكم إخوانى ونفسى بتقوى الله فاتقوه . واعلموا أن الله تعالى لا يريدنا نسخاً مكررة بعضنا من بعض ، ولذلك ربط بعضنا ببعض ، ربطاً نفعياً ، فلو احترم كل منا قدر الله فيه لكان القدر خيراً له ، ولاتجه بكل جوارحه إلى تلك الشركة التى صنعها الله فى شريعته للتأمين على الناس ضد الفقر والعجز وكل كوارث الحياة .

اللهم اغفر لنا ، واهدنا ، وبصرنا بديننا ، واجعلنا محبين لإخواننا ، وارزقنا القوة على عونهم ، والسماحة فى إعطائهم ، واجعلنا إخوة متحابين متعاطفين كما تحب يارب العالمين ، ووفق ولاة أمورنا إلى ماتحب وترضى ، ويسر أمورنا ، وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

من أسرار صلاة الجمعة

الحمد لله الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قاسم الخير وماحى الظلم ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إذا نُودِىَ للصَّلَاةِ من يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلى ذِكْرِ الله وذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خيرٌ لَكُمْ إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

لم يفرض الله سبحانه وتعالى الجماعة فى صلاة مكتوبة إلا فى صلاة الجمعة . والسر فى ذلك: أن الله تعالى يريد العمل الفردى والجماعى له سبحانه.. يريد من كل فرد منا أن يعلن ولاءه. لله منفرداً ويعلنه جماعياً فى جُمَع من الناس ، فالولاء الفردى لله يعلنه الإنسان وحده ، أما الولاء الجماعى فهو إعلان بالعبودية لله تعالى أمام خلق الله فحينئذ ينقطع فى البشر مظهر الاستعلاء والكبر .

فكأن الله تعالى يقول : إنى أريد أن تعلنوا جميعاً ولاءكم لى ، لا من وراء بعضكم البعض ، ولكن باجتماعكم ، حتى إذا ما رأى الضعيف من هو أقوى منه فى حركة الحياة مساوياً له فى السجود لربه ، استقر فى ذهنه أنه متساو مع غيره ، واستقر فى ذهن القوى أن غيره قد رآه ساجداً لله . ولذلك شرع اللقاء الجماعى كل أسبوع مرة للقضاء على الكبر من النفوس .

استمع إلى قوله تعالى : ﴿ **إلى ذِكْرِ الله** ﴾. فكأن هذا اللقاء يذكرنا بعظمة الحق

---

(١) الجمعة : ٩ .

سبحانه وتعالى ، ولا ينشئها من جديد ، هو تذكير بعظمة الله ، لأن الإنسان عرضة لأن ينسى بمرور أيام الأسبوع ، والإنسان منه القوى ومنه الضعيف ، فيتأصل فى ذهن القوى أنه قوى ، وفى ذهن الضعيف أنه ضعيف . إذن فلا بد أن نتذكر أننا عبيد ، ولا صلة لنا بربنا إلا بأننا عبيد ، فنذهب حتما إلى صلاة الجمعة مرة فى الأسبوع ، حيث يستوى الناس جميعاً فى العبودية لواحد هو الله .

وهذا علاج لمرض خطير من أمراض النفوس .

واستشعار الولاء الجماعى لله تعالى ينشىء ولاية مسنطرقة بيننا من الله تعالى لنا ، وقد وجهنا الله تعالى إلى هذا الولاء المستطرق فى فاتحة الكتاب التى نقرؤها فى الصلاة ، ففيها يعلمنا الله أن يقول المصلى :

« إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم » .

كان المفروض أن يقول : إياك أعبد وإياك أستعين . اهدنى الصراط المستقيم ، ولكنك تقول هذا عنك وعن غيرك ، وغيرك يقول عن نفسه وعن غيره ، فكل من فى الجماعة دعا لك ، وأنت دعوت لكل من فى الجماعة .

فإذا كان أحد الصالحين موجوداً فى الجماعة فإن الله تعالى يستجيب دعاءه للجميع بكرمه ، لأن الله تعالى إما أن يقبل الجميع أو يرفضهم جميعاً ، ولما قبل دعاء الصالح للجميع فإنه تعالى يقبل كل الجماعة فضلا منه وكرماً .

ولهذا الحكم نظير فى شريعة الإسلام ، هو « خيار العيب » . فحينما أشترى شيئا فإن لى خيار العيب ، أى إذا ظهر فيه عيب فإن لى أن أقبله كله أو أرده كله . وليس لى أن أنتقى الجيد وأرد الردىء ، فإذا كان الله علمنا هكذا بالنسبة لأنفسنا ، أفلا يصنعها بالنسبة له سبحانه وتعالى وهو الأعز الأكرم ؟

أيها المسلم :

إذا وجدت إنساناً مقبلا على العبادة من الضعفاء وأنت غافل عنه فإياك أن تحتقره ، لأنك ستحشر نفسك معه وقت ما يتقبل الله عملك معه ، من خيرك يا أخى المسلم أن يوجد ناس منقطعون للعبادة ، فلا يكن حظهم منك أن تحتقرهم ، لأنك باحتقارك لهم تقلل على نفسك أطواق النجاة .. لاتحتقر عابدا لأنه يقدم لك طوقاً من أطواق النجاة بدعائه المقبول إن شاء الله .

إذا عملت عملا وحدك فقد يكون غير مقبول ، ولكن إذا دخلت معه فى هذا العمل فهو مقبول بإذن الله . إذن فمن مصلحتك أن تحترم العابدين لأنك وجدت طوقاً من أطواق النجاة ينقذك من الخطر . فاتقوا الله فى الضعفاء واتقوا الله فى الأخفياء ، فهم الخير كل الخير .

إذن فالله تعالى حين يرغم الناس على أن يشهدوا الجماعة فى صلاة الجمعة فإنما ذلك لمصلحة الناس وحدهم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

فالله تعالى يقول بعد الأمر بصلاة الجمعة فى جماعة :

﴿ **فَإِذا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فى الأَرْضِ وابْتَغُوا من فَضْلِ الله** ﴾ .

هذا أمر بالضرب فى الأرض ابتغاء للرزق بعد الصلاة . والأمران ممن له حق الأمر ، وهو الله تعالى ، فإذا طبقنا الأمر فنودى للصلاة فذهبنا ، ولم نطبق الأمر الثانى ، نكون قد أهملنا شقاً أساسياً من التكليف .

فالضرب فى الأرض هو المقصود من الخلافة فى الأرض . فإذا لم يضرب الناس فى الأرض ، واقتصروا على ما تؤتيهم الأرض من خيرها فإنهم يكونون قد قصروا فى منهج الله .

وحركة الإنسان فى الأرض لا تخلق الرزق ، وإنما هى لكبح غرور الإنسان ، فالله تعالى يقول :

﴿ **فَامْشُوا فى مَنَاكِبِها وكُلُوا من رِزْقِهِ** ﴾.

فاتقوا الله وقوموا على أمره ، وافهموا عن الله مقاصد دينه ، أفهمنا الله وإياكم ، ورزقنا وإياكم ، وأعاذنا جميعا من كل ما نكره ، وهيأ لنا الرشاد والسداد ، إنه سميع قريب مجيب .

قانون الفرح والحزن

الحمد ﷻ اللطيف الخبير بعباده ، العليم بخلقه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الرءوف بأمته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على هداه الى يوم الدين . أما بعد :

فيا أيها المؤمنون :

من كمال رحمة الله بنا أن شرع لنا ما يحفظ علينا أجهزتنا النفسية والعصبية من التدهور والانحلال ، فشرع لنا ألا نحزن على شيء فات ، وألا نفرح بشيء آت . قال الله تعالى :

﴿ لِكَيْلاَ تَأسَوْا على ما فَاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بمَا آتاكُمْ ﴾ (١) .

فالإنسان لا يعرف ما آتاه الله إن كان خيرا أو شرا .. يطلب المال أو غير المال فيأتيه ، ولكنه لا يعرف إن كان خيرا أو شرا . والله تعالى يرشدنا إلى أن الفرح بالشيء لذاته غير صحيح ، كما يرشدنا إلى أن ما فات لايرد ، والأسى عليه يضعف طاقتك ، ويثبط همتك .

بهذا المنهج يرشدنا الله لاستقبال أحداث الحياة ، واستقبال أحداث الحياة أمر طبيعى ، لوجود الإنسان فى معترك يضم المستقيم على المنهج ، والمنحرف عن النهج ، إذن فوجود الأحداث مسألة عادية ، ومادام وجود الأحداث مسألة عادية ، فلابد من تشريع ينشيء مناعة ضد الأحداث .

فالأحداث تأتى للإنسان ما دام متغيرا ، وما دام يتعامل مع عالم متغير فيجب أن

---

(٢) الحديد : ٢٣

يوطن نفسه على وجود الأحداث . والله تعالى يوصينا فى الآية ألا نعيش فى الحدث غير زمنه ، فإذا انتهى زمنه يجب أن ينتهى شغلك به ، أو أن تأخذ منه العبرة فى المستقبل . أما أن يكون الحدث مثبطاً لهمتك ، ومضعفاً لطاقتك ، فاعلم أنك أنت الذى أردت إحياء الحدث من الماضى إلى المستقبل ، وليس هذا من العقل .

ويجب كذلك على المؤمن أن يوطن نفسه على أن الأشياء التى تأتيه وإن كانت تعجبه ، فإنه لابد أن يستقبلها كنعمة من الله بالحمد ، وإياك أن تفرح بها ، لأن النعمة فى ذاتها غير مفرحة ، لأنها قد تضرك وقد تغريك بمعاصٍ ربما لا تفكر فيها لولا هذه النعمة من المال أو الصحة أو الجاه والسلطان .

وأنت لاتفرح بالشىء إلا إذا تحققت لك غايته ، وغايته ليست مجرد حصولك عليه ، وإنما غايته هى : إنفاقه فيما يحب الله . وعلى هذا ، فالفرح يجب أن يؤجل إلى أن تعرف : هل وفقت فى أداء حق النعمة التى أعطاك الله إياها أم لا .

ولذلك فقد شرح لنا الحق سبحانه هذه القضية التى تتوقف عليها حركة الكون والآمال فقال :

﴿ فامّا الإنسَانُ إذا ما ابْتَلاهُ ربُّه فَأكْرَمَهُ ونَعَّمَهُ فيقُولُ ربِّى أكْرَمنِ . وامَّا إذاَ ما ابْتَلاهُ فَقدَرَ عليهِ رزْقَهُ فيقولُ ربّى أهانِنِ ﴾ (١) .

هذا ما يقوله الإنسان ، فهل صوب الله منطق الإنسان فى الأولى ، ومنطقه فى الثانية أم خطأه ؟

قال تعالى : (كلا) يعنى : لا منطقه فى الأولى صحيح ، ولا منطقه فى الثانية صحيح ، لأن النعمة لا يصح الفرح بإيتائها ، وإنما يصح الفرح بمصرفها .

﴿ كَلاَّ بَلْ لاَ تُكْرِمُونَ اليتيمَ . ولا تحاضُّونَ على طَعامِ المِسْكينِ . وتأكُلوَنَ التُّراثَ أكلاً لمّاً . وتُحبِونَ المالَ حُبًّا جَماً ﴾ (٢) .

فمادمتم لا تكرمون اليتيم يامن أعطيتكم النعمة ، ولا يأمر بعضكم بعضا باطعام المساكين ، فالنعمة حجة عليكم ، فالاكرام ليس فى الاتيان ، لكن الاكرام فى إنفاق ما آتاك الله .

---

(١) الفجر : ١٥، ١٦

(٢) الفجر : ١٧ ، ٢٠

والحق قد صنف أصنافاً فى الحديث القدسى فقال :

« أحب ثلاثاً ، وحبى لثلاث أشد ، أحب الغنى الكريم ، وحبى للفقير الكريم أشد . وأحب الفقير المتواضع ، وحبى للغنى المتواضع أشد » . لأن عنده أسباب الكبر ولم يستعملها . « وأحب الشيخ الطائع ، وحبى للشاب الطائع أشد » لأن عند مقومات الفساد ولم يستعملها .

« وأبغض ثلاثاً ، وبغضى لثلاث أشد : أكره الشاب العاصى ، وكرهى للشيخ العاصى أشد ، وأكره الغنى المتكبر ، وكرهى للفقير المتكبر أشد . وأكره الفقير البخيل ، وكرهى للغنى البخيل أشد » .

فإن كنت فى مجتمع غنيه كريم ، وفقيره متواضع ، وشابه طائع ، فتلك هى المدينة الفاضلة بحق ، وهى القمة ، والدون هو المقابل ، وهو المجتمع الذى غنيه بخيل ، وفقيره متكبر ، وشابه فاسق .

وحينما ينصحنا الله تعالى ألا نأسى على ما فات ، ولا نفرح بما هو آت ، فكأنه يقول لنا : ايتاء النعم قد يكون فتنة ، لأنك قد لا تؤدى حق الله فيها ، فتكون النعمة حجة عليك .

وإن كنت تأسى على ما فات ، فأنت تشغل النفس فيما لا يجدى ، وليتك شغلت نفسك فيما يجدى وينفع .

والهم يأتى من شىء قد تعرف مصدره ، أو لا تعرف مصدره ، فلا قوة لك على دفعه ، وهذا أشد ما يفتك بالنفس البشرية : أن يأتى عليها هم لا تعرف مصدره ، أو تعرف مصدره ولا تستطيع أن تدفعه ، وهذا هو الهم المعقد .

والإيمان ميزته أنه يرفع الهم عن الإنسان بأن له رباً فوق الأسباب ، وما دام الله فوق الأسباب فقد شرع المنهج الذى يرفع عنى كل ضر ، ويجلب إلى كل خير .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

الجوع فى الإسلام

الحمد لله الذى عم فضله الكائنات ، واختار من بين الكائنات آدم لخلافته ، فكرمه وشرع له ما يحفظه ظاهراً وباطنا من كل سوء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نموذج الإسلام الكامل ، والأسوة الحسنة الفاضلة ، والسعادة الدائمة . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ومن تبعهم بإحسان ... وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

هناك قاعدة يطلقها الله فى الكون ، هى أن الإيمان أمن . ومعنا أن كل شىء يصيبك من غير حركة منك لابد أن تقدر فيه الخير ، وما دمت تقدر فيه الخير فطاقتك الفكرية لن تتوزع فى الحزن أبداً .

والحق سبحانه وتعالى جعل المادة تكويناً طبيعياً قواماً ، والمادة التكوينية هى الطعام والله تعالى يقول لنا :

﴿ وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا ﴾ (١) .

ويقول :

﴿ إن المُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوانَ الشَّياطِينِ وكانَ الشَّيْطانُ لربِّه كَفُوراً ﴾ (٢) .

والرسول ﷺ يفسر هذا التشريع فيقول : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

---

(١) الاعراف : ٣١

(٢) الاسراء : ٢٧

ويقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، فإن كان ولابد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه » .

ويقول : « المؤمن يأكل فى معى واحد ، والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء » .

وإذا تتبعت الناس جميعاً ، فإنك لاتجد فى الوجود إنساناً لا يأكل إلا إذا جاع وإذا أكل لا يشبع ، ثم يصاب فى معدته بشىء يفسد أى جهاز فيه .. هذا لا يمكن أبداً . وهكذا الاعتدال فى المسائل المعنوية ، كالحركة الفعلية والنفسية والوجدانية .

إذا قال لنا الحق سبحانه وتعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا) . فهذا هو المستوى الرفيع فى الاقتصاد ، لأن الإنسان إذا جاع فأى طعام يكفيه .. أما تلوين الأطعمة فيصيب النفس بالملل ، فنضطر إلى أن نحمل أنفسنا على الطعام باستعمال المشهيات .

هناك فرق بين أن تحملك نفسك لتأكل ، وبين أن تحمل نفسك لتأكل . وقوام الحياة أن تحملك نفسك لتأكل ، فاذا جعت فأى كسرة من الخبز تكفيك . وقد فطن العربى القديم إلى ذلك قال : « نعم الإدام الجوع » لأن الجوع يجعل الإنسان يقبل على الطعام بنفس راضية .

والذين يشكون من صدود نفوسهم عن الطعام لا يأكلون وهم جائعون ، وانما يحملون نفوسهم على الطعام باستعمال المشهيات وغيرها ، أما الذى يأكل وهو جائع ، فانه يقبل أى طعام بنفس منفتحة .

إن إرغام النفس على الطعام من أخطر ما يكون على صحة الإنسان . تأمل قول الرسول ﷺ : « إن كنت ولابد آكلا فثلث لطعامك ، وثلث لشرابك ، وثلث لنفسك » .

ما دخل التنفس فى المعدة ؟ التجارب تقول : إنك إذا شبعت ، فالمعدة تضغط على الحجاب الحاجز ، والحجاب الحاجز يضغط على الرئة ، ومعنى الضغط على الرئة تقليل حجمها ، وعليه يكون الهواء الداخل اليها قليلا ، لا يكفى لإمداد الجسم بالأكسوجين ، وهذا يضر القلب بصفة خاصة .

فاتقوا الله فى أجسادكم ، وفى صحتكم ، فقد جعلها الله لكم لكى تعمروا الأرض ، وتجاهدوا فى سبيله ، لا لتهدموها طاعة لهوى النفس .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

الإسلام والأديان الأخرى

الحمد لله الذى ختم الرسالات برسالة محمد ، والصلاة والسلام على خاتم رسله سيدنا محمد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ما تعاقب الليل والنهار .. أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

جاء الإسلام والعالم يومئذ معسكران : معسكر ملحد بالله ، لا يؤمن إلا بالمادة . ومعسكر مؤمن بالتقاء السماء بالأرض فى منهج رسل إلى خلقه . فكان الإسلام منطلقا من واقع الحياة .

استقبل كل معسكر بما هو أهله ... استقبل الإلحاد بلا هوادة ، وعاداه عداوة سافرة ، لأن الخلاف معه إنما هو فى قمة التدين ، وهو وجود إله مدبر لهذا الكون .. وواجه الآخرين الذين يؤمنون بوجود رسالة من السماء ، وبوجود إله ، وإن كانوا لا يؤمنون برسالته هو ، وهم أهل الكتاب ، الذين نسميهم باليهود والنصارى ، فكيف واجههم ؟

استقبلهم بسماحة وأمن وسلام ، فذكر كل الخواص التى كرم الله بها رسولى الديانتين العظيمتين ، كرم موسى تكريماً لا حد له ، وعيسى كذلك ، ونفى عن عيسى كل ما يمكن أن تتهم به أمه ، كرم الرسولين تكريماً ، ليقر مبدأ التقاء السماء بالأرض .

كان هناك صراع بين الفرس الذين كانوا يمثلون المجوسية الملحدة ، وبين الروم الذين كانوا يمثلون أهل الكتاب ، وكان أقربهما إلى قلب الرسول ﷺ هم أهل الكتاب ، ولذلك لما نشبت المعركة بين الروم والفرس حزن رسول الله ﷺ ، وحزن المؤمنون ، لأن العداء بين المسلمين والملحدين فى القمة ، ولكن الخلاف بين المسلمين وأهل

الكتاب حول تصور الإله ، أما التقاء السماء بالأرض ، وخضوع الأرض لمنهج السماء ، فأمر متفق عليه ، ولذلك كان قلب الرسول ﷺ وقلوب المؤمنين مع أهل الكتاب .

وفى ذلك ينزل القرآن ، ليدل على أن الإسلام أحب الذين كفروا بمحمد ﷺ ، ولكنهمآمنوا بالله ، وكره الذين كفروا بالله .

إذن فعصبية محمد ﷺ لربه كانت أقوى من عصبيته لنفسه ، لأن الذين كفروا به كانوا أقرب إلى قلبه من الذين كفروا بالله ، وقد سجل القرآن هذه الحقيقة فى قوله تعالى :

﴿ غُلِبَتْ الرُّومُ فى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ من بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فى بضْعِ سنينَ . الأمرُ من قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ ويوْمئِذٍ يفرحُ المؤمنونَ بِنَصرِ الله ﴾ (١) .

إذن فنصر أهل الكتاب على المنكرين للألوهية يجب أن يفرح به المؤمنون ، لأنهم جميعا مؤمنون فى القمة ، وإن كانوا مختلفين فى الرسول الذى بلغ .

وهم وقفوا من محمد ﷺ موقف النكران ، ومع ذلك فقلوب المؤمنين معهم ، وبشارة الله للمؤمنين بأن الله سينصر أهل الكتاب كانت مصدر فرح للمؤمنين . كما قال تعالى :

﴿ ويَوْمئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنونَ بِنَصْرِ الله ﴾ .

فهل رأينا سماحة فى الإسلام أحلى من هذه السماحة ، قلوب المؤمنين بمحمد ﷺ مع المؤمنين بالله ، وإن كانوا كافرين بمحمد ﷺ .

ومن سماحة الإسلام أنه أعطى أهل الكتاب حقهم ، فلم يظلم أحدا من أهل الديانتين ، لم يحكم على كل اليهود بشىء يكون نقيصة فيهم ، ولم يحكم على النصارى بذلك ، بل احترم الواقع ، فكثير من اليهود يملكهم الحق ، ويملكهم الدليل ، ولذلك قال فيهم القرآن .

﴿ ومِنْ أَهْلِ الكِتابِ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إليكَ ﴾ (١) .

---

(١) الروم : ٢ ، ٥

(١) آل عمران : ٧٥

وقال عن النصارى :

﴿ ذَلِك بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسينَ وَرُهْباناً وأنَّهمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١) .

لقد أنصف المؤمنين باليهودية ، وأنصف المؤمنين بالنصرانية ، لأنه لو قام كل يهودى ونصرانى بالحكم ضده لقال الذين تراودهم نفوسهم بالإيمان بمحمد : كيف يحكم علينا بهذا ونحن نؤمن بالحق ؟

فهو لم يظلم أحدا من أهل الديانتين ، بل قال : منهم من ينفذ أحكام الله ، ومنهم من لا ينفذ أحكام الله كالمؤمنين تماماً .

فاتقوا الله يا أهل الحق ، والتزموا بالحق فيما بينكم ، وأنصفوا من نفوسكم كما أنصف الإسلام غيركم . غفر الله لى ولكم ولجميع المؤمنين .

* * *

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد النبى الأمى الأمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد :

فأوصيكم إخوانى بتقوى الله فاتقوه ، وأنيبوا إليه ، وراجعوا أنفسكم قبل بغتة الموت .

أيها المؤمنون . لقد أعلن رسول الله ﷺ ما نزل عليه من القرآن من أن أهل الكتاب سينتصرون على الفرس فى بضع سنين ... وكيف كان يتأتى للنبى الأمى فى الأمة الأمية أن يحكم فى نهاية معركة بين أكبر قوتين فى الأرض ، قوة الفرس فى الشرق ، وقوة الروم فى الغرب . كيف كان يتأتى له أن يحكم فى المعركة ويفصل فيها ، ويحدد الحكم فى بضع سنين ، من يستطيع أن يحكم فى نهاية معركة ببضع سنين ؟

لو أن الحكم كان فى الوقت لقلنا : عند محمد أخبار بأمور تؤكد انتصار الروم على الفرس ، أما أن يكون النصر فى بضع سنين فشىء عجيب . عجيب أن يحكم بنصر الروم فى بضع سنين ، أى من سبع سنين إلى تسع سنين .

إنه لم يكن طرفاً فى المعركة ، ولا يعلم بما يجد فى هذه السنين من قوة هذا ، أو

---

(١) المائدة : ٨٢

ضعف ذلك ولكنه أطلقها : إن الله سينصر الروم ، ويومئذ يفرح المؤمنون . معجزة للقرآن ولنبى القرآن .

وفعلا تم النصر فى بضع سنين ، وصادف ذلك النصر المسلمين فى موقعة بدر الكبرى .

اللهم اغفرلنا، وهيىء لنا من أمرنا رشدا،واكتبنا عند سعدا، واهدنا صراطك المستقيم ، وأعذنا من كل سوء ، ووفق ولاة أمورنا إلى خير الإسلام والمسلمين . وأقم الصلاة .

* * *

الصوم وعبودية التكليف

الحمد لله حمدا كثيراً كما أمر ، والصلاة والسلام على سيد البشر ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كمَا كُتِبَ على الّذِينَ من قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُم تَتَّقونَ ﴾ (١) .

كل عمل الإنسان بلا نية العبادة لله تعالى فهو عمل هابط نازل ، وإن كان فى ذاته طاعة ، وذلك مخافة أن تنشأ الطاعات فى النفس على مألوف العادة ، ومن ثم يحرم الإنسان شرف العبادة .

وقد شاء الله تعالى لتحقيق هذا الأصل : أن يجعل ركنا من أركان الإسلام يحرم فيه ماأحله فى بقية العام . فالعادة جرت أن يأكل الإنسان ويشرب ويأتى امرأته ، كل ذلك مباح فى الليل والنهار على السواء .

ولكن الحق حرم كل ذلك على المسلمين فى نهار رمضان ، ليستديم عليهم شرف الشعور بعبودية التكليف ، لأنه لو تركنا على الإباحة دائماً ، يخشى أن تسيطر علينا العادة ، فتحرمنا من لذة الشعور بعزة العبادة .

أى إن شهر رمضان عبادة صعدت ، ومعنى عبادة صعدت : أنه غير رمضان هناك

---

(١) البقرة : ١٨٣ .

حلت ، وأمور حرمت ، فتميز رمضان بأن شمل بالتحريم فى نهاره الأمور التى حلت والتى حرمت فى غيره ، وزاد شيئا آخر . فذلك تصعيد للعبودية عند المؤمن .

فأصفى ما يكون المؤمن عبودية لله فى منهجه يكون فى شهر رمضان ، والذى يصعد العبادة إلى هذا الشكل ، وينفى عن الإنسان إلف العادة ، يكون قد أخذه أخذا ليضعه وضعا عباديا نورانيا . لذلك اختار الله ذلك الزمان الذى أعد فيه الإنسان ذلك الاعداد الصفائى ، لدوام شرف العبادة ، وليس إلف العادة .

واختار الله تعالى هذا الشهر لقمة صفاء آخر ، هو أن ينزل فيه منهجَهَ إلى الناس أجمعين ، وإنك لو نظرت إلى الصوم الذى شرعه الله فى رمضان شرعاً إلزامياً لوجدته لم يمنع أن تتطوع إلى الله بصوم فيما سواه . وذلك ليفتح لك باب الطموح العبادى إليه ويريد للإيمان أن يعلو ويتسامى فى نفوس البشر .

ويتميز الصوم عن بقية أركان الإسلام بأنه لله ، أما الأركان الأخرى فهى للمسلم ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى .

« كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به » .

لأن الصوم هو العبادة التى لا يتقرب بها لبشر ، فلا يعقل أن تقول لعبد مثلك : أنا سأصوم لك هذا الشهر . لأنك بذلك تجبره على مراقبتك طوال الوقت ، وبالتالى تكون قد أتبعته . ولكن الله الذى يراقب العبد فى كل تحركاته يمكن ان يتقرب العبد إليه بالصوم .

وكذلك قال الله تعالى ، إن كل العبادات داخلة فى كادر الجزاءات عنده الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائه ضعف ، ولكن الصوم أخرج عن هذا النظام ، والله هو الذى يقدر الجزاء عليه ، ومعنى التقدير الأعلى للجزاء بغير الكادر الجزائى : أن الله يجزى عليه فوق السبعمائه ضعف .

فاتقوا الله عباد الله ، وصوموا بالجوارح كلها عما يغضب الله .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

* * *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد النبى الأمى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد :

فقد سن رسول الله ﷺ الاعتكاف فى نهاية شهر رمضان . والاعتكاف هو : إلزام النفس بالإقامة فى بيت منسوب لله ، ليقطعه عن كل منسوب لخلق الله ، فيخرج من إلف بيته إلى إلف بيت اللهويخرج من إلف وجوده مع أهله إلى إلف وجوده فى مناجاة ربه ، ويخرج عن كل ما اعتاد خارج بيت الله ، ليخلص وقته لله ، وتكون له فيه الخلوة . كل ذلك أخذ الإنسان من الأنس بالموجود إلى الأنس بالموجد .

فوجود الإنسان مع ربه يعطيه شحنة ، وبعد هذه الشحنة يخرج الإنسان ليستقبل أمر حياته بما أفاض الله عليه من فيض إيمانه ، وفيض تقواه ، وفيض بره ، وفيض رضاه ، ليزاول حركة الحياة بهمة ونشاط كما يجب .

فاتقوا الله عباد الله ، وألزموا أنفسكم بالسنة ، يكن لكم الله الحب . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، واكتبه فى صدورنا ، ووفقنا واغفر لنا ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا وجميع المسلمين ، ووفق ولاة أمورنا إلى خير المسلمين والإسلام . وأقم الصلاة .

* * *

من حكمة الهجرة

الحمد لله كما حمد بذاته ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كما صلى عليه ربه وملائكته . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين.أما بعد :

فيا أيها المؤمنون :

حينما عالج رسول الله ﷺ قضية الإيمان فى مكة فلابد أن نعرف قبل ذلك منزلة مكة ، ومنزلة الجزيرة العربية ... كانت مكة تأخذ مكان السيطرة فى الجزيرة كلها .. ومن العجيب أن مكانها من السيطرة على الجزيرة كلها كان مرجعه فى الأصل إيماناً .

انظر كيف كان الإيمان الذى جعل مكة سيدة الجزيرة كلها سببا فى استعلائها وكبريائها ، جعل العرب مميزاتها ذاتية فيها ، وليست راجعة إلى سبب إيمانى قديم .

إنهم لم يأخذوا المكان ولم يأخذوا المكانة إلا لأن بيت الله الحرام فى مكة ، وبيت الله يحج إليه العرب من أطراف الجزيرة ، إذن فكل قبيلة منتشرة فى الجزيرة لابد أن تأتى يوما إلى مكة ، وقريش هى سيدة مكة ، وهى صاحبة المهابة عند العرب ، وهى صاحبة السدانة للكعبة والسقاية للحاج ، أى إن السيادة التى كانت لهم جاءتهم بسبب بيت الله .

وصلة قريش جعلت لهم رحلتين : رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف ، فأصبحوا مأمونين على أموال الناس جميعا ، يتاجرون فيها ، لأن مهابتهم ومكانتهم كانت تجعل القبائل التى يمرون مجنبين إلى اليمن ، أو متشاملين إلى الشام فى مهابة من قريش ، لأنه إذا اعتدت عليهم قبيلة ، فسيأتى اليوم الذى تكون فيه تلك القبيلة المعتدية فى أحضان قريش فى مكة فى موسم الحج .

إذن فقريش لا يتعرض لها أحد بسوء ، ومن هنا كانت المكانة ، إذن ، فالمكانة التى كانت لقريش ولمكة كانت فى الأصل إيمانية ، فأخذوها وجعلوها ذاتية لأنفسهم ... ولذلك نجد الحق سبحانه وتعالى يطلب منهم أن يذكروا نعمة الله عليهم ، لأنه منع هدم الكعبة على يد أبرهة ، لأن الكعبة لو انهدمت ، ووجه الحاج إلى اليمن كما كان أبرهة يريد ، لأصبح سبب المهابة ذاهبا عن العرب ، وتسقط مكانة قريش ، تبعاً لسقوط هذه المهابة .

ولذلك نجد القرآن الكريم يقول عن الذين جاءوا لهدم الكعبة :

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾(١) .

ولكن لماذا فعل بهم هكذا ؟ يقول الله تعالى :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾(٢) .

إذن ، فلم تبق لقريش رحلة الشتاء ولا رحلة الصيف ، إلا لأن الله حفظ لهم البيت ، فانظروا كيف استغلوا هذا السبب الذى يدعو إلى الإيمان ، فجعلوه سببا للكفر .

وهؤلاء الكفار العتاة كان من الممكن أن يقال عنهم : إن مكة مكان يجب ألا تكون هى البيئة الأولى للدعوة . كان يجب ألا يبحث الرسول ﷺ عن مكان آخر ، لأن هؤلاء سادة ، ولا يستطيع أحد أن يقف أمامهم .

لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون صيحة الضعاف من المسلمين أولا فى مكة ، وفى آذان سادة قريش ، حتى لا يقال : انهم استغلوا الضعاف من القبائل الأخرى ونادوا بينهم بالدعوة الجديدة .

لابد أن تكون الصيحة الإيمانية فى آذان سادة قريش ، وذلك أمر أصيل ، لأن السيادة لقريش لم تكن إلا إيمانية ، فإن كانوا استغلوها كفرية ، فلم لا تعود إيمانية من جديد ؟

من هنا كانت الصيحة فى اذان قريش ، حتى لا يقال : إن أتباع محمد استضعفوا طوائف من العرب ، ونادوا فيهم بدعوتهم ، بل إن الصيحة هنا ، والمعركة هنا ، حتى يتربى الذين شهدوا أولا بالإسلام على أن يتحملوا السطوة بكل قوتها ، وأشرس أدواتها ، حتى إذا صبر المؤمنون وصمدوا ، كانوا هم الأولى بأن يحملوا منطق الله ورسالته إلى الجميع .

---

(١) الفيل : ٣ - ٥ .

(٢) قريش : ١ ، ٢

ولقد كانت الآيات الأولى من القرآن ، والتى تأمر النبى ﷺ بالجهر بالدعوة قصيرة المقاطع دالة بذلك على توالى الأحداث الجسام التى تستلزم الصبر فى قوله تعالى :

« يا أيُّها المدَّثِرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وربَّكَ فَكَبِّرْ . وثِيابَكَ فَطَهِّرْ . والرِّجْسَ فَاهْجُرْ . ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ . ولربِّكَ فَاصْبِرْ »(١) .

ولهذا كان الرسول ﷺ يقول لبعض المعذبين الأولين فى الدعوة : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

ثم ، لماذا كانت انطلاقة الدولة الإسلامية من المدينة ، ولم تكن من مكة ؟

كما كان لبدايتها من مكة حكمة ، فلانطلاقها من المدينة حكمة أيضاً .

فلو أن الانطلاقة الإيمانية ، والدولة الإسلامية كانت من مكة ، فربما قال قائل : قوم ألفوا السيادة ، فغضبوا لواحد منهم ، ليسودوا به الدنيا . إنه سيكون رسولا للعالم أجمع ، فلماذا لا يسودون العالم أجمع به .

ولهذا شاء الله ألا يكون انتصار الإسلام كدولة فى مكة ، ليعلم الناس أن العصبية لمحمد لم تخلق الإيمان بمحمد فى مكة ، ولكن الإيمان بمحمد هو الذى خلق العصبية لمحمد فى المدينة .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

(١) المدثر : ١ ــ ٦

النظام الطبقى عند الملحدين

الحمد لله فاطر السموات والأرض ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

من صور المنطق الذى يسيطر على أفكار الكافرين : احتقار المؤمنين . وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ . ألا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ ﴾(١)

والسفه : الخفة والطيش والجهل . والسفهاء هم الذين لا وزن لهم فى نظر الكافرين ، من أمثال أبى بكر وعمر وعلى وغيرهم .

وهم يتناقضون مع أنفسهم ومع الواقع فى هذا الفهم ... ويدل على ذلك قصة عبد الله ابن أبى بن سلول رأس المنافقين حين رأى أبا بكر وعمر وعلياً فقال لأصحابه : انظروا كيف ألتقى بهؤلاء السفهاء . ولكنه سيتناقض مع نفسه فى الحال ، إذ أنه حين التقى بهم قال لأبى بكر : مرحباً بسيد قومه ، مرحبا بشيخ الإسلام ، مرحبا بالصديق ، مرحبا بثانى رسول الله ﷺ فى الغار ، مرحبا ببائع نفسه وماله فى سبيل الله .

---

(١) البقرة : ١٣

والتفت إلى عمر فقال : مرحبا بسيد بنى عدى ، مرحبا بالفاروق ، مرحبا بباذل ماله لرسول الله ﷺ .

والتفت إلى على فقال : مرحبا بصهر رسول الله ﷺ ،مرحبا بابن عم رسول الله ﷺ ، مرحبا بسيد بنى هاشم ما عدا رسول الله ﷺ .

هنا يتناقض منطق الكفر .. فقد قال المنافق لقومه : انظروا كيف ألتقى بهؤلاء السفهاء . ولما التقى بهم سرد مناقبهم العالية الرفيعة التى تنفى عنهم السفاهة . وكان يجب على إخوانه المنافقين أن يردوا عليه قوله هذا ، ولكن منطق الكفر واحد ، ومنطق الكفر دائماً يعتبر المؤمنين سفهاء ، ويعتبرهم أراذل ، كما سجل الله تعالى ذلك عنهم فى قوله :

﴿ وما نراك اتَّبَعَكَ إلا الذينَ هُمْ أَراذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾[1] .

وهذا منطق طبيعى ، لأن الحق حينما يأتى من السماء لايأتى إلا فى مواجهة شراسة الباطل ، ومادام هناك باطل ، فهناك منتفعون بالباطل ، ومن الذى ينتفع بالباطل ، هم سادة قومهم والأعيان ، أما الباقون فهم المستضعفون الذين يستغلهم السادة .

فاذا جاء ليرد كل واحد عن استعلائه فانه يجعل الأعلى يستطرق إلى الأدنى ، فلقد آمن كثير من العلية ، والبيت الواحد انقسم على نفسه ، فمصعب بن عمير آمن ، وأخوه بقى على الكفر ، وحبيبة بنت أبى سفيان صارت أما للمؤمنين ، وأبوها مازال على كفره ، وعتبة ابن ربيعة كان كافراً ، وابنه كان مؤمنا ، ولكن هناك فرقاً بين سيادة توحيها عليهم الوراثة ، وسيادة من لون آخر هى سيادة الإسلام .

والغالبية كانوا من المضطهدين ، وأى دعوة لابد أن يقبل عليها المضطهدون ، لكن هل هم سفهاء ؟ لا .. إنهم ليسوا سفهاء . ولعل ذلك من الأسباب التى جعلت الحق سبحانه وتعالى لا يأمر بالقتال من أول الأمر ، لأنه لو أمر بالقتال من أول الأمر لدخلت المعركة كل بيت من بيوت قريش ، وحين نشهد أن خالد بن الوليد أسلم وتمت على يديه الفتوحات ، فهل كان يكون مفرحا قتله أول الأمر ؟ لم يكن مفرحا قتل هؤلاء القادة الذين أسلموا ، ولذلك صدق رسول الله ﷺ حين قيل منهم الفدية فى بدر وقال : « لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله » . وقد كان ذلك بالفعل .

---

(١) هود : ٢٧

فالكفار بشهادتهم وقولهم :﴿ أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ » يحكمون بأنه لابد أن يجيء الإسلام ، لأنه ما دامت هناك طبقية ، فلابد من مجيء الإسلام ، وقولهم هذا يؤكد ضرورة الإسلام ، فليس فى الإسلام طبقات ، لأن المسلمين سواء ، والمعيار هو التقوى « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

كان عداء الإسلام للكفر ضرورة ، فما داموا يرون طبقة سفيهة وطبقة عليا نقول لهم : يجب أن يعدل مزاجكم الإنسانى ، فما دامت لا توجد صفة ذاتية لأحد ، فنحن سواء ، وما دامت أمور الإنسان ليست بذاته فهو متغير ، وما دام متغيرا فلا يصح أن يعيش قمته بحضيض غيره ، لأن هذه القمة يمكن أن تكون حضيضا ، فمن مصلحته مادامت قمته ليست ذاتية فيه أن يكون الناس سواء ، حتى إذا تغير إلى الحضيض لا يفضل عليه غيره .

ما دامت قمة الإنسان ليست ذاتية ، فحين يصل إليها لابد أن يفطن إلى أنه سيتغير .

وحين ننظر إلى الذين سيطروا ملوكا ورؤساء ، ودانت لهم الدنيا ، وبلغوا منتهى أمرهم ، نراهم قد بدأوا فى النزول والضعف ، ولله تعالى يلفتهم إليه لفتة سريعة فيقول لهم : أنا الذى وضعت لكم المهابة فى قلوب الناس ، فإذا خلعت المهابة من قلوبكم زالت المملكة .

ولذلك نرى جنديا يثور على رئيس دولة ، ويحتل مكانه . فمن الذى وجهه ؟ الله هو الذى وجهه ، وزوده بمقومات المهابة .

الله ينهى عن الغرور ، ولو لم يوجد هذا فى كون الله فكيف نفسر قوله تعالى :

﴿ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ . إِنَّكَ على كلِّ شىءٍ قديرٌ﴾[1] .

قد يجرىء الله على الحاكم أقرب المقربين إليه .. وذلك لأن وجوده فى وضعه ليس ذاتيا فيه ، ولو كان ذاتيا ما جرؤ أحد أن يزحزحه من مكانه ، ولذلك يقول الشاعر العربى :

إذا تم شىء بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

---

(١) آل عمران : ٢٦

فاتقوا الله يا إخوانى ، واتقوا الغرور ، واتقوا الكبر ، فالإسلام إنما جاء ليجعل المتكبر متواضعاً ، والقوى أخا للضعيف ، وبذلك يعلو قدر المسلمين ، ويتلاحمون ، فلا تهزمهم أكبر قوة فى العالم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

أمة أمية فوقية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن سار على هداه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين . أما بعد .

فيا أيها المؤمنون :

قال الله تعالى على لسان إبليس :

﴿ قالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ المُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وعَنْ شَمَائِلِهِمْ ولا تَجِدُ أَكثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(١) .

فإبليس يهدد الإنسان بأنه سيقعد له فى الطريق المستقيم وحدد إبليس الجهات التى يأتى منها الإنسان بأنها من الأمام والخلف والجنوب والشمال ، وقرر أن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه ، وفى حالة عدم الشكر ، وعدم الاستعاذة من الشيطان يحاصر إبليس الإنسان .

وإذا كانت الجهات ستا ، وإبليس ذكر منها أربعا ، فإنه لم يذكر جهة الفرق ولا جهة التحت ، وذلك لأن إبليس يعلم أن من تتجسد فى مخيلته الفوقية ، فهو دائم الذكر لله ، وأن من تتجسد فى مخيلته التحتية فهو فى مقام العبودية لله ، دائم الخشية له سبحانه .

ومن عاش فى تذكر العلو الفوق الإلهى ، والتحتى العبودي الأرضى ، فلن يستطيع إبليس الاقتراب منه أبدا .

---

(١) الاعراف : ١٦ ، ١٧

ومن أعجب العجائب أن الإنسان إذا نظر إلى روافد الإلحاد فى كل عصر يجدها تأتى من تلك الجهات التى حددها إبليس . فكلمة تقدمى تعنى الأمام ، وكلمة رجعى تعنى التخلف ، وكلمة يمينى تعنى اليمين ، ويسارى تعنى اليسار .

ولهذا فنحن نقول : نحن مسلمون لا نتسمى بأى جهة من هذه الجهات ، لأننا لا نستطيع أن نفقد الرؤية من جميع الزوايا ، فنحن ، المسلمين ، نملك أرقى ما وهبه الله للإنسان ، نحن أمة نزل علينا منهجنا من فوق السموات ، ونفهم أننا عبيد لخالق واحد .

نحن أمة محمد فوقية ، نؤمن بأن وجودنا على الأرض هو تحقيق لمطلوب الله من الإنسان ، نحن أمة محمد نسير بتعاليم الكتاب القادم من الحق الأعلى ، أمة فوقية ، فنحن لا نستعلى على أحد ، إنما نطلب الهداية من الله لكل من ضل أو يضل عن طريق الهدى .

نحن أمة فوقية لأن المسلمين من أتباع رسالة محمد ﷺ يخضعون لله الواحد القهار الجبار ، ولهذا فالمسلم لا يخضع لمساويه أبدا ، لأنهم جميعا يخضعون لمن هو أعلى من كل البشر ، فلا ذلة ولا مهانة بينهم .

نحن أمة فوقية ، لأن كل أمور حياتنا هى من خلال رسول الله المرسل من خالق عزيز كريم . ولعل تلك الفوقية هى التى جعلت الحق تبارك وتعالى يختار من الأمة رسولا أميا . ومعنى الأمى : أنه على الفطرة ، أى : كما ولدته أمه ، لم يأخذ ثقافة من مساو له ، ولم يتأثر بحضارة بشرية ، فيتخيل البعض أنه جاء بما أعطته له الحضارة التى كانت تعيش فى عهد رسالته ، فهو لم يقرأ لأحد من الشرق أو الغرب ، وهذا هو معنى الرسول الأمى .

إذن فالأمية شرف لرسول الله ﷺ ، وإن كانت مهانة لأمثالنا من البشر ، ولأنه أمى ، ولأن الله قد بعثه رسولا ، فكل ما يقوله الرسول لأمته هو معجز ، لأنه قادم من أعلى .

هكذا كان اختيار الله لرسول أمى ، حتى تتأكد صلة السماء بالأرض بما لادخل لأهل الأرض به فى رسالته التى تهديهم إلى ما تريده السماء .

إذن فإن الله تعالى قد حرم رسوله الأمى من عطاء عقول البشر المعاصرين له فى زمن رسالته ، فإنه تعالى أكرمه ، لأنه جعله صلة السماء بالأرض ، أو صلة بالعلوية التى تعلم البشر ، وتهديهم إلى الطريق المستقيم .

وهكذا نطمئن إلى أن أحكام السماء التكليفية لم تخضع لارتقاءات من عقول البشر ، إنما هى من لدن حكيم خبير عليم .

ولهذا نرى أن الأميين عندما آمنوا بالرسالة التى نزلت على الرسول الأمى كانت لهم قدرة الإقناع ، وكان منطق انتشار الإسلام يبدأ من منطق أنه لا سيادة لمخلوق على مخلوق ، إنما سيادة الإنسان فى الكون نابعة من خضوع الجميع لله الأعلى .

ولذلك نجد الشيطان لم يجرؤ على القول أنه سوف يأتى عباد الله من أعلاهم ، حيث يتذكرون أنهم على صلة مباشرة بالله الأعلى ، ولا بأنه سوف يأتيهم من أسفلهم ، لأن الإنسان عندما يمشى على الأرض ، يضع آخرته أمام عينيه ، يعلم أنه مصنوع من طين الأرض ، ذاهب إلى الآخرة ، ومبعوث فى يوم القيامة للقاء ربه ، وليس استعلاء من مؤمن على مؤمن ، بل هم كما قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فاتقوا الله ، وتذكروا الله الأعلى دائماً ، وتذكروا أنكم عبيد متواضعون لله ، يحفظكم ربكم من كيد الشيطان ، وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين .

* * *

منزلة الرسول فى القرآن

الحمد لله نستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونثنى عليه الخير كله ، أنت كما أثنيت على نفسك ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، صاحب الخلق العظيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . صلى لله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا .. أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

تعرض لنا فى خلوتنا مع أنفسنا أحيانا أسئلة منها : لماذا اختار الله سيدنا محمداً من بين البشر لرسالة الإسلام ؟ ما هى الصفات التى تميز بها ﷺ حتى اصطفاه الحق على الخلق برسالة هى منهج الحق إلى كل الخلق .

والحق الخالق هو الذى يستطيع أن يزن قيمة رسوله الوزن الحق ، وليس ذلك لأحد من البشر . قال الله تعالى :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَق وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾(١) .

وإذا أردنا أن نعرض لتقييم الخالق لرسوله ﷺ ، وجدناه حين يخاطب جميع الرسل ، يخاطبهم بأسمائهم مباشرة ، فيقول تبارك وتعالى :

﴿ فَقُلْنَا يآآدَمُ إنَّ هذَا عدوٌّ لك وَلِزَوْجِكَ﴾(٢) .

وقال : **﴿قَالَ يانُوحُ إنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ . إنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ﴾**(٣) .

---

(١) الملك : ١٤

(٢) طه : ١١٧

(٣) هود : ٤٦

وقال : ﴿ فلمَّا أَتاهَا نُودِيَ يا مُوسَى . إنِّي أنا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾(١) .

وعندما يتوجه الله تعالى بالحديث إلى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم لا يقول له : يا محمد ، أو يا أحمد ، إنما يتوجه بالحديث إليه فيقول :

﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً . ودَاعِياً إلى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾(٢) .

وهكذا يرفع الله نبيه إلى أقرب المكانات من ربه ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، إنما نجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكدها ، يقسم بأشياء كثيرة ، ومن أجناس شتى ، من جماد وحيوان وملائكة ، ولكننا لم نر الله سبحانه أقسم ببشر مطلقا ، إلا برسوله محمد ﷺ حين يقول :

﴿ لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٣) .

هكذا يقسم الله تعالى بحياة الرسول ، وكأن حياته لها مكانة ومقام رفيع عند الخالق الكريم . وحينما يصف الله سبحانه وتعالى رسوله الأمين فإنه يقول :

﴿ وإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٤) .

وليس المقصود بهذا الخُلق ما تم التعارف عليه من خلق البشر ، ولكن المقصود هو الخلق الذى يصلح لتحمل رسالة الخالق سبحانه وتعالى .

ورسول الله قد حصل على شهادة من الحق سبحانه وتعالى بأنه على هذا الخلق القويم .. فالله عندما أرسل رسوله محمدا ﷺ بمنهجه كان يعرف أن هذا المنهج يقيد الناس فى حركتهم ، والناس دائما يألفون شهوات النفس ، فتطرأ عليهم الغفلة ، وحين تطرأ الغفلة على مجتمع فإنه ينسى شيئا من المنهج ، فما بالنا ومجتمع قريش قبل الرسالة كان جاهلا جاهلياً لا علم له ولا خلق ، رغم تقدم بعض البلغاء والفصحاء فيه بالفطرة .

هنا تدخلت السماء بالمنهج المعجزة ، وهو القرآن .. وجاء محمد خاتماً للأنبياء .. ومعنى الخاتم : أن الله أودع فى أمته خصائص تقوم مقام تعدد النبوءات والرسالات .. وما دام محمد خاتم الأنبياء ، ورسالته خاتمة الرسالات ، فلابد أن تكون متضمنة لعناصر

---

(١) طه : ١١، ١٢

(٢) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦

(٣) الحجر : ٧٢

(٤) القلم : ٣

البقاء . وأن تكون أمة محمد ﷺ متضمنة عناصر الحفاظ على هذه الرسالة . ومن هنا قال رسول الله ﷺ : « الخير فىّ وفى أمتى إلى يوم القيامة » .

والخير الموجود فى ذات رسول الله ﷺ هو خير الكمالات المتعددة ، أما الخير فى أمته فهو موزع بين الأمة لا يمكن لفرد أن يحوز كل صفات الكمال المحمدى .

الكمال المحمدى موزع فى أمة محمد ﷺ ، فواحد يتمتع بصفة كانت موجودة فى رسول الله .. وآخر يتمتع بصفة أخرى . وثالث يتمتع بصفة ثالثة ، حيث إذا تجمعت أمة محمد على منهج محمد ﷺ فقد اكتمل فيها خلق محمد وصفات محمد ﷺ . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فى رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ الله كَثِيراً ﴾[1] .

وقالت فيه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « كان خلقه القرآن » ..

فاتقوا الله أيها الإخوة المؤمنون ، وتتبعوا أخلاق رسولكم فى سنته ، وأحيوها بالسلوك العملى ، ولا تتأبوا بالكبر على ما فيها من التواضع ، وحب المساكين ، والاختلاط بهم ، ومؤاخاتهم ، فمن تكبر على ما أحبه الرسول ﷺ فهو منافق ، أعاذنا الله وإياكم من النفاق وأهله ، وغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين .

---

(١) الاحزاب : ٢١

وما النصر إلا من عند الله

الحمد لله ، لا شيء قبله ، ولا شيء بعده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، بشر وأنذر ، ودعا وبلغ ، حتى أتاه اليقين من ربه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خير من نطق عن ربه ، وحقق مراده من الخلافة على الأرض ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان وسلم تسليما كثيرا ... أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

حين نجد بعض المؤمنين فى صراع مع بعض الكافرين ، فإن الغلبة تكون للمؤمنين إذا ما ظلوا على اتصالهم بربهم ، منفذين لتعاليمه ، من اليقظة والاستعداد ، والانتباه ، والقدرة على البذل ، والرغبة فى الاستشهاد فى سبيل الله لأنهم يعرفون أن الشهيد حى يرزق عند الموت .

أما الكافرون فمهما بلغت معداتهم وأسلحتهم ، فإن فيهم غفلة عن الله ، ولا يمكن أن ينهزم المؤمنون أمام الكافرين إلا إذا أصابتهم الغفلة هم الآخرون ، فلم يستعدوا باليقظة والإيمان والعزيمة والقدرة على التضحية . ودليلنا هو قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فما وَهَنُوا لما أَصَابَهُمْ فى سَبِيلِ الله ومَا ضَعُفُوا وما اسْتَكَانُوا . والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[1]

(١) آل عمران : ١٤٦

هذه الآية تنبهنا إلى أن القتال فى سبيل الله يتطلب القلوب القوية ، والعزيمة التى لا تخضع للأعداء ، فلا يستسلم المؤمنون أبداً بسبب ما أصابهم فى سبيل الله .

فالمؤمن الحق لا تصيبه الغفلة ، وهو يملك القدرة على الصبر ، واحتمال البلاء ، فيأتيهم نصر الله ، لأنهم قالوا وفعلوا ، وفيهم يقول الله تعالى :

﴿وما كَانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أنْ قَالُوا ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنا وانْصُرْنَا على القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾(١) .

وإذا تساءل أحد : ما الذى يحدث عندما يكون الفريقان المتنازعات كلاهما موصول بالله سبحانه وتعالى ؟

والإجابة على هذا التساؤل : إن المعركة لن تقوم بينهما أبداً ، لأن كلا منهما سيطبق شريعة الله الواضحة فى أى خلاف بينهما .

والسنة العملية تؤكد نصر الله للمؤمنين الملتزمين بأخلاق القرآن وإن كانوا أقل عدة وسلاحاً من الكافرين ، فقد واجه رسول الله ﷺ الكفار فى موقعة بدر الكبرى بعدد أقل من عدد الكافرين ، وسلاح أقل ، ومال أقل ، ولكنهم كانوا يملكون السلاح الذى لا يقهر ، واليد الطولى التى لا تلحقها يد ، وذلك هو الإيمان .

ولنستمع جيمعاً إلى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ الَّذينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً وقَالُوا حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيلُ . فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ الله وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتَّبعوا رِضْوَانَ الله والله ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٢) .

فالمؤمنون الذين قال لهم الناس : إن أعداءكم قد جمعوا لكم جيشاً كثيفاً ، فخافوهم ، هؤلاء المؤمنون لم يصابوا بالضعف ولا بالوهن ، بل قالوا : إن الله حسبنا ، وإليه نفوض الأمر كله ، فثبت المؤمنون بالشجاعة المؤمنة ، وانسحب الكافرون بالهزيمة المؤلمة ، وفاز أهل الإيمان ، وصاروا أهلا لفضل الله عليهم .

وفى هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة أشار الله إلى رسوله بالنصر مع الإيمان ، ولأنه لم يكن هناك تكافؤ فى العدد والعدة ، فقد اختبأ الرسول وصاحبه فى غار ثور ،

---

(١) آل عمران : ١٤٧

(٢) آل عمران : ١٧٢ ، ١٧٤

وكانت فيه فجوة يمكن أن تكشف موقع الرسول وصاحبه ، ولكن الرسول ينطق وما ينطق عن الهوى فيقول : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » . وينزل القرآن فيقول سبحانه :

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذينَ كَفَرُوا . ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذ هُمَا فِي الغَارِ . إذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ الله معَنَا . فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ عليهِ وأَيَّدهُ بجنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وجَعَل كَلِمَةَ الذينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وكَلِمةَ الله هِيَ العُلْيَا والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

فى هذه الآية ما يوضح أن الله كفيل بنصر رسوله تماماً كما كفل له النصر حينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة ، وليس معه إلا صاحبه ، حتى خاف أبو بكر ، لكن الرسول ﷺ يطلقها قضية إيمانية عامة فى كل العصور فيقول : لا تحزن إن الله معنا . وأيد الله رسوله بجنود لا نراهم ، ولايعلمهم إلا الله . وانتهى الأمر بغلبة دين الإسلام . فاتقوا الله واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا أهواء قوم ضلوا ، فمهما كان السلاح وهناك بعد عن الله فإن الدائرة تدور على من ادعى الإيمان وبعد عن الله ، غفر الله لنا ولكم ولجميع المؤمنين آمين .

* * *

(١) التوبه : ٤٠

الإسراء بالروح والجسد

الحمد لله الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد أهل العبودية ، والذى وصل بعبوديته إلى مقام المناجاة الأسمى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. أما بعد :

فيا إخوة الإيمان :

ما زلنا نسمع بين الحين والحين فى عصرنا الحاضر وبعد أربعة عشر قرناً من البعثة المحمدية نقاشاً حول الإسراء ، وكونه بالروح فقط ، لا بالجسد ، من أناس خضعوا لعقولهم ، ولقانون السبب والنتيجة الظاهرة لهم فى الحياة .

ونحن نناقشهم فنقول لهم : المسألة لم تكن حدثا من محمد ﷺ ، إذن فيجب استبعاد القوانين البشرية بالنسبة لله تعالى ، فهل يقدر الله تعالى على ذلك أو لا يقدر ؟ إنه تعالى على كل شىء قدير .

والله سبحانه وتعالى قد هيأ لهذا الدين جنوداً من الكافرين لينصروه ، فلو لم يقف المشركون من قريش من رسول الله ﷺ موقف الإنكار ويقولوا له : « أتدعى أنك أتيتها فى ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً » . لو لم يقولوا له هذا فربما قال قائل بعد ذلك لقد علموا أنه منام ، والمنام لا يمارى فيه أحد . إذا رأيت أننى هنا من بلدى ذهبت إلى مكة فى المنام فلن يناقشنى أحد ، لأن هذه رؤيا منام .

إذن فموقف الكفار قديماً من رسول الله ﷺ حين اعترضوا عليه يؤكد أنهم فهموا أنها لم تكن مناماً ولا روحاً ، وإنها كانت بالروح والجسد معاً ، وإلا لما صدر هذا الاعتراض . فالكافرون بتعنتهم أمام رسول الله ﷺ خدمونا خدمة كبرى ، لأننا نقول لكل معترض الآن على الإسراء بالجسد : لو كانت رؤيا منامية لما ناقش فيها أحد ، لأن أى

واحد يقص علينا رؤيا لا نعترض عليه . وما داموا قد اعترضوا وناقشوا فقد فهموا أن الإسراء كان بالروح والجسد .

والمعترضون على الإسراء بالجسد يحتجون بقول الله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التى أَرَيْنَاكَ إلاّ فتنةً للنَّاسِ﴾[1] .

وعندهم أن كلمة (الرؤيا) مصدر للفعل رأى بمعنى العام رؤيا المنام ، أما رؤية البصر فمصدرها (رؤية) إذا رأيت مناماً قلت : (رأيت رؤيا) . وإذا رأيت ببصرك قلت : رأيت رؤية . وعلى هذا فالآية تدل على أن الإسراء رؤيا منام .

ونحن نقول رداً على هذا : إذا كانت رؤيا منام فكيف يكون فتنة للناس . ومعنى فتنة للناس : أن بعضهم يصدق وبعضهم يكذب ، ولو كانت رؤيا منامية فلن يناقشها أحد لا تصديقاً ولا تكذيباً . على أن اللغة قد استعملت كلمة (الرؤيا) فيما يرى بالبصر ، قال الشاعر .

* ورؤياك فى العينين أحلى من الغمض *

ولكن عادة العرب أن يستعملوا كلمة (الرؤيا) فى الأشياء الغريبة التى ترى بالبصر ، فإذا قلت رأيت رؤيا ، وأنت تريد رؤية البصر ، فمعنى ذلك أنها أمر عجيب مما لا يمكن أن يرى الا فى الأحلام .

هل رأيتم أيها المؤمنون قوماً اختلفوا مع واحد من الناس رآى رؤيا فقالوا له : بأى شكل رأيتها ، وبأى سرعة ، وبأى منظر ، ثم كذبوه فى أنه رآها ؟ هذا لا يحدث أبداً . إذن ما دام الله تعالى قد جعلها فتنة فهذا دليل على أنها لم تكن رؤيا منام ، وإنما كانت بالجسد والروح .

ونقول لمن يكر الإسراء بالجسد كذلك : إن محمداً ﷺ لم يدع أنه أسرى بذاته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، بل قال :

« أسرى بى الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .

---

(١) الاسراء : ٦٠

والله سبحانه وتعالى قال :

﴿ سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المسْجِدِ الأَقْصَى ﴾[1] .

أى إن الذى أسرى حقيقة هو الله تعالى ، فالفعل واقع من الله ، فلايصح أن نحاسب محمداً بعد ذلك بقانون البشر .

لم يقل محمد ﷺ : أنا سريت ، حتى نرده إلى قانون البشر ونقول له كما قال الكفار : « نحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ، وتدعى أنت أنك أتيتها فى ليلة » ، من الذى قال : إنه أتاها فى ليلة ، إنه الله سبحانه وتعالى ، فإذا كنتم صادقين فى الاعتراض فالواجب أن تقارنوا فعلا منه بفعل منكم . أما أن تقارنوا فعلا من الله يفعل منكم ، فهذا هو الضلال المبين .

إذا قال أحدكم : لقد صعدت بابنى الرضيع قمة جبل ، أفيقول له أحد من الناس : كيف يصعد ابنك الرضيع قمة جبل ؟ لايقول هذا إلا مجنون . إنما كانت يجب أن نقول له : كيف صعدت أنت قمة الجبل ؟ .

فالمعترضون لم يردوا المسألة إلى الله الذى تحدث عنها وفعلها ، بل ردوها إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

أيها المؤمنون :

إن حديث الإسراء فعل من الله تعالى ، وحين يوجد الفعل من الله تعالى يجب أن نلغى قانون البشر تماما ، لأن كل فعل كما يختلف باختلاف فاعله ، يختلف كذلك باختلاف قوة ذلك الفاعل .

فمثلا الذى يسرى من مكان إلى مكان آخر فى سيارة عادية غير الذى يسرى إليه فى طائرة ، أو فى صاروخ ، ومن يدرى ، قد تكون هناك وسيلة أسرع من الصاروخ . إذن فلابد أن ننسب الزمن إلى قوة العمل .

ما دامت المسألة من الله ، وهو الذى أسرى ، ومحمد ﷺ مصاحب ومحمول ، قد حمل الله قانون ضعفه البشرى على قانون قوته سبحانه ، فإذا قيست المسافة وزمانها على هذا الأساس فلا زمن ، لأن الله ليس عنده زمن .

---

(١) الاسراء : ١

إذن فلم احتاج الإسراء إلى ليلة ؟

نقول : لأن هناك فرقاً بين حدث الإسراء فى ذاته كنقلة ، وبين المرائى التى تعرض لها رسول الله ﷺ ، فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما تعرض للمرائى التى رآها هو ببشريته وبقانونه ، فالمرائى التى تعرض لها هى التى احتاجت إلى الزمن ، أما النقلة فى ذاتها فلم تحتج إلى زمن .

فاتقوا الله يا إخوانى ، ولا تقولوا بقول من كفر أيام رسول الله ﷺ ، وأعطوا الأمور حقوقها ، وآمنوا إيمان الصديق الأكبر رضوان الله تعالى عليه . غفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير

الحمد لله الذى أعطى كل شيء خلقه فقدره تقديراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى الذى هدى الأمة ، وكشف الغمة ، وأوضح الطريق ، وأنار السبيل . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه باحسان وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد .

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

كل صانع صنعة من البشر هو الذى يضع قانون صيانتها وتشغيلها ، وحيث إنه لم يوجد أحد يدعى أنه خلق الإنسان ، فالانسان إذن صنعة الله ، وما دام كذلك ، فالله هو الذى يحدد قانون صيانة ذلك الإنسان .. ولا يمكن أن يخلق الله خلقه ثم يتدخل الخلق بعد ذلك ليضعوا قانون الصيانة لأنفسهم .

والذى يدل على ذلك أن كل تشريع من تشريعات البشر عرضة لأن يتغير ويتبدل ، وأن يذهب ويجيء غيره ، ولا يبقى قانون بشرى إلا بمقدار القوة التى تحميه ، فإذا ذهبت القوة انحل القانون واندثر .

والذين يقننون للنفس البشرية عليهم أن يعلموا أنهم لم يعرفوا النفس البشرية حتى يقننوا لها ، لقد علموا زاوية وجهلوا زوايا ، فالنفس ليست معدة وبطناً فقط ، ليست عقلا يعى ويفهم فقط ، ليست وجداناً وعواطف فقط ، بل إنها ملكات متعددة ، وهم إلى الآن لا يعرفون عدد تلك الملكات ، فكيف يضعون القانون لشيء لا يعرفونه ؟

إذن فالمقننون عرفوا شيئاً فقننوا له ، وتركوا بقية الملكات جائعة ، وهنا لابد أن يحصل التمزق والقلق النفسى .. والدليل على ذلك مثلا : الجماعة الذين يعتبرون النظام الاقتصادى هو كل شيء كالسويد ، تلك الدولة التى يعيش أهلها فى أرقى مستوى اقتصادى

للمعيشة ، والفرد فيها مرفه رفاهية عالية جداً ، ومع ذلك ففيها أعلى نسبة انتحار بين شبابها ، علاوة على الأمراض العصبية والعقلية . وهذا دليل على أن المعدة ليست هى كل شيء ، وعلى أن هناك ملكات جائعة فى تلك النفوس ، وإلا فما الذى يدعو الإنسان إلى الانتحار وترك الحياة ؟

السبب : أن عنده قلقاً ، وهو لا يعرف مصدره ، ولا يعرف طريقاً لعلاجه ، وإن عنده ملكات جهلها البشر ، فلم يقننوا لها ، وإن قننوا لها فتقنين جاهل بها لأنهم لم يخلقوها .. وعلى ذلك فالحق سبحانه وتعالى هو الذى خلق النفس ، وهو الذى يقنن لها .

﴿ ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَق وهُوَ اللَّطيفُ الخَبِيرُ﴾[1] .

وقد جاء الرسل لتنظيم حركة الحياة فى ذلك الإنسان بقانون صيانته ، وسيتعرض الرسل لقوانين اقتصادية وسياسية وعملية واجتماعية وخلقية ، وقوانين تعبدية ، ليس للعقل مجال فيها ، ونحن نقول للعالم : ناقشوا بعقولكم هذه القوانين ، وقارنوها بأى قانون اقتصادى أو غير اقتصادى في العالم ، وسترون أن القوانين التى وضعها الإسلام لزوايا الحياة الاجتماعية هى المتفوقة ، وهى المتميزة ، وهى المستوعبة الشاملة .

والدليل على ذلك ، أن الأشياء التى كان أعداء الإسلام يأخذونها على الإسلام حين كانوا يعدلون قوانينهم ، كان القانون يلتقى مع الاسلام بعد تعديله ، فمثلا كانوا ثائرين على الإسلام فى مسألة الطلاق ، وبعد ذلك انتهوا فى إيطاليا إلى أن الحل الوحيد للمشكلات الأسرية المستعصية هو الطلاق .. لأنهم وجدوا شرور تحريم الطلاق أكثر ، ولذلك فهم كلما يرتقون ، أو يستنيرون ، أو تعذبهم الحياة بواقعها ، يرجعون إلى أحكام الإسلام .

وأمريكا مثلا تعرف أنها صرفت وما زالت من أجل تحريم الخمر بلايين الدولارات ، ولكن الإسلام جاء من أول خطوة وحرمها .. وتعدد الزوجات الذى عدوه عيباً فى قانون الإسلام ، يبحثون فى أن يعودوا إليه ، لأنه أفضل من النظام الموجود لديهم الآن .

فالإسلام جاء من أقصر طريق ، لأنه تقنين من يعلم خلقه ، اللطيف الخبير بعباده . والرسول ﷺ يقول فيما يروى عن ربه : « إنى خلقت عبادى كلهم حنفاء ، وإنهم أتتهم

---

(١) الملك : ١٤

الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم ألا يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا .

فاتقوا الله ، والزموا شرعه ، يحفظكم ربكم من شرور التمزق والقلق والاضطراب ، والله الهادى لا هادى سواه ، غفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

حاسبوا أنفسكم

الحمد لله الغفور الرحيم ، التواب الودود ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب لواء الحمد ، والمقام المحمود ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن والاهم ، وسلم تسليماً كثيرا ... أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون :

قال الله تعالى يبين سبب العذاب النازل بأهل النار :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً . وكَذَّبُوا بآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾[1] .

فالسبب الرئيسى الذى استحقوا عليه العذاب هو أنهم كانوا لا يرجون حسابا ، لأنهم لم يكونوا يؤمنون بالمحاسب ، أو يؤمنون بالمحاسب ، ولكنهم يتعجبون : كيف يعودون الى الحياة الآخرة بعد أن صاروا ترابا .

وإذا تتبعنا كل فساد فى الدنيا ، وجدناه ناشئاً من أن أعضاء المجتمع لا يتوقعون حسابا على تصرفاتهم . وحينما لا يتوقع أفراد المجتمع حساباً على تصرفاتهم ، فإنهم ينطلقون فى حركاتهم كما يحبون ، وكما يشتهون ، وكما تهوى نفوسهم .

إذن فالضامن لصلاح المجتمع هو بعينه الضامن لصلاح الآخرة .. فإذا كان الكفار سيعاقبون يوم القيامة على فسادهم ، لأنهم كانوا لا يرجون حسابا فإن عدم توقع الحساب فى شئون الحياة يجعل الإنسان يتقلب فى حركة حياته غير متقيد بنظام عقدى ، ولا نظام قيمى .

---

(١) النبأ : ٢٧ ، ٢٨

أيها المؤمنون .. إن الفساد فى الدنيا يكون حينما لا يتوقع المجتمع حسابا ، أما إذا توقع المجتمع حسابا فهنا ينتظم المجتمع .. والمجتمع لا يتوقع الحساب على تصرفاته لأسباب ثلاثة :

أولهما : أن يكون الحاكم غافلا عن الفساد بسبب من الأسباب ، ولا يوقع جزاء على الجرائم .

والثانى : أن يكون المجتمع نفسه لا يحاسب صاحب الجريمة .

والثالث : أن نفس الإنسان لا تحاسبه على ما اقترف من إثم .

وهذه الأسباب الثلاثة هى ما انتهت إليه مدارس الجزاء فى علم الاجتماع الحديث فيما يتصل بالحياة الدنيا وخلاصتها : أن الردع عن الجرائم يكون عن طريق الحاكم المسيطر ، أو عن طريق المجتمع ، أو عن طريق النفس .

وهذه الأمور الثلاثة لم يهملها القرآن ، ولكنه تفوق على كل التشريعات فانه احتاط للجريمة قبل وقوعها فلا تقع . فالإسلام يؤكد للإنسان أنه إذا اختفى عن عين القضاء ، فلن يختفى عن قضاء السماء .

فالعاصم النهائى إذن هو أن يعتقد الإنسان أنه محكوم أمام عين خبير لا تخفى عليه خافية ، ولا يستطيع أحد أن يستتر منه ، وأنه مردود إليه قطعاً ليجازيه ، فإذا أفلت الإنسان من جزاء المجتمع ، ومن جزاء الحاكم ومن صحوة ضميره ، فماذا تكون الحال ، وماذا يكون الموقف ؟

الموقف : أنه لا يكون عاصم من الشر ولا من الفساد إلا وازع الدين ، والإيمان بأن الله رقيب وحسيب ، فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية :

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[1] .

وهذا يجعل الإنسان لا يفكر فى الشر مجرد تفكير .. لكن الحاكم أو المجتمع أو الضمير ، يمكن للانسان أن ينفلت منهم .

---

(١) غافر : ١٩

أيها المؤمنون :

إن الذين لا يرجون حسابا فى الآخرة يفسدون الفساد الأصيل من القمة كفراً بالله إلى أصغر الصغائر .. وفى الدنيا كذلك لا يتأتى الفساد إلا إذا كنا لا نرجو حساباً .

فإذا فرضنا مجتمعاً من المجتمعات له حاكم ، ولكن الحاكم ظالم غير عادل ، يختص طائفة ينفذ عليها القانون الجزائى ، وطائفة أخرى لا ينفذ عليها القوانين .. فماذا يكون موقف المجتمع حينئذاك ؟ . إنه سوف يتستر بالجريمة ما أمكن له الاستتار .

والرسول ﷺ يشير إلى هذا الخطر فى قوله : « إنما هلك من كان قبلكم بأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

فاتقوا الله ، وحاسبوا أنفسكم هنا فى الدنيا قبل أن تحاسبوا ، تصلح لكم دنياكم ، وتسعدوا فى آخرتكم ، غفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. أما بعد :

فإن الضمان الإسلامى لصلاح الدنيا وصلاح الآخرة فوق ما تصوره الإنسان من المدارس الأخلاقية الحديثة .. هو أن يعتقد الانسان أنه سوف يقف للحساب والمساءلة أمام الله العليم الخبير الذى لا تخفى عليه مثاقيل الذرة من أعمال العباد .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، ويسر أمورنا ، واشرح صدورنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، ووفق ولاة أمورنا إلى خير الاسلام والمسلمين ، وأعل كلمة الدين ، وعاملنا بفضلك ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

رقم الإيداع ٢٢١٣ / ١٩٨٨

طبع بدار المدينة المنورة للطبع والنشر
القاهرة ١١٤ ش مجلس الشعب ت : ٣٩٠١٠٣٠

تم إعادة الرفع بواسطة

مكتبة عسكر

ask2pdf.blogspot.com

نحن لا نقوم بتصوير أو نسخ الكتب
ننشر الكتب الموجودة بالفعل علي الإنترنت
نحترم حقوق الملكية
ولا نمانع حذف رابط أي كتاب
إذا طالب مؤلف أو دار نشره بحذفه